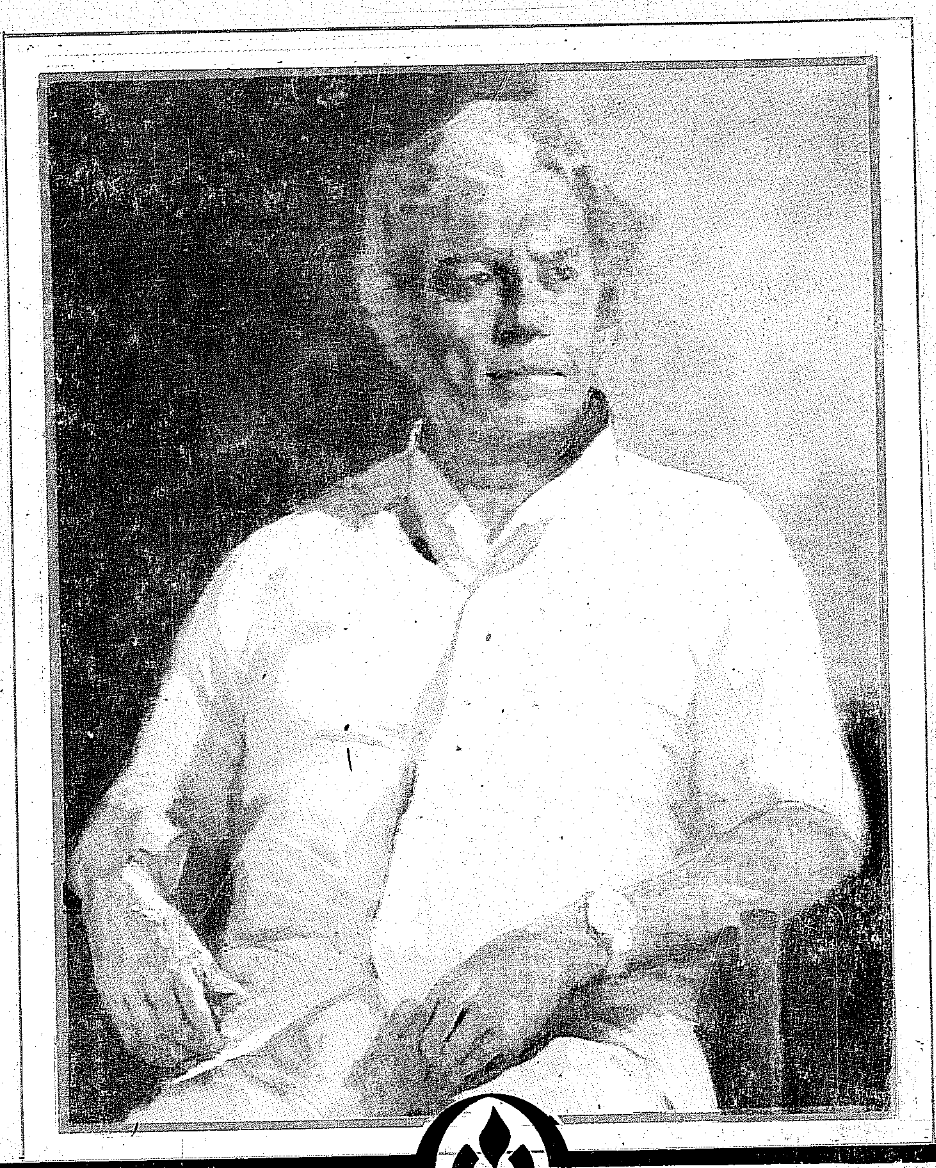
# عبد الرزاق عبد الواحد

# الاعمال الشعرية

## المجلد الاول

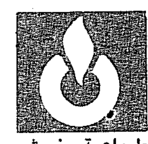


دار الشؤون الثقافية العامة

# عبد الرزاق عبد الواحد

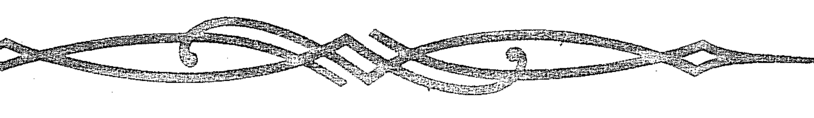
## الأعمال الشعرية





طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

العنوان:
العراق - بغداد - اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤



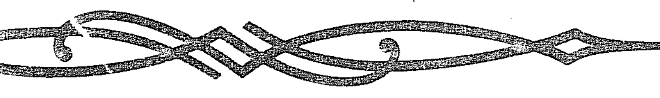
# عبد الرزاق عبد الواحد

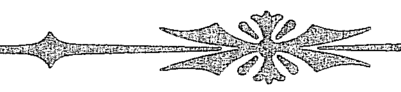
## جائزة صدام للآداب ١٩٨٧

## الأعمال الشعرية

المجلد الأول

الطبعة الثانية - بغداد - ٢٠٠٠





# لعنة الشيطان

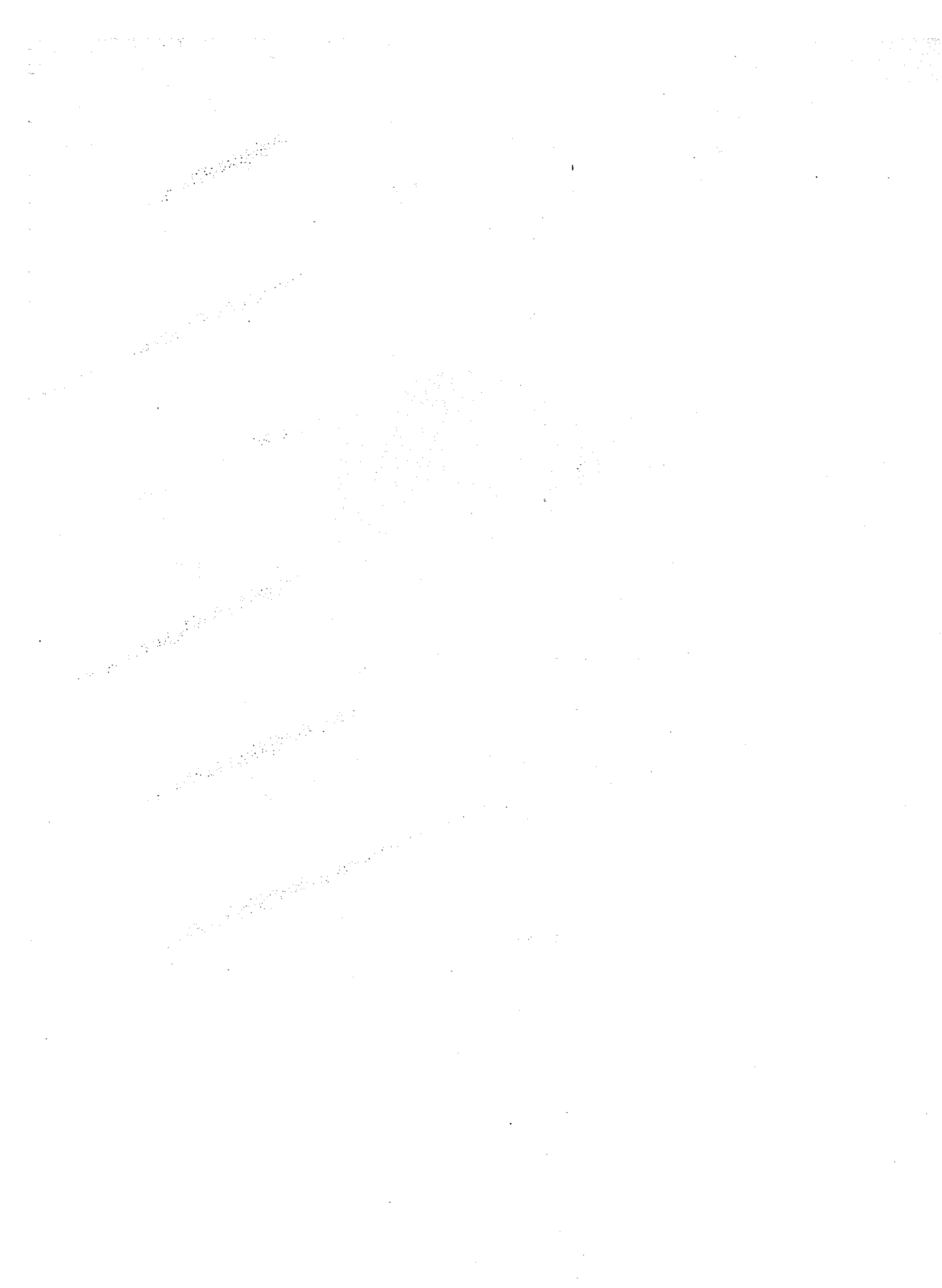
القصة الشعرية التي فازت بالجائزة الأولى
في مهرجان دار المعلمين العالية الشعري
لسنة ١٩٥٠





الشاعر سنة ١٩٥٠

بريشة الفنان المبدع يحيى جواد



وكانت الأصـوات تترامى من بعيـد ،
كأنها منبعثة من جوف كهف عميق . . .

. . وعناقُ الأمواجِ في هدأة الليلِ ، وهمسُ النسيمِ فوقَ الضفافِ.
والمصابيحُ باهتاتٌ على الشطّينِ ، تنسلُّ بالضياء الغافي
من حنايا البيوت ، يُرجفهُ الموجُ فيخبو ، في رعشةٍ ، في ارتجافِ
بين أحضانِهِ ، يُكفّنهُ الليلُ بظلِّ النخيلِ ، والصّفصافِ . . !

*

وبقايا الغيومِ في الأفقِ الشاحبِ تنسابُ في ذهولٍ خطاها
يومضُ البرقُ بينها ثمَّ يخبو ، ويهيمُ الظلامُ في منتهاها
برهةً تنطوي ، وينسربُ البدرُ هزيلاً ، يُضيءُ من مسراها
حيثُ تمضي فلا تعود ، وتبقى شاحباتُ الأضواءِ تقفو سُراها . . !

*

وارتجافُ الأوراقِ يبعثُ في الصمتِ اختلاجاً ، ورعشةً في الظلالِ
وحفيفاً كأنَّ في شفةِ الليلِ سؤالاً . . . وتنثني بالسؤالِ
ثم ترتدُّ كي تبرحَ فلا تقوى ، فتبقى في حيرةٍ ، وابتهالِ
كلما هَمَّ صوتُها شَلَّهُ الصمتُ ، فأغفى على غصونِ الدّوالي . . !

*

هكـــذا كـانتِ المـــدينــةُ يـــطويهـــا ظــلامُ داجٍ ، وصمتٌ مُــريبُ
ذلكَ البيت ، كان في كلِّ سقفٍ منــهُ عينٌ ، وكـــلِّ بـــابٍ رقيبُ
حينمـا انسـلَّ منهُ طيفـان يقفـو . . وقـعَ خـــطوَيهما مصيـــرٌ رهيبُ
ثمَّ غـابا في حلكـةِ الليـلِ كـالـطُّهرِ بصـدرٍ تعـجُّ فيـهِ الـذنـوبُ . . !

*

ذلـــكَ البيت . . كـــوةٌ جَحـحَـظتْ فيهـــا عيـــونٌ تلظى بـهـــا الآثـــامُ
جـمعتْ كـــلَّ مجـــرمٍ نـــاذرٍ لــلشـــرِّ نفســـاً عفـــافُهـــا إجـــرامُ !
من أبٍ ميِّتِ الضميـــرِ ، وأمٍّ ألـهبتْ نـــارَ حقـــدِهـــا الآلامُ
وأخٍ كـــانَ بـؤرةَ الإثـــمِ فـي الـبـيـت ، تُـــذكّيـــهِ شـهـــوةٌ وعـــرامُ

*

بينَ تلكَ الشرور . . في منبعِ الإثمِ ، وفي معـركِ الريـاحِ السوافي
فـــاحَ عـــطرٌ ، وأينعتْ زهـــرةٌ سكـــرى بفيضٍ من الغـــرامِ الصـــافي
مَـــزَجَ الحبُّ عــطرهـــا بنـدىٰ الـــطُّهر ، وروّاهُ بـــالتقى ، والعفـــافِ
فـزَهتْ رغمَ ثورةِ السـافيات الهـوجِ ، رغمَ الهجيـرِ ، رغمَ الجفـافِ

*

حلوةٌ كالهُيام ، نشوىٰ كثغرٍ ذابَ في قُبلةِ الغرام الأولى !
كخيالاتِ شاعرٍ في ذهولِ الوحي ، ما زال جفنهُ مسبولا !
طفلةَ المقلتين ، يندىٰ حياءً كلُّ عضوٍ منها ، تقياً ، خجولا
كمحبٍّ يودُّ لو قالَ : أهواكِ .. ولكنْ يأبى التُّقى أنْ يقولا !

*

أينعتْ والأسى يُكفِّنُ مأواها ، ويقسو جورُ الليالي عليها
كلّما لاحَ للأماني وميضٌ أطْفأتهُ الأيامُ في مُقلتيها !
كلّما أترعتْ ، مع البؤسِ ، كأساً «حُطِّمتْ كأسُها على شفتيها» !
وحنانُ الآباء، يا ليتها تعرفُ معنى الحنانِ من أبويها

*

ما لتلكَ النفوسِ قد ثملتْ بالإثمِ في كأسِ شهوةٍ مجنونهْ
ما لتلكَ الأبصار ليستْ ترى البؤسَ المسجّى في النظرةِ المسكينهْ
ما لتلكَ الأسماعِ سُدَّتْ عن الآهاتِ ، عن صرخةِ القلوب الطَّعينهْ
أعينٌ لا ترى سوى لمعةِ التِّبرِ ، وسمعٌ لمْ يهوَ إلاّ رنينهْ !

*

أجمعوا كلُّهم على دفنِ ذاكَ النُبلِ حياً ، في مَيعةٍ من صباهُ
ذاتَ ليلٍ تواطأوا أن يَبيعُوها لشيخٍ فانٍ ، يُزكّيه جاهُ
أطفأ التبرُ ضوءَ عينيهِ حتى لم تعدْ تُبصرُ الثرى عيناهُ !
وتداعت عظامُهُ ، وكأنَّ الموتَ فيها تمشي حثيثاً خُطاهُ !

❋

كانَ ليلٌ ، ورهبةُ الصمتِ تسري في دروبِ المدينةِ الخرساءِ
الظلامُ الكئيبُ يرقبُ في يأسٍ طلوعَ النهار بالأضواءِ
وصفاءُ السّماء يعكسُ دنياً من نجومٍ يرجفنَ فوقَ الماءِ !
وإذا بالظلامِ ينشقُّ عن طَيفينِ في ذلكَ الطريقِ النائي

❋

مَنْ يكونان ؟.. همسةٌ أرجفَ الليلَ صداها ، وانسابَ في الظلماءِ
فترامتْ من كلِّ فجٍّ تهاويلُ سؤالٍ ، مبحوحةُ الأصداءِ
مَنْ يكونان ؟ مَنْ يكونان ؟.. واصطكّتْ شفاهٌ على بقايا النداءِ
ثمّ دوّتْ في الليلِ قهقهةٌ عظمى ، وصوتٌ يقولُ باستهزاءِ :

❋

أيها الهاربانِ من قدسِ إبليس ، ومن هيكلِ اللظى ، والدُّخانِ
إضربا حيثما تشاءانِ في الأقطارِ بَحثاً عن رأفةِ الرَّحمنِ
سوفَ لنْ تُبصرا على الأرضِ إلّا نارَ إبليس ، في دمِ الإنسانِ !
أيها الخارجانِ عن طاعةِ الشيطان ، بُوءا بلعنةِ الشيطانِ !

❊

أيُّ ليلٍ كأنَهُ شهوةُ المجرمِ يلظى فيها سعيرُ الشرورِ
قاتمٍ لا يكادُ يومضُ في آفاقِهِ السُّود بارقٌ من نورِ !
وفَحيحُ الرياحِ بينَ الورَيقات، كأنفاسِ مُجهَدٍ ، مَصدورِ !
وخُطى العابرينَ في كلِّ دربٍ كدبيبِ الفناءِ بين القبورِ !

❊

النجومُ المضناةُ تَتّسعُ الأضواءُ فيها ، كأنَّها أحداقُ
جاحظاتٌ تدنو رويداً رويداً في اتّساعٍ يشيعُ فيهِ احتراقُ
ثمَّ تغدو كُوىً من النارِ للصَّمتِ عليها ، وللدُّجى إطباقُ
أينما أوغلا أطلّتْ وفيها مثلَ لون الدّماءِ فَيضٌ يراقُ !

❊

وحفيفُ الأوراقِ يعبثُ بـالصَّمت.. وتشتدُّ فيـهِ هـوجُ الـريـاحِ
فتحيـلُ الـدُّجى عـويـلاً مخيفاً . كـجحيـمٍ يـضـجُّ بـالأرواحِ
وظِـلالُ الأغصانِ تُلوي بهـا الرِّيـحُ ، فتبـدو في الضـوءِ كـالأشبـاحِ
كلَّمـا اشتـدَّتِ الـرِّيـاحُ تلوَّتْ في أنينٍ كمثخَنٍ بـالجـراحِ !

*

كـلُّ شيءٍ يـوحي بلونِ الـدِّمـاءِ بالمُدى ، بالجراحِ ، بـالأشلاءِ
كـلُّ مـا في الـدُّجى كهـوفٌ يُـطلُّ المـوتُ منهـا ، بضحكـةٍ صفـراءِ
المصـابيحُ ، والنجـومُ الدَّوامي وعـويـلُ الـرِّيـاحِ في الـظلمـاءِ
حيثمـا وَجَّهـا العيـونَ تـردَّى شَـبـحٌ إثـرَ طعنـةٍ نجـلاءِ !

*

الصبـاحُ الـوليـد ينشـرُ في الأفقِ جنـاحينِ مثـلَ لـونِ الـذُّبـالِ
ثمَّ يمتـدُّ ضـوؤهُ ، يغمـرُ الآكـامَ ، والنهـر ، والـرُّبى ، والـدَّوالي
فتـدبُّ الحيـاةُ بين المـويجـات ، وفـوق الغصـون ، فـوقَ التـلالِ
وتفيـقُ الـدّروب تـدفن بُقيَـا حُلُم الأمسِ في مَطاوي الليَالي !

*

ثمَّ هـامـا لا يلويـان على شيءٍ ، غـريبَيـنِ في ديـارٍ قـصيّـه
وأطـلاّ عـلى قُـرىً آنسَـا فـيهـا خُلوّاً مـن الـعيـونِ الـخفيَّـه
فـاستقرّا ومـلءُ نفسَيهما من فَـزَعِ الأمسِ مـا تـزالُ بقيّـه
بين تلكَ الأكـواخِ كـوخٌ صغيرٌ ضَمَّ جسمين في فراشٍ سويّه !

*

وأفـاقَ الصباحُ ينسـجُ حـولَ الكـوخِ ثـوبـاً ممـوَّجَ الأضـواءِ
فتعـالىٰ صوتُ العصـافيرِ في الكـوخِ يُبشِّرنَـهُ بعـطفِ السّمـاءِ
وأطلّتْ من الثقـوبِ على الـزّوجيـنِ بُقيـا أشعـةٍ نـعسـاءِ
فـاستفاقا وفي العيونِ انكسـارٌ وعلى الـوجنتَينِ لـونُ الحيـاءِ !

*

خُـطواتُ الزمـانِ تطوي الليـالي وتجـوبُ النهـارَ إثـرَ النهـارِ
الشهـورُ العجلىٰ تمرُّ كـطيفٍ عـابـرٍ من ثـوَينيـاتٍ قصـارِ
وعلى الكـوخِ بسمةٌ ما طَوَتها عـاديـاتُ الأيـامِ والأقـدارِ
وصفـاءٌ في مقلتَيْ كلِّ مَنْ فيـهِ ، وعـطفٌ من كـلِّ خـلٍّ وجـارِ

*

ذاتَ فَجْرٍ ، والأُفْقُ ما زالَ لم يلفظْ من الشمسِ غيرَ قوسٍ هزيلِ !
وسَوادُ الدُّجىٰ على حُمرةِ الضوءِ دخانٌ على بقايا فَتيلِ !
والسكونُ العميقُ غافٍ على الأمواجِ ، والدَّوحُ في انتظارِ الهَديلِ !
وإذا صَرخةٌ يُهدهدُها الكوخُ بشيراً بفجرِ عهدٍ جميلِ

*

كانَ طفلاً كأنَّهُ بَسْمةُ الوَرد ، وطهرُ الندىٰ ، وقلبُ العذارىٰ
كأماني العشّاقِ ، كالحُلُمِ المعبود ، كالشَّوقِ في قلوبِ الغيارىٰ
كالهوىٰ المستبدِّ ، كالوحي ، كالإيمانِ ينسابُ في نفوسِ الحَيارىٰ
رَفرَفَتْ حولَهُ سعادةُ قلبَينِ يهيمانِ حَولَهُ حيثُ سارا !

*

وتمرُّ الأيامُ تحتضِنُ الطفلَ ، كأبهىٰ ما تحضنُ الأيامُ
أملاً تبسمُ الطفولةُ فيهِ عن رؤىً ملءُ طيفِهِنَّ ابتسامُ
شاعَ في الكوخِ غنوةً تَنعسُ النجوىٰ عليها ، ويحلمُ الإلهامُ !
فإذا الكوخُ بسمةٌ ليسَ تفنىٰ وحياةٌ كأنَّها أحلامُ

*

في غروب ، والشمسُ تنزعُ في الأفقِ كما ينزعُ السِّراجُ الخابي !
كانتِ الأمُّ في انتظارِ إيابِ الزَّوجِ تلهو بالطفلِ عندَ البابِ
ما الذي عاقَ زوجَها ؟ هوَ ما عوَّدَها قبلَ ذاكَ طولَ الغيابِ
ويعودُ الصوتُ الصغيرُ يناديها لتُرضي فضولَهُ بجوابِ

❊

قالَ : أُمّاهُ ، كيفَ جئتُ الى الدُّنيا ؟ وفي بيتِ مَنْ عثرتمُ عَليّا ؟
فأجابتْهُ وهي تضحكُ : يا طفلي ! أما قلتُ لستَ تفهمُ شيّا ؟
قالَ أُماهُ لِمْ ؟ لقد قلتِ لي بالأمسِ : أصبحتَ كالرجالِ فتيا
ثمَّ أخبرتِني بأنّيَ أذكى من أبي حين كانَ مثلي صبيًا !

❊

يا لها حجَّةً ، وضمَّتْهُ في عنفٍ إلى صدرِها ، وذابتْ عليهِ
قُبلاً تُدركُ الأُمومةُ معناها ، على ثغرِهِ ، على مُقلتيهِ
ولدي ، يا خيالَ أمسي ، ويا رؤيا غدٍ لنْ أكفَّ أصبو إليهِ
إسألِ الكوخَ ، لو يُحسُّ جمادٌ لروى كَمْ حواكَ في جانحيهِ

❊

سَلْهُ كمْ ليلةً سَهِرتُ أناجيكَ وأنتَ انفلاتَةٌ في خيالي
عن أغانٍ بالأمسِ ساءلتُ عنكَ الليلَ فيها ، وقد أجابَ سؤالي
فتململتَ في دمي ، فاسألِ الأعراقَ ، سَلْها عن حيرتي وابتهالي
سَلْ شعورَ الأنثى إذا ما أحسَّتْ أنْ ستغدو أُماً بُعَيدَ ليالٍ !

*

كانَ قلبي يكادُ يَغرقُ في فَيضٍ من الأمنياتِ بين ضلوعي
كمْ تَبَسَّمتُ والبُكا ملءَ عينيَّ ، وغنَّيتُ والأسىٰ في دموعي ! :
إعصفي بي كما تشائينَ يا أقدار ، لَنْ تُطْفئي سنىً من شموعي !
أملٌ بينَ أضلعي أتحدَّاكِ بأنْ تُطفئيه... لَنْ تستطيعي..!

*

ثمَّ أشرقتَ ملءَ ظُلمةِ كوخي وتململتَ خلجةً في سكونِهْ
كانَ فيهِ الحنينُ والعطفُ لكنْ أنتَ ذكَّيتَ ما خَبا من حنينِهْ
كنتَ في وحدتي سميري ، وسلوىً لأبيكَ الواهي القوى في شجونِهْ
كَمْ لوتْهُ الأيامُ فانفلتَ الدَّمعُ ، فكفكفتَ دمْعَهُ من عيونِهْ !

*

ولدي أنتَ ، لم تكنْ قبلَ هذا الكوخ فتّحتَ للسّنى ناظريكا
لم يُنبّهك قبلهُ قبَسُ الفجرِ ، ولا أطبقَ الكرى جفنيكا
وتنفستَ ، لم يكنْ لكَ من أهلٍ سوانا . . سَمّيتَنا والديكا !
كلُّ حيٍّ يا ابني لَهُ مثلنا أهلٌ ، يراهم كما ترى أبويكا

٭

قالَ : أمّاه ، إن يكنْ مثلما صوّرتِ ، كلُّ امرىءٍ لَهُ والدانِ
ليسَ يحيا بفقدِ عطفِهما إلاّ حياةً في ذلّةٍ وهَوانِ
أينَ أماهُ والداكِ ؟ لماذا لم يكنْ لي أبٌ كبيرٌ ثانِ ؟!
لَروى لي في الليلِ أقصوصةَ السُّعلاةِ ، والذئب ، وابنةِ السلطانِ !

٭

يا لَذكرى الماضي ، سؤالٌ بريءُ القصدِ لم تدرِ ما حَواهُ الطفولَهْ
غيرَ شوقِ الطفلِ المُلحِّ إلى التّسآلِ عن كلِّ ما يُرَوّي فضولَهْ
وتراءى طيفٌ من الأمسِ ، الآلام ، والبؤس ، والأماني الذّليلَهْ
والغنا في دمائِها شبحُ الإجرام يحيا على رمامِ الفضيلَهْ !

٭

لحظةً لم يُطقْ ، فهَمّ بأنْ يسألَ لكنْ ، كانتْ يَدٌ فوقَ ثغرِهْ
لم تُطقْ للسؤالِ صبراً فقد ساءَلَ حتى ضاقَتْ بهِ وبهَذْرِهْ
وأشاحتْ بوجهِها هَرَباً من نظرةٍ كانت السؤالَ بأسرِهْ !
فإذا عينُها تَسَمَّرُ في جسمٍ مخيفٍ سَدَّ الفضاءَ بصدرِهْ

❋

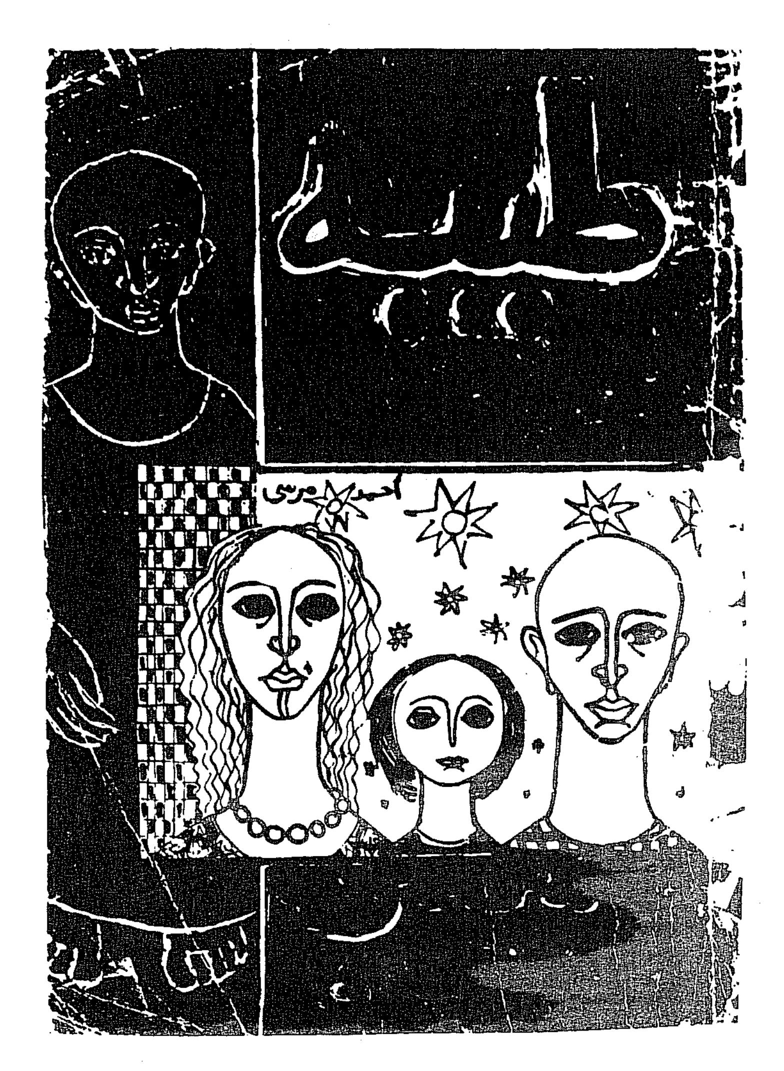
لمعةٌ أبرقتْ ، وأُطلقَ صوتٌ وتوارىٰ نصلٌ خلالَ ضلوعِ
ثمّ عادَ البريقُ أحمرَ تنسابُ عليهِ دماءُ قلبٍ صَريعِ
ويفيضُ النَّجيعُ من طعنةِ النَّصلِ على وجهِ طفلِها المفجوعِ
فإذا صرخةٌ يُقطِّعُها الرُّعبُ تلاشَتْ بينَ الدِّما والدُّموعِ

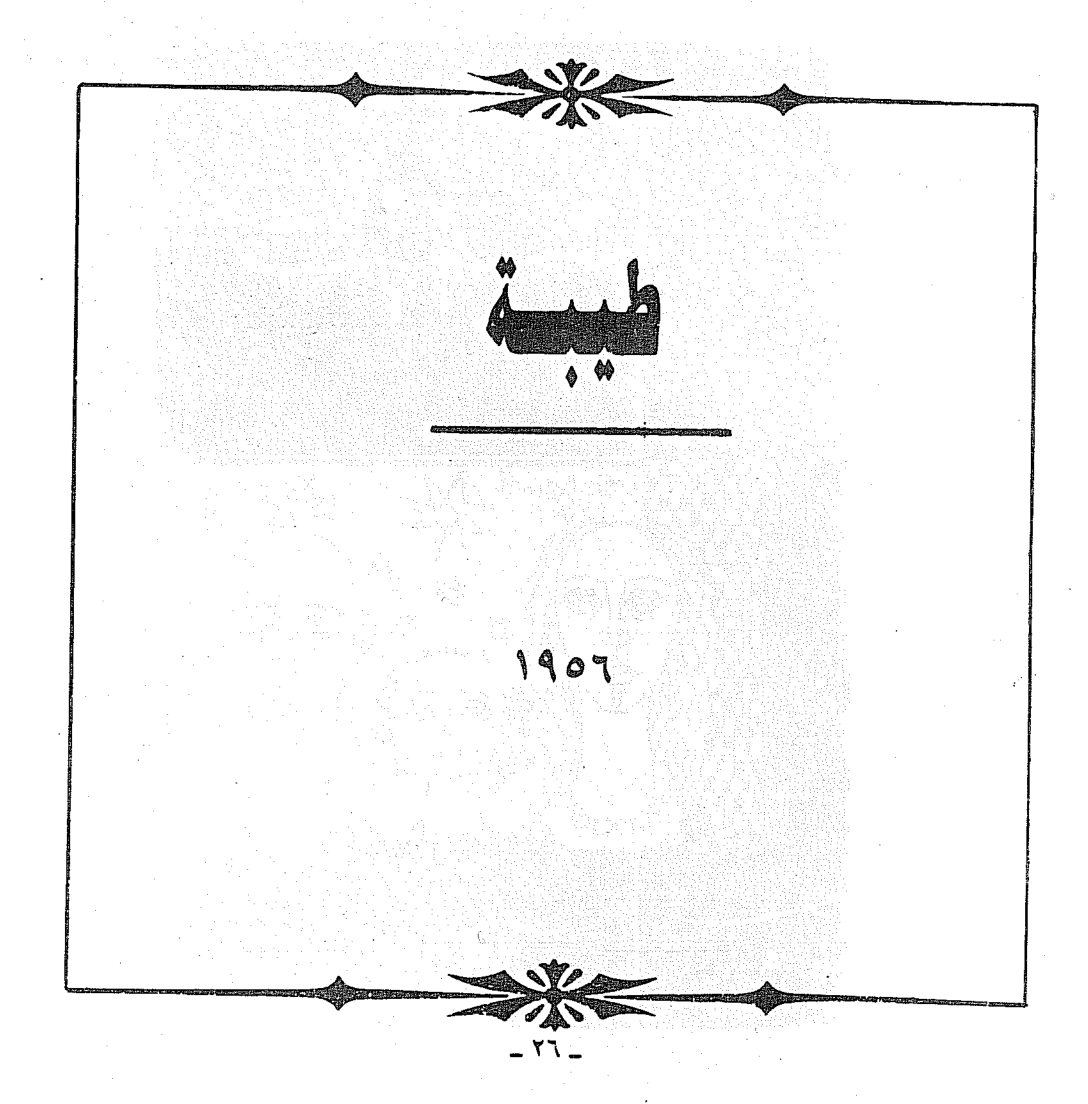
❋

لا تَخَفْ ، لا تخفْ بُنيَّ فذا جَدُّكَ يرعاكَ مثلما قد رَعاني
سوفَ يروي لكَ الأقاصيصَ في الليلِ عن الذئبِ ، وابنةِ السلطانِ
وانطفَتْ روحُها . . . إذا برجالٍ فوقَ أكتافِهم قتيلٌ ثاني !
ثمّ دوَّتْ في الليلِ قهقهةٌ عظمى ، وصوتٌ يَموجُ كالطوفانِ :

❋

أيُّها الهاربانِ من قُدسِ إبليس ، ومن هيكلِ اللظى والدُّخانِ
هذهِ شِرْعةُ العفافِ ،خُذاها واخرُجا من هياكلِ الشيطانِ
أرضُ إبليس لا يُدنِّسْ ثَراها بعد هذا الهوىٰ عفافٌ ثانَ !
سوفَ يبقى الشرُّ العظيمُ عليها ما ثوى الإثمُ في دَمِ الإنسانِ . . !


أحمد مرسي



# طيبة

١٩٥٦

## مقدمة

غمرتني ـ وأنا أكتب هذه المقدمة لديوان صديقي الشاعر الموهوب عبدالرزاق عبدالواحد ـ طيبة ـ ذكريات عزيزة على نفسي ، ذكريات أيامنا في دار المعلمين العالية عام ١٩٤٩ يوم كان عبدالرزاق يقرأ لي أكثر قصائده التي كان يكتبها ، فكنت أرضى كل الرضا عن بعضها وأسخط بعض السخط على بعضها الآخر ، وكنت أتوسم في شاعرها منذ ذلك الحين الموهبة !

ودارت بنا الأيام وتخرجت من دار المعلمين وتركت صديقي وهو يواجه مصيره وحده أمام : الزمن والنقد والنضال ( من أجل الحرف الملون والقافية الشرود ) وكنت أتتبع أخباره بشوق وأنا ألعن الليل وأغني لمصباحي ولمصابيح أخواني الشعراء في وحشة انتظاري وأعماق أرقي وحبي . ولكن الشيء الذي حدث ان أخبار صديقي الشاعر قد انقطعت أو كادت بعد تخرجه .

نحن الآن في عام ١٩٥٦ وما كان عام ١٩٤٩ وما تلاه من سنوات إلا حلماً أخضر بالنسبة لي ولاخواني الشعراء ، حلماً أخضر بالشمس والسنابل والحصاد . . . .

فأين هو مكان عبدالرزاق في قصائده هذه بين كثيرٍ من الشعراء الذين برزوا في هذه الفترة.

لأجل الحقيقة والتاريخ أقرر هنا ان أكثر هؤلاء الشعراء لم يكونوا بل لم نسمع بأسمائهم أو انهم كانوا في بداية الطريق يوم بدأ شاعرنا في نظم الشعر. فما هي أسباب عدم ذيوع اسمه وانتشار شعره على نطاق واسع مثلما ذاع وانتشر شعر الآخرين إذن ؟؟. . .

أعتقد ان شاعرنا ـ هنا ـ مسؤول بعض المسؤولية أولاً فقد كان باستطاعته أن يدرك ان الشاعر قد كُتِبَ عليه أن يناضل من أجل مكان تحت الشمس وان يصنع مصيره هو بنفسه. ويقع اللوم على مجلاتنا ثانياً ، التي لم تفسح لشعره حيزاً وهي التي اعتادت أن تنشر الكثير من تافه الشعر في أكثر الأحيان. وعلى أيامنا البشعة هذه التي لا تتيح للموهوبين منّا حياة كريمة يستطيعون فيها أن ينتجوا في جوٍ من الأمن والطمأنينة ، متحررين من العوز والفاقة التي كثيراً ما أخمدت مواهبهم.

إن ما استطاع أن يحققه عبدالرزاق في مجموعته هذه : انه استطاع أن يعبّر بشيء من الطلاقة واليسر عن هموم البسطاء من الناس ، وعن مخاوفهم وأعيادهم الأرضية وحبهم لكل ما هو جميل ومقتهم لكل ما هو هو قذر وبشع وكريه. . .

وبعبارة أخرى انه استطاع ( أن يعبّر عن المضمون الذي يزهر على شفاه البسطاء ).

« الحياة أغنية جميلة » رغم ما في كلماتها من لوعة وضياع ودموع هذا ما أوحته لي مجموعة ( طيبة ).

المجد لشعرائنا الذين يضيئون الدرب من أجل ثقافة عربية إنسانية.

١٩٥٦/٤/١٦ عبدالوهاب البياتي



## اهـداء

لا أُومنُ بشيء إيماني بالإنسان.

والى أنبل ما في كل إنسان

الى الطيبة فيه

أهدي هذه القصائد.

عبدالرزاق عبدالواحد



# طيبة

في قـريتي ، حيثُ تموتُ البـذورْ
وحـيـثُ لا يُـزرَعُ إلّا الـقـبـورْ
وحيثُ تـلهـو بـرؤوسِ الـورىٰ
كلُّ الخرافـاتِ ، وكـلُّ الشـرورْ
حيثُ يعيشُ الـنـاسُ من دونِ دورْ
أقـواتُهُم مـا في الثَّرىٰ من جُـذورْ
وحيثُ يَقسـو ، ويجفُّ الـشّعـورْ
وتَـجـأَرُ الأنـفُسُ حـتى تـثـورْ

في قـريتي ، وكلُّهـا تَـجْـهَـلُ
بُـحيرةً يـؤنـسُـهـا جـدولُ
تَسقي الـورَيْـداتِ التي تُهـمَـلُ
والـطيـرَ ، والـوحشَ ، ولا تبخَلُ
لـم يَتَمـوَّجْ حـولَـهـا سُـنبـلُ
ولـم يـبـارِكْ أرضَـهـا مِـنْـجَـلُ
لكنَّهـا في صَمْتها تَعـمَـلُ . . .

مندلي ١٩٥١

وأتى المساءْ

كان الصغارُ يُعربدونْ

يتراكضون ويضحكونْ

فَتَفَجَّرتْ يدُ أُمِهِم وهَوَتْ عليهم في جنونْ

ويُتمتمُ الأبُ وهو يَرقُبُهم وهم يَتصايحونْ :

يا أشقياءْ

حتى على الضَّحِكِ الرَّخيصِ تُحاسَبون وتُضرَبونْ ؟

أَفَذنبُكُم أنّا نجوعُ وأنَّكُم لا تَفْهَمونْ ؟!

مندلي

١٩٥١

# أقرباء

ما دامَ مَن حولَنا
لم يُبقِ شيئاً لَنا
فإنْ رأيتَ السَّنا
يشعُّ رِفقاً بِنا
فلا تَقُلْ : لي أنا
يُنيرُ هذا الضِّياءْ
فكلُّنا أقرِباءْ

إنْ لم يكنْ لي وِقاءْ
يدفعُ عني الشتاءْ
ثمَّ رأيتَ السَّماءْ

يمـوجُ فيـهـا السنىٰ
فـيحـضـنُ الأشـقـيـاءْ
فـلا تـقـلْ : لي أنـا
فـكـلُّنـا أقـربـاءْ

إن هَمَّ لَفْـحُ الهَجيـرْ
وأنـتَ مـثـلي فـقـيـرْ
وكـانَ ظـلٌّ صـغـيـرْ
يـلوحُ فـي مُـنـحـنـى
فـلا تـقـلْ : لي أنـا
لأنَّـنـا كـلّـنـا
فـي فقـرِنـا أقـربـاءْ

رأيتُ أُمِّي تجوعْ
حتى تجولَ الدموعْ
في عينِها الوادعهْ
فلم أجدْ في الضلوعْ
غيرَ أنينِ الجموعْ*
فكلُّها جائعهْ

أرى أبي في الخيالْ
يكدَحُ بين الرِّمالْ
كأنَّهُ في قتالْ
أراهُ في كلِّ حينْ
فأذكرُ البائسينْ
المُجهَدينَ الذينْ

(*) البيتان محذوفان من قبل الرقابة بالأصل.

يُقَطِّرونَ الدِّماءْ
فيغُربةٍ ،في انزواءْ
أذكرُ أنّا سَواءْ
وأنَّنا أقرباءْ !

مثلُكَ ، مثلُ الجَميعْ
أنا شقيٌّ صَريعْ
فإن رأيتَ النَّجيعْ
غداً على المطلعِ
فلا تقلْ :
مصرَعي
لونَ هذا الضياءْ
فكلُّنا في الدماءْ
أقرباء

بغداد
١٩٥٠

( * ) المقطع بمجموعه حذفته الرقابة في الأصل .

# لا بدّ أن نعيش

إن اظلَمَ الطَّريقْ
فلا تَخَفْ ، فكلُّ خطوةٍ لمنتهاهْ
أضاءَها صديقْ
أنظرْ إليهم . . دَمُهُم ما زال في ثراهْ*

سمعتُ مَـنْ يقولْ
« إنَّ فلاناً مُثقَلٌ بسبعةٍ صغارْ
فما لَـهُ يَسيرْ ؟ . . . »

---

*) حذفته الرقابة في الأصل.

ما برِحَتْ تجولْ
ملءَ حياتي كلَّما أُسقِطَ في يدي
عَينا أخي الصغيرْ
يضجُّ فيهما سؤالٌ يسحقُ الضَّميرْ :
« أَمَّنتَ لي غَدي ؟؟ »
فأنثني ، تكادُ كفِّي تَحطِمُ القَلَمْ
لا بدَّ أنْ يَعيشْ
لا بدَّ أن لا يَلتوي مثلي من الألَـمْ
وأقطعُ الطريقْ
ولا أعي أنَّ دمي في دربيَ انتشَرْ
لا بدَّ أنْ يعيش كالبَشرْ
مبتسماً طليقْ
لا يعرفُ الحرمانَ والعذابَ والأنينْ
فما تُريدُ من أبي سبعةِ سائلينْ . . . ؟؟

ما زلتُ حينَ أمسِكُ القلَـمْ
أُبصرُ أُمّي وأُخيّاتيَ في قَلَقْ
يَنْظُرْنَ للورَقْ
وربَّما يقطعُ هَمسُ أُمّيَ الكئيبْ
سكوتَنا المُريبْ
أسمعُها تقولُ للصِّغارِ في حَذَرْ
كأنَّها تخافُ أنْ أسمعَ ما تقولْ :
« قالَ لَـهُ الطَّبيبْ
ما زلتَ في خطَـرْ
لا بدَّ أن تَهْدأَ أو يستفحلَ المرَضْ . . »
وإذْ تَراني ساكتاً يعصرُني الألَـمْ
وقبضَتي تَشدُّ في عُنفٍ على القَلَمْ
تَخرجُ بانكسارْ
وتُخرِجُ الصِّغارْ

أفهمُ ما يجولْ
في قلب أُمّي عندَما يخيِّمُ الذّبولْ
في وجهها وهي تراني يأكل المرضْ
جسمي ولا تَقوى على شيءٍ سوى الدموعْ
أفهمُ ما يَروعْ
صغارَها ، ثمَّ يخطُّ الحبرُ في ثَباتْ :
مَـنْ استكانَ ماتْ
ومَـنْ أرادَ أن يعيشَ أعجَزَ الجحيمْ
عن سَلْبِهِ الحياة . . !

بغداد

١٩٥٦

# دم الآخرين وحق الحياة

«الى المناضلين الأحرار في المغرب العربي»

فرنسا اذكُري ، لمْ يزلْ للطُّغاةْ
طغاتكِ بالأمسِ ، ظلٌّ ثقيلْ
عليكِ ، وما بَرِحَ الباستيل
رُكاماً يذرُّ بوجهِ الحياةْ
ووجهِكِ ، من أمسِكِ المُظلمِ
رمالاً مشبَّعةً بالدمِ
دمِ الأبرياءْ . . .

فرنسا اذكُري ، كلُّنا أقرباءْ
وهذي الدماءُ كتلكَ الدِّماءْ
وما هَـدَّ ذاكَ الجدارَ الرَّهيبْ
من الدّمِ فيكِ ، وما زَلزَلَـهْ
وما أنزَلَ المِقْصَلَـهْ

على عُنُقِ الجَورِ فيكِ وما حوَّلَ المهزَلَـهْ
الى ثورةٍ وانتصارْ
فرنسا اذكُري الشَّعبُ ثارُ
وشعبٌ لشعبٍ قريبْ
وفي كلِّ شعبٍ لهيبْ
إذا جُنَّ شَـدَّ العُرىٰ
وهَـزَّ أذَلَّ العبيدْ

فرنسا اذكُري قيصرا
وطغيانَ عبدالحميدْ
وما زالَ وَشْمٌ لهتلرَ في أرضِـكِ المُـثْـقَـلَـهْ
تُرىٰ ما الذي حَـوَّلَـهْ
الى منعةٍ واعتداءْ ؟

تَـعوَّدتِ أنْ تَغْرَقي بالدماءْ
فرنسا ، إذا كانَ هذا الفِداءْ
وقَـصَّـرَ شعبٌ فما أَبْـخَـلَـهْ !

سيفهَمُ جُندُكِ مَعنى الكفاحْ
ويفهَمُ أنَّ ارتزاقَ السِّلاحْ
جبانٌ أمامَ الدَّمِ
أبيدي ، اسجنِي ، هَـدِّمي
فجيشُكِ ليسَ كجيشِ التَّترْ
ولا فيكِ نيرونُ يهوي البَـشَـرْ
على قدميهِ .. هو ابنُ الإلَـهْ
ولكنْ ، ولكنَّ شيئاً سواهْ
إلهاً سواهْ
أطاحَ بهِ في حضيضٍ مهينْ .
فرنسا اسمَعيها مِنَ الآخرينْ
دمُ الآخرينْ
وحقُّ الحياهْ . . .

بغداد ــ ١٩٥٦

## بشير (١)

بشيرْ
يا مَلجأي الأخيرْ
مِنْ تعبِ العيشِ ومن كفاحِـهِ المَريرْ
يا طفليَ الصَّغيرْ
إنَّ أخاكَ مُتعَبٌ مبلبلُ المصيرْ
فاضحَكْ فقد تُريحُـهُ طفولةُ الضَّميرْ . . .

أتَفْهَمُ الجهادْ ؟!
إنَّكَ ما زلتَ صغيراً دونَ ما أرادْ
يُريدُ إفهامَـكَ شيئاً قبلَ أنْ يَزولْ
لو كنتَ تَنمو مسرعاً . . حتّامَ لا تَطولْ ؟ !

(١) أخو الشاعر وهو طفل في الثالثة من عمره.

لو كنتَ . . لا ، لا وقتَ يا طفلي . . أرى السّيولْ
سَتَجرفُ الدُنيا جميعاً قبلَما يقولْ . . .

**الحلة ــ ١٩٥٤**

# ردّ على رسالة

إنْ كانتْ الحياهْ
أن نُطلِقَ الزَّفيرَ كي نستقبلَ الشَّهيقْ
وأن ننامَ مُثْقَلينَ ثمَّ نستفيقْ
لنجرَعَ الطَّعامْ
ونكدَحَ النَّهارَ كلَّه لكي نَنامْ
في الليلِ صامتينْ
فلا يَندُّ عن شفاهِنا سوى الأَنينْ
فإنَّنا نعيشْ . . .

إنْ كانتْ الحياهْ
أن نُفهِمَ الصِّغارَ أنَّهم إذا شَكَوا
لأنَّهم جياعْ

أو أنَّهم بَكَوا
لِلُعبةٍ لا يُدرِكُونَ أنَّها تُباعْ
بغيرِ ما لأهلِهم مِن طيبةِ القلوبْ
نُفهمُهُم بأنَّ هذي كلّها ذنوبْ
وأنَّ في الليلِ سَعالىٰ تأكُلُ الصِّغارْ
إذا بَكَوا . . وأنَّهم قد أغضَبُوا الإلَـهْ
إن كانتْ الحياه
كهذِهِ فاننا يا سيدي نعيشْ . . !

بغداد ــ ١٩٥٦

# الطفولة الخائفة

لا تَخْشَ يا طفلي الصَّغيرْ ، إنَّها السَّماءْ
ألا تَرى المطرْ ؟
أنظرْ الى الصغارِ يَلعبُونَ في العَراءْ
شِفاهُهُم زَهَرْ
يستقبلُ الرَّذاذْ
أَنظُرْ إليهم لا يخافونَ من البَريقْ
ولا مِن الرّعودْ
يَجرون في الطريقْ
وتَعلَقُ المياهُ بالثيابِ والشّعورْ
فَيَنسِلونَ كالعصافيرِ ويَركضونْ
وهم يُزقزقونْ
ألا تراهُم يَملأونَ الدَّربَ بالحبورْ

مثلُكَ هُم صِغارْ
يَنمونَ كالورودِ بالضياءِ والمطَرْ
وطيبةِ البشَرْ
مثلُكَ هُم صغارْ
فَفيمَ تخشى أنتَ بينَما يُصَفِّقونْ
للضوءِ والمياهْ

يا طفليَ الصَّغيرْ
لو كانَ هذا البرقُ ناراً تأكلُ الشِّفاهْ
وتحفرُ العيونْ
لو كانت الرّعودْ
قنابلاً تهوي فيهوي ذلك الجدارْ
فوق رؤوس هؤلاءِ الصِّبيةِ الصِّغارْ
لو قَطَراتُ الغَيثِ كانت كلُّها رَصاصْ
وغَصَّتْ الدّروبْ

بالنارِ ، بالأشلاءِ ، بالحجارِ والدِّماءْ
بالناسِ لا تَدري لأيٍّ وِجهةٍ تَلوبْ
فما الذي تفعلُ يا طفلي . . بِمَنْ تَلوذْ ؟
يحميكَ هذا الدَّمع ؟؟ ما أضعَفَهُ مَلاذْ
إنْ أُضرِمَتْ حولَكَ حتى اللُّعَبُ الصِّغارْ
يا طفليَ المَروعَ من تَساقُطِ الرَّذاذْ . . .

**الحلة ـ ١٩٥٤**

# سطوح

. . . وَوَشَىٰ عَويلُ بناتِ آوى بالظلامِ وبالسّكونْ
فَتجاوَبَتْ مِن كلِّ بابْ
أصواتُ آلافِ الكلابْ
وَتَغلغَلَتْ تُلقي السَّلامَ على المَسامعِ والعيونْ

وعلى السطوحِ الواطياتْ
فوقَ الوَسائِدِ والمَفارِشِ ، تحتَ مروَحةِ القَمَرْ
كانتْ أحاديثُ السَّمَرْ
تَجْترُّ آلافَ المشاكلِ ، والمَشاهِدِ ، والصُّوَرْ . . .

ـ بالأمسِ ماتَ أبو فلانْ
إسمَعْ الى نَقْرِ الدَّرابكِ . . إبنُهُ عقَدَ القرانْ
أبناءُ هذا الوَقْتِ . . هه . . سُحقاً لهذا مِن زَمانْ !

ـ أَرأيتَ مَدرَسةَ البَناتْ ؟
رَوَت ابنتي أنَّ المديرةَ والحَريمَ الباقياتْ
يَسْألْنَهُنَّ : أَيمكثُ الجيلُ الجديدُ مُحَجَّباتْ ؟
سَتَمُوتُ في بيتي الفَتاةْ
لم يَبْقَ إلاّ عِرضُنا ، حتى كلامُ اللّهِ ماتْ . . !

وتثاءَبَ الأطفالُ ، ثمَّ هَوَتْ رؤوسُهُم الصِّغارْ
فوقَ الوَسائِدِ واستَراحوا
وعَلا نُباحُ
فانحازَتْ الصُّغْرىٰ ودَسَّتْ رأسَها بينَ الكِبارْ . .

وَعَلَتْ زَغاريدُ النِّساءْ
وتَتابَعَتْ أصداءُ إطلاقِ البنادقِ في الفَضَاءْ

وَهُنا ، على سطحٍ قريبْ
وعلى بَقايا كالأسِرَّةِ ، كانَ تَعليلُ غَريبْ
لأُمورِ هذي الكائناتْ . . .

ـ نحنُ الشَّبابْ
لا بدَّ أنْ نَمْضي لِنُثْبتَ أنَّ تيَّارَ الحياةْ
أقوىٰ من المُتَعفِّنينْ
أقوىٰ من الخوفِ الحقيرِ ومِن دموعِ اليائسينْ
لا بدَّ أن نَمْضي ولوْ فوقَ الأسِنَّةِ والحِرابْ(*)
لا بدَّ مِن أن لا نَهابْ
شيءٌ عظيمٌ أنْ تُحاوِلَ . . أن ترى شيئاً عظيمْ
أن تستحيلَ الى دمٍ يغلي وقلبٍ مِن جحيمْ
شيءٌ عظيمْ
أن تُبْصِرَ الخَيرَ المُقدَّسَ في الطريقِ ، وفي البيوتْ
ألّا ترى طفلاً يموتْ !
أو غادةً مثلَ الغُرابِ تَكَفَّنتْ جسماً ورُوحْ
فكأنَّ ظاهِرَها على ما في سَريرتِها يَنوحْ !

---

(*) حذفته الرقابة في الأصل.

وتتابعَ الإطلاقُ ، وارتفعَتْ زَغاريدُ النِّساءْ
وتمَلْمَلَتْ أوصالُ إنسانٍ يُغَمْغمُ في استياءْ :
ـ لِـمَ لا . . دَعيهم يَضْحَكُونْ
أفليسَتْ الدُّنيا لهم يتخيَّرون ويَتركونْ ؟
مَـنْ أنتِ ؟ نامي دونَ ثرثرةٍ . . غداً يَتَذَكَّرونْ
هذي الحُثالةَ . .
ـ لا تُعربِدْ . . لستُ أجْهَلُ مَـنْ ان أكونْ
إنِّي أحاولُ دُونَ جَدْوى أن أقرَّ وأَنْ أنامْ
ـ لِـمَ تَهْرفينَ إذَنْ ؟؟
ـ ألا تُلقي على هذي العِظامْ
شَيْئاً لِتَستُرَها ؟ أيُبقي شَكْلُها في مُقْلَتَيكْ
نوماً ؟ ألا حاوَلْتَ يوماً أنْ تُحِسَّ بما علَيكْ ؟
تَتزوَّجُونَ وتُنْجِبونْ
وَتُطالبونَ بأنْ نَزيد ، ويأكلونَ فتغْضَبونْ
مَـنْ لي بأنْ أُهديكَ أولاداً وليسَ لهم بطونْ !
ـ نامي وإلاّ نمتِ مُكْرَهةً . . غداً يَتَذَلَّلونْ

سيوزّعونَ اللحمَ ، سوفَ نذوقُ مِمّا يأكلونْ
سَنذُوقُ لحماً تَفْهَمينْ ؟
ـ أَجَلْ سَيَفْتَحُ ألفَ بابْ
عظمٌ غداً يُلقى إلينا . . سوفَ لا يَبْقى عَذابْ
عظمٌ سيَجْعلنا نهزُّ ذيولَنا مثلَ الكلابْ !
يَتَصدَّقونَ عليك . .
ـ ماذا ؟ إخْرَسي . . يَتصدُّقونْ ؟؟
أأنا ؟ عليٌّ أنا ؟ أنا « علوان » ، هم يَتَصدُّقونْ ؟؟
أنا يا بليدةُ مَـنْ يكدُّ . . أنا أكدُّ ويأكلونْ

وجرى عتابْ
وَتَستَّرَ القَمَرُ البريءُ كأنّـهُ اسْتَحيى فغابْ
وسرى على كلِّ السطوحْ
طيفُ النُّعاسِ فأغْفَت النَّجوىٰ ، ونامَتْ كلُّ روحْ
وَبَناتُ آوىٰ في السُّكونْ
يُلقينَ أمواجَ السَّلام على المسامعِ والعيونْ . . .
مندلي ـ ١٩٥١

## ســـلّ

لِـمَ لا يَقُونْ
أجسامَهُم هذا العَناء ، أَما تراهم يَلْهَثُونْ ؟
عشرونَ يوماً ، لم يَحيدُوا ، كلَّ يوم ٍ يُقبِلُونْ
يَتَجَمَّعون هناكَ ثمَّ يُحَدِّبونَ ويَحفرونْ
عشرونَ يوماً ، يحْفُرونَ ، ويلْهَثُون ويَسْعلُونْ
تلكَ الجنَازةُ . . قبلَ يوم ٍ كانَ صاحبُها هنا
كانوا كما هُم ، يَحْفُرونَ ويَلْهَثُونَ ويَسْعلُونْ
ورَأيْتُهُ لمّا دَنا
مِنْ فجوةِ القبرِ الصَّغيرةِ قبلَ أن يُحثى التُّرابْ
فيها وتمتمَ . . إيهِ . . انَّ أباكَ يقرَعُ كلَّ بابْ
ويدورُ يَسْأَلُ كلَّ مَـنْ يَلْقى ، ويَنْتظِرُ الجَوابْ
لا تَكتئِبْ . . سَيجيءُ بعْدَكَ فَهوَ يَسعلُ في جنونْ

بل هُم جميعاً يَسْعلُونْ . .
وَحَثا التُراب . . وها هَوَ الأبُ في جموعِ الآخرينْ
يَحْثو الترابَ على الجنازةِ . . إنّه رجلٌ أمينْ
فلقدْ وَفىٰ دَينَ ابنِهِ . . وَلَهُ ، لَهُ أيضاً ديونْ
حَسناً . . سَيُوفي بعدَ حينْ
فهُمو جميعاً يَسْعلُونْ . . . !

مندلي ــ ١٩٥١

# من حياتنا

أَدْري بأنَّكِ رغمَ هَوْلِ الدَّاءِ لا تَتكلَّمينْ
أَدْري بأنَّكِ تَنْزَعينْ
وتُغالِطينَ المَوتَ خِشيةَ أن أراكِ . . أنا المريضْ
تَتَأَلَّمِينْ . . .
أَدْري بأَنَّكِ تَنْزَعينْ
ويكادُ يَقْتُلُني ، أنا الخاوي اليَدَيْن ، أنا المَهيضْ
مَرْآكِ قُربي تَضْحَكِينْ
كَيْلا تُعذِّبَني شَكاتُكِ . . ليتَ أَنَّكِ تَشْتَكينْ . .

ماذا بوسْعِكِ أنتِ يا أُمّاً لسبعةِ أشقياءْ
طَوَّفْتِ حتى بالحليبِ ، أعزَّ أيامِ الشتاءْ
تَتَخَبَّطينَ مع الشّروقْ

فوقَ الوحولِ ، وَنَعْلُكِ المَهروءُ يَوسِعُ مِنْ شُقوقْ
قَدَمَيْكِ . . . لَنْ أنسى رجوعَكِ ذاتَ يومٍ تَلْهثينْ
كُنّا جميعاً نائمينْ
فَقَبعتِ ، كي لا تُوقظِينا ، في سكونٍ تَنْشِجينْ
ونَهَضْتُ فانْقَطَعَ البكاءْ
فرأيْتُ بينَ الطينِ في قَدَميكِ آثارَ الدّماءْ . . .

ما زلتُ أذكُرُ كيْفَ قُلْتِ وأنت تُخْفينَ الدّموعْ :
لم أستطِعْ إخراجَ رِجلي والنِّعال من الوحولْ
وَخَشيْتُ أبطىءُ في الوصولْ
قد يَغْضبونْ
إنْ أرجَعوا بيَدي الحليبَ فما عَساني أنْ أقولْ
لأولئكَ الأطفالِ إن أخفقْتُ . . ماذا يأكُلونْ
فَتَرَكْتُهُ ومضَيْتُ حافيةً فخَانَتْني قوايْ
ووَقَعتُ . . فانْسَكَبَ الحليبْ
شُلَّتْ يَداي

ما خَانتاني قبلَ هذا اليوم . . أقدامي تَهونْ
لكنْ صِغاري ، والدروسُ تَطولُ ، ماذا يأْكُلونْ؟

ما زِلتُ أذكرُ كلَّ شيءٍ . . كيفَ كُنتِ تُردِّدينْ
الدَمعُ في عيْنَيكِ ، والنَّعلُ العَتيقُ دمٌ وطينْ
وتُرَدِّدينْ :
« لا لَنْ أبيعْ
طَوقي فما زالَ المُلَقِّحُ فَوقَ أعناقِ النَّخيلْ
تسعونَ يوماً والبَشيرُ يَلوح . . »[1]
والدَّرْبُ الطَّويلْ
تَنْسابُ مِنْ قَدَميْكِ في أطيانِهِ بُقَعُ النَّجيعْ

أدْري بأنَّكِ تنْزَعينْ
أدْري . . وأَدْري أنَّ أُختي ما تزال على الحَصيرْ
تَرْنو إلى كلِّ الوجوهِ ، ولا تَئِنُّ ، ولا تَقولْ

---

(١) من أغنية جنوبية باكية :
ما بيع طوكي والملكح بالنخل    تسعين ليلة والبشير يلوح

وَتَوقَّدُ الحُمَّى بأعظُمِها الصَّغيرةِ . . والذّبولْ
والضَّعف . . الضَّعفُ المخيفُ يَروعُ مَضْجَعَها الصَّغيرْ
لِفَراغِهِ وذبولِها . . لكنَّها لا تَسْتَجيرْ
تَتَوقَّدُ الحمّى بجبْهَتِها وَيَعْصرُها اللهيبْ
وتَجفُّ في صَمْتٍ كئيبْ
كورَيْقَةٍ سَقَطَتْ وجَفَّتْ مِنْ ورَيْقاتِ الخَريفْ . .
« الطفْلُ لا يَتحمَّلُ التّيفو فما بالُ الضَّعيفْ ؟ »
كُنّا نُردِّدُها وتَسْمَعُنا وتنظرُ في ذهولْ
نحوَ العيونِ المُحدِقاتِ ، ولا تَئِنُّ ، ولا تَقولْ

أدْري بأنَّكِ تَنْزعينْ
وبأنَّ طفلَتَكِ الصَّغيرةَ ملءَ عينِكِ تَسْتَحيلْ
شَبَحاً يُلَوِّحُ بالرَّحيلْ
وأخي يُقطِّعُهُ السُّعالْ
سنتانِ . . عمرٌ ليسَ يَدْفَعُ عَنْهُ آلاماً ثِقالْ
وأراكِ قُرْبي تَسْكُتينْ
أدْري بأنَّكِ تَنْزَعينَ وإنْ تكوني تَضْحَكِينْ

ماذا بوسْعِكِ أنتِ .. حتى الشَّيخ .. العَوْنُ الأَخيرْ
غامَتْ على عَيْنيهِ أهوالُ الحياةِ ، وما يَزالْ
يَسْتَنْزِفُ الضَّوءَ الأخيرَ بِمُقْلَتَيهِ على الرِّمالْ
لِيَمُدَّ شيئاً في حياةِ المُبْصِرينَ .. هوَ الضَّريرْ

ما زِلتُ أذكُرُ كلَّ شيءٍ رغمَ إيغالِ السِّنينْ
وأكادُ أُبْصِرُهُ ، وأُبصِرُ صَرْخَةَ الأمَلِ القَتيلْ
أملٍ قَطَعْتِ بِهِ السِّنينَ تُكافحينَ وَتَرقبينْ
شَبَحَ المُلقّحِ في النَّخيلْ
إني أكادُ أراهُ .. أبصرُ ذلكَ القلبَ الطَّعينْ
في مُقْلَتَيكِ وأنتِ قربي رغمَ دائِكِ تَضْحَكينْ

أدري بأنَّكِ تَنْزَعينْ
أدْري بأنَّكِ رُغمَ هَوْلِ الدّاءِ لا تَتَكَلَّمينْ . . .

**السعدية ــ ١٩٥٥**

# ميلاد في الموت

تَمُرُّ بي ثَوانْ
أُحسُّ فيها بفراغٍ يُشْبهُ الضَّياعْ
ها نحنُ لا أمانْ
لا قوتَ ، لا مصيرَ غيرَ الموتِ والسُّكونْ
أخي ، أُخَيّاتيَ ، أُمّي ، كُلُّهم جِياعْ
أُحِسُّ بينَهم جميعاً أنَّني مُهانْ
مُكَبَّلٌ ، جَبانْ
لُقمَتُهم سَلَبْتُها وقُلْتُ تَسعَدونْ
غداً سَتَسْعَدُونْ
غداً ، غداً . . يَلوحُ حتى غَدُنا خِداعْ
وَيُجْفِلُ الضَّميرْ

لسْتُ أَعي شيئاً ولكنْ ، أَشْعرُ الدّموعْ
تجولُ في عَيْنَيَّ حتى تهدأَ الضّلوعْ
فلا يعودُ غيرُ شيءٍ مُبْهَمٍ صَغيرْ

وبينما أَسيرْ
ومُقْلتايَ تَرْقُبانِ النّاسَ في الطَّريقْ
أُحسُّ بالحياهْ
أُحِسُّ أنّي أُحِبُّ كلَّ مَنْ أراهْ

أكادُ أسْتَوقِفُ إنساناً على الطَّريقْ
لكي أُحَيّيهِ . . يكادُ دونَ أنْ أعي
يَنِدُّ مِن فمي نِداءٌ : أيُّها الصَّديقْ
يا أصدقائي . . إنَّكم . . إنّي . . ولا أقولْ
شيئاً ، وأمشي بينَهم وأدمعي تَجولْ
أُحسُّها تَجولُ في عينيَّ مِن جديدْ
لكنّني سَعيدْ . . .

بغداد ــ ١٩٥٦

# في منـدلي

« من ايام المرض »

وتثاءَبَ المقهى ، وأغلَقَ بابَهُ الخَرِبَ العَتيقْ
وخَلا الطريقْ
إلاّ مِن الكاوي يُثَبِّتُ قُفْلَ دكانٍ صَغيرْ
وصديقُهُ الحلاّقُ يَرْمقُهُ . . وشَحّاذٌ ضَريرْ
يَسعى كعادَتِهِ الى المقهى ، بقايا مِن عِظامْ
تَتسلّقُ التَّخْتَ العتيقَ وتَسْتَقِرُّ لكي تَنامْ . .

وَ أخَذْتُ دَرْبي في شرودْ
عيناي غارقتانِ في ذاتي ، وذاكرَتي تَعودْ
بي للوراءْ . .
لي أصدقاءْ
ماذا تُراهُم يَفْعَلُونَ الآن ؟؟ ها هوَ ذا المساءْ
مَعْبودُ دنيانا هناكْ

كم شَدَّ أهواءً إليهِ وكم تَنفَّسَ عن رَجاءْ
وكم التقَتْ فيهِ رَغائبُنا . . وكَمْ كنّا نَشاءْ

لي أصدقاءْ
لي جَنَّةٌ ضاعَتْ هناكْ . .

وانسَدَّ بابْ
وتَدحرَجَتْ كُرَتان خَلْفَهما أَبٌ وسَوادَتانْ
تَتراطَنانِ وتَبْعُدانْ
وانْسَلَّ صوتُهُما رويداً ثم أبعَدَ . . ثم غابْ

لي أصدقاءْ
ما زالَ ملءَ دمي خيالُهُمُو ، وما زالَتْ هُناكْ
عينانِ تَلْتقيانِ سهواً بالعيونِ وتَهميانْ
فاتَ الأوانْ
انَّ الذي خِفناهُ كانْ
وارْبَدَّ صوتٌ : « لا أُريدْ

خُذْ طفلَكَ الملعونَ واترُكْني أَفِرُّ فلا أراكْ
لا أنتَ ، لا ابنَكَ ، لا أَباكْ . . »
عُودي . . فصاحَتْ : لا أُريدْ
ما دُمْتَ تُقْسِمُ كلَّ يومٍ ثمَّ تَسْكَرُ مِن جَديدْ . . ! »

وانْسَدَّ بابْ
وتسابَقَتْ جُثَثٌ وَأَيْدٍ ، والتَقَتْ ، وَعَلا سُبابْ
وَتهافَتَ الأعْوالُ شيئاً بعدَ شيءٍ ثمَّ غابْ . .

سُحْقاً لهم . . لِمَ يَشْرَبُونْ
ما دَامَ هذا الكأسُ يَشْرَبُهُم ويشربُ ما يَعُونْ !

وَمَشَيْتُ في ضَجرٍ وَضِيقْ
رجلٌ صَفيقْ
أدمىٰ رُؤايَ وما أزالُ أسيرُ في بَدْءِ الطَّريقْ

ومضيتُ ألعَنُ كلَّ شيءْ
قد كِدْتُ أُبصِرُ مُقْلَتيها
سُحقاً لها مِن بلدةً ولكلِّ مَن يحيا عليها !

وَتَصايَحَتْ بعضُ الكِلابْ
وأطلَّ وجهٌ ثمَّ غابْ
وَتَساقطَتْ « أهلاً وَسَهْلاً » مِن فَمي مثلَ السُّبابْ . . !

تَبّاً لَهُ ، ما زالَ نَفْسَ الشَّكل . . الطُّولُ البَغيضْ
والنَّظْرَةُ الصَّفْراء ، والأنْفُ المُقوَّسُ ، والشِّفاهْ
كالقَرْحَةِ الزَّرقاءِ تَدْفعُ للتَّقزُّزِ مَـنْ رآهْ
وَيلُمَّ مَـنْ وَلَدَتْهُ هَل وَجَدَتْ بِمَذْأبةِ أباهْ ؟!

حَقاً مَريضْ
منذُ الصَّباحِ شَعَرْتُ بالحمَّى فَلَمْ أعبأْ . . مَريضْ
عَيْشي بِرِمَّتِهِ هُنا مَرَضٌ . . حياةٌ في حَضيضْ

« پيك لاخ تَعالْ »
وعَلا سُعالْ
وتَحشْرَجَ الفَمُ بالشَّهيقْ
ثُمَّ استقَرَّتْ بَصْقَةٌ كُبرى بقارعةِ الطَّريقْ

ما زال « جورجُ » هنا . . عجيبٌ أمرُهُ ، لِـمَ لا يَنامْ
أَفَلَمْ يَزَلْ يَرْجو زبائنَ . . أيُّ زِنديقٍ كبيرْ
يأتيهِ في هذا الظَّلامْ ؟؟
ـــ « تَفَضَّلْ . . ولو فَدْ پيك . . » وراسِكَ لا . . أُفَضِّلُ أنْ أسيرْ

ما أضيعَ الإنسانَ في هذي الخرائبِ والقبورْ
حتى الرِّفاق ، مِن المدارسِ ، للمقاهي ، للخمورْ
يسْتنْزِفونَ بها الضَّميرَ ويَقْتُلونَ بها الشُّعورْ . .

وأنا ؟ أَلَـمْ أَقْبَعْ هناكْ
كالآخرين ؟ أَلَـمْ أُحدِّثْ بالتَّوافِهِ ذا وذاكْ ؟
هيهات . . عَينُكَ أنتَ تُبْصِرُ كلَّ شيءٍ ما عداكْ !

أهلاً « سَعيدْ »
أيُّ امتحانٍ ؟؟ . . لا . . غداً سيكونُ موضوعٌ جَديدْ

عِندي غداً دَرْسانِ . . إيهْ
النَّحوُ قبلَ النَّوم ما أشهى نعاسَ العينِ فيهْ . . !

سُحْقاً لَها من مُعمياتْ
ماذا جنى هذا المراهِقُ . . هؤلاءِ اليافعونْ
الصَّاعِدُونَ الى الحياةْ
لِيُكَفِّنوا أسمى عَواطِفِهم بما لا يفقَهونْ ؟

« قَعَدا وقامَ العاقلانْ »
ما ضَرَّ هذا لو تَنازَعَ معمَلٌ لا عاملانْ !
أفهذهِ لُغةٌ على هذا المراهِقِ أنْ يَعيها ؟
وَمَـنْ البَليغُ مَـنْ الذي آخى ولو حَرْفَينِ فيها ؟
لكأنَّ درسَ النَّحوِ يُرجى منهُ إفسادُ اللسانْ !

عندي غداً درْسان . . وَيْحي ، أيُّ أخْيِلَةٍ تَجوسْ
في جانحيَّ ؟ أما كفاني أنْ سَأُفني في الدّروسْ
عمري ، وأنّي سوف يَجذبُني ويَدفعُ كلَّ يومْ
جَرَسٌ كناقوسِ الوَفاةْ
الوَقتُ فاتْ
وأكادُ أركُضُ ، ما يزالُ بمقلتيَّ لُهاثُ نَوْمْ
الوَقتُ فاتْ
ويظلُّ يَقْرَعُ ، ثمَّ يُعلنُ أنَّ نِصْفَ اليومِ ماتْ . .

وَتَلفَّتَتْ عيناي . . . ذلكَ ضوءُ مُنْعَطَفِ الطَّريقْ
ثمَّ اسْتَدَرْتُ وعُدْتُ أدْراجي أنامُ وأسْتَفيقْ . . .

مندلي ـ ١٩٥٢

# صانع الأسلحة

« بعض اجواء المصنع في القصيدة مستمد من كتابات غوركي »

١

. . . والتفَّ ثُعبانُ البُخارْ
وَعَلا الصَّفيرُ الثاقِبُ الوَحشيُّ يَفتتحُ النَّهارْ
فَأحسَّ وهوَ على الفطورْ
يَرنو الى طِفْلَيهِ وابنتِهِ ، بسكينٍ تَغورْ
في بَطْنِهِ كالثَّلج . . فارتَدَّتْ يَداهُ عن الطعامْ
وَتَلَعْثَمَتْ شَفَتاهُ عن شيءٍ ، فَتَمْتَمَ . . ثمَّ قامْ

كانَ الصَّباحُ كأنَّهُ كَفَنٌ يُلَفِّعُ كلَّ بابْ
وَجَحافلُ العُمّالِ تَزْحَفُ في وُجومٍ واكْتئابْ
كَمسارِبِ الدّيدانِ ، تَنأى ، ثمَّ تغرَقُ في الضَّبابْ
وَصَفيرُ ثعبانِ البخارْ
ما زالَ يَثْقُبُ كلَّ شيءٍ ، كلَّ سمعٍ ، كلَّ دارْ

فَتَرْمجرُ الأَعصابُ في حَنَقٍ ، وَتحتدِمُ الصّدورْ
وتَكادُ تَنْفجرُ الرؤوسُ ، تَكادُ عاصفةٌ تثورْ
والمصنعُ المجنون يَفْغَرُ فاهُ كالوَحشِ المُريعْ
فَتَغيبُ في أحشائِهِ السّوداءِ أفواجُ القَطيعْ . .

وَتَمَلْمَلَ الوَحشُ الكَبيرْ
وتَحرّكَتْ في جوفِهِ الآلاتُ تَمضغُ في هَديرْ
اللحمَ والدّمَ والضّميرْ !

وَكَمِثْلِ أجْنحةِ الذُّبابْ
كَرَفيفِ حَشْدٍ مِن ذبابٍ تافهٍ قذرٍ يَموتْ
في كَهْفِ أفظَعِ عنْكبوتْ
تَهتزُّ آلافُ السّواعدِ في هياجٍ واضطرابْ !

وهناكَ في القَعْرِ البَعيدْ
وَبقيَّةُ الإنسانِ تَصفعُها عَمالقةُ الحديدْ

بهدِيرِها المجْنونِ ، بالصَّخَبِ المُدَمْدِمِ ، بالصَّفيرْ
في ذلكَ الغَورِ المُزَمْجِرِ حيثُ يُحْتَضَرُ الضَّميرْ
كانتْ حُشاشةُ آدميٍّ تدفعُ النَّزعَ الأخيرْ . .

مثلَ العَصافيرِ الصِّغارْ
لا يَبْرَحونَ العُشَّ حتى يَضْمَحِلَّ بهِ النَّهارْ
فَيُفتِّحونَ لأهلِهِم أفواهَهُم ويُزَقزقونْ
مِن حسنِ حظّي أنَّهم لم يَبْرحُوا لا يَفْهَمونْ
لا يَفْهَمُون مِن الأنينْ
إلاّ أنينَ المُترَفينْ
لا يَفْهمونَ بأنَّ لُقمَتَهم دماءُ الآخرينْ !

وأثارَ عملاقَ الحديدْ
فاختَضَّ في خَنَقٍ وزمْجَرَ وهوَ يلْفُظُ مِن جديدْ
قِطَعاً مِن المِسْخِ الوَليدْ . .

لا بُدَّ مِن إحكامِ مِفْتاحِ الرَّصاصِ لكي نَعيشْ
فالموتُ في طَلْقٍ يَطيشْ
الموتُ . . مَوتُ الجوعِ ، أبشَعُ ما يموتُ المَيِّتونْ
ذاكَ التَّغَوُّرُ في العيونْ
والنَّظْرَةُ الوَحشيَّةُ الزَّرقاءُ تَفْغرُ في جنونْ
فَمَها لتأكلَ كلَّ شيءٍ ، كلَّ شيءٍ ، والبطونْ
تَتَخشَّبُ الأيْدي عليها ، والصُّراخُ ، والانتحابْ
وَتَكالُبُ الغَرثى على القِطَطِ المَروعةِ والكلابْ
وفِرارُها مِن كلِّ بابْ
والخوفُ ، والهَلَعُ المدمِّرُ ، والتَّنازعُ ، والنِّساءْ
يَنْهَشْنَ مِن أطْفالِهِنَّ ويَرتَجفْنَ مِن الدِّماءْ
لا ، لَنْ يَموتُوا ، لَنْ أُسَلِّمَهُم الى هذا المصيرْ
لا بدَّ مِن إحكامِ مفتاحِ الرَّصاصِ . . سَنَسْتَجيرْ
بالقَتْلِ مِن هذا السَّعيرْ . . .

بالقَتْلِ ، ما دامَتْ حَياةُ الآخرينَ بأنْ نَموتْ
وتحرَّكَتْ يَدُهُ فأمْسَكَ بعضَ أشلاءِ الحَديدْ
بالقَتْلِ . . لنْ تَجِدَ البيوتْ
كلباً يعيشُ بها ولحمُ ابنَيَّ في فَكَّيْهِ قُوتْ !

وَبِمِثْلِ آلامِ الذَّبيحْ
كانتْ يَداهُ بكلِّ أشلاءِ البَنادقِ تَعثُرانْ
وَتُرَكِّبان . . وكانَ يَشْهقُ ثمَّ يزفرُ في فَحيحْ
وكأنَّهُ يَسعى ليصنَعَ كلَّ شيءٍ في ثَوانْ . . .

٢

ها أنتِ جاهزةٌ رَهيبَهْ
تَتَطلَّعينَ إلى يدٍ أخرى تَمُدُّكِ بالرَّصاصْ
لِتُسدِّديهِ الى صدورٍ تكتبينَ لها الخَلاصْ
مِن هذهِ الدُّنيا المُريبَه

لصدورِ أوغادٍ محاجرُهُم بألفِ دَمٍ خَضيبهْ

وَتشَنَّجتْ يَدُهُ بعنفٍ فوقَ مِقبضِها الصَّقيلْ
فتراعَشَتْ وكأنَّ فيضَ دم .. بحارَ دمٍ تَسيلْ
مِن لَوْنِهِ ، وتكادُ تَثقُبُ رأسَهُ عَيْنا قَتيلْ !

لصدورِ أَطفالٍ يَتامى لَم يَرَوا في الأرضِ طيبه !
لصدورِ آباءٍ عيونُ صغارِهِم أبداً كئيبه
يَتطلَّعونَ الى الفمِ المملوءِ في دعَةٍ مُذيبه !

ورأى خيالَ ابْنَيْهِ يَبْتَسِمانِ ، وابنتِهِ الوَديعَهْ
فاختَضَّ في هَلَعٍ وَغطَّى فتحةَ النارِ المُريعَه

لِتُسدِّديهِ الى الصُّدورْ
لصدور مَنْ لَم يَعرفوا لونَ السَّعادةِ والسّرورْ
لصدورِ كلِّ الأبرياءْ
لصدورِ كلِّ المُتْعَبينَ من الصَّباحِ الى المساءْ

لصدورِ أطفالٍ كأطفالي هُنالكَ آمنينْ
يَتَراكَضُونَ ويضْحَكون لكلِّ شيءٍ في حَنينْ
حتى إليكِ وأنتِ نَحوَ قلوبِهِم تَتوجَّهينْ !

وتَلاحقَتْ أنفاسُهُ رُعباً ، ولاحَ لهُ صِغارُهُ
دَمُهُم يَسيلُ على يَدَيْهْ
يَتَخَبَّطونَ على الثَّرى وَيُحدِّقُونَ بمُقْلَتَيْه !

يا مُجرمونْ
الموتُ يا متوحّشونْ
يا قاتلونَ دماءُ أولادي هنا .. يا قاتلونْ

وجرى الى عَرْضِ الطَّريقْ
يهذي ويَصرخُ وهو يركضُ في الشَّوارعِ في جنونْ
حتى تَقَحَّمَ بابَ منزِلِهِ ..
رآهُم يَلْعَبُونْ
فتراكَضُوا ليضُمَّ أسْبَقَهم الى الصَّدرِ الحَنونْ ..!

وَبِمدخَلِ الوَحْشِ الصَّفيقْ
كانَ الرجالُ يُهمهِمونَ ويأسَفونَ على صَديقْ ..

وخلالَ ساعاتٍ عَديده
كانتْ ظلالُ سحابةٍ سوداءَ مُوحشةٍ تَحومْ
فَتُميتُ كلَّ صدىً ، وتغمرُ كلَّ شيءٍ بالوجومْ
حتى خُطى الماشي وَدَمدمةَ العماليق البليده

وخلالَ أيامٍ عَديده
كانت جماعاتُ الرِّجالِ الخارجينَ من البيوتْ
في الصُّبحِ تَصفُرُ، ثمَّ يُسْمَعُ أنَّ أوصالًا جديده
في الوحشِ توشِكُ أن تموتْ ..

٣

والتَفَّ ثعبانُ البُخارْ
وَعَلا الصَّفيرُ الثاقبُ الوَحشيُّ يفتتِحُ النَّهارْ

فأحسَّ وهوَ على الفطورْ
يَرنو الى طفْلَيْهِ وابنتِهِ ويضحكُ في حبورْ
بسعادةٍ عُظمى ، فَقَبَّلَهُم وتَمْتَمَ في انتِشاءْ :
هيّا كُلُوا . . ستَرونَ هذا اليومَ كلَّ الأصدقاءْ
– وجَميعُكُم تتحدَّثونْ ؟
– لا بأسَ يا طفلي ، وَقَبَّلَهُ . . قريباً تكبرونْ
وسَتَفْهمون . .
وكان ثُعبانُ البُخارِ بلا انتهاءْ
يلتفُّ في حَنَقٍ ، ويَصْفِرُ غاضباً ، والأصدقاءْ
يَتجمَّعُونَ ببيتِ صاحبِهِم . .
ويبتَسِمُ الصِّغارْ
زهواً لكثرة ما يُداعبُهُم رفاقُهُم الكبارْ . . . !

بغداد – ١٩٥٢

# الحصاد

. . . وكنتَ ترى فوقَ ذاكَ الحجارْ
ألوفَ المحاريثِ والحارثينْ
تُقَصِّدُ أعراقَها في القفارْ
لِتَجْني السَّعادةَ للآخرينْ
وَمرَّتْ شهورٌ . . وهَلَّ المَطَرْ
ولم تَخُنِ الأرضُ جُهْدَ البَشَرْ . .

وكانت حقولٌ . . وجاءَ الربيعْ
يَشعُّ بِأدْفأِ ما يَسْتطيعْ
عليها بأضواءِ آذارِهِ
فَتزْهو كأنفاسِ أزهارِهِ

وَمَرَّتْ شهورْ
وَوَدَّعَت الأرضُ لونَ الزَّهورْ
وظلَّ اخضرارُ المراعي يَمورْ . .

وَمَـدَّ حُـزَيْـرانُ نـيـرانَـهُ
إلـيـهِ فَـغَـيَّـرَ ألْـوانَـهُ !
وكـانَ جفـافٌ . . جفـافٌ شَـديـدْ
وكـانَ اصفـرارُ المـراعي يَـزيـدْ

وفي كلِّ حينْ
يَحومُ المُرابي على الزَّارعينْ
وفي مُقْلَتَيـهِ سَمـاحٌ وَلِيـنْ
فيـرتعـدُ السُّنْبـلُ المُسْتَكينْ

لقـد كـانَ ثَمَّـةَ سِـرٌّ مُـريـعْ
يَشـدُّ الـذئـابَ لِحفْظِ القَـطيـعْ !

وذاتَ مساءْ
وبينـا غَفـا يحـلُمُ السُّنْبـلُ

سَرَتْ هَمْسَةٌ في رحابِ الفَضاءْ
تَنـاقَلَهـا الكـوخُ والجـدْوَلُ
وبـاتَ يُـرَدّدُهـا المنجَـلُ
غنـاءً على سَحْبَةِ انمبـرَدِ :

« هم المؤمنـونَ بـخيـرِ الـغَـدِ
هم الزارِعونْ
غـداً يحصِدُونْ
ومَـنْ جَحَـدَ الأرْضَ لم يَحصِدِ !»

وكـانَ ضـيـاءُ الـقَـمَـرْ
يمـوجُ عـلى الـسُّـنْبـلِ
عـلى الـكـوخِ والـجـدوَلِ
عـلى الـكـائـنـاتِ الأُخَـرْ
وأروَعُ مـا يَـنْـجـلي
عـلى هـؤلاءِ الـبَـشَـرْ !

وكانوا نِياماً بملءِ العُيونْ
بِمَحْصُولِهم في غدٍ يَحْلُمُونْ

هُنا قبلَ عامْ . . .
وفي ليلةٍ مثل هذي تموجْ
بآمالها في اصفرارِ المروجْ
وفي مثلِ ، في مثلِ هذا الظلامْ
يُفَضِّضُهُ نَفْسُ هذا القَمَرْ
وَنَفْسُ الحُقولِ ، وَنَفْسُ البَشَرْ
هُنا قبلَ عامْ
تَغَنّى لهم مِنْجلٌ بالحصادْ
تَغَنّى وسادْ
وراءَ أغانيهِ صَمْتٌ رَهيبْ . .

وفي فَجْرِ يومِ الحصادْ
وفي فَجْرِ ذاكَ النهارِ المُريبْ

وَبَيْنا المناجِلُ تَهوي
وتلــكَ السَّواعِـدُ تَطـوي
وَبَينـــا تَكَوَّرَ ذاكَ الأمَــلْ
تِــلالًا تلاقَتْ عليهـا المُقَلْ

وَبَينا الأهازيــجُ والهازجـونْ
وأفـواهُهُم وهمـو يُنشِــــدونْ
تَكـادُ تُقَبِّلُ ما يَحْصِـدونْ

وَبَينا يكادُ الغِناءْ
يَسدُّ رِحابَ الفَضاءْ
سَرَتْ فيهِ وَهْوَهةٌ كالفَحيحْ ..

رُويداً عَلَتْ ، كَشَخيرِ الذَّبيحْ ..
وَفي البُعدِ ، لاحَتْ رُؤوسُ النَّخيلُ
بِعُنْفٍ تميلْ ..

ومَــرَّتْ ثَوانٍ .. ثَـوانٍ رَهيبـه
تَلَــوَّتْ عَذابـاً وَخوفـاً ورِيبـه

وكنتَ تَـــرى أعْيُنـــاً تلتقي
ويـومضُ فيهـا بَـــريقٌ شَقي

وكانَ صَدى الرّيحِ يَعلو رويدا
فيشتَـدُّ هَـوْلًا ويَـــزْدادُ كَيْـدا

وكالقاتلينْ
محاجِرُهُم لم تَعُدْ تَسْتَكينْ ..

وراحَتْ ثيـــابُهُم الخـــائِفـهْ
يُـداعِبُهـا مَطْلَـعُ العـاصفـهْ !

وَمَرَّتْ ثَوانْ
ولاحَتْ تـوَشْـوِشُ كـالأُفْعـوانْ
طـــلائعُ ليـلٍ ثَقيـلِ الـدُّخـانْ

وضاعَ بريقُ المَناجِلَ
وفوقَ تِلالِ السَّنابلْ .
تَرامَتْ وحوشُ تُناضِلْ
وكانَ رجاءٌ ويأسٌ ، وحبٌّ ورعبٌ يُقاتِلْ
لقد كانَ أنبَلُ ما في الحياةِ بعنفٍ يُحاولْ . . .

ولكنَّ حُلْمَ الصَّباحْ
تَعاوَتْ عليهِ الرّياحْ . . .

وكنتَ تَرى في انتهاءِ النَّهارْ
بقايا المناجِلِ فوقَ الحجارْ
وبِضْعَ خُطىً تَرْتَمي في انكسارْ . .

ولم يَمْضِ حينْ
وقبلَ امتدادِ يَدِ الحاصِدِينْ
لِتَجْمَع ما تَركَتْ من مناجِلْ

وقبلَ جفافِ عُروقِ السَّنابلْ
أطلَّتْ على الزّارعينْ
عيونُ المُرابي الأمينْ !
وفيها سؤالٌ دَفينْ . . .

وكانَ الجوابْ
وكانَ على الأرضِ ، أرضِ الجِنانْ
وأرضِ السَّعادةِ ، أرضِ الأمانْ
يَدا بشرٍ تَخْبزانِ التّرابْ !

ومَرَّتْ شهورْ
وَجَدَّ على الأرضِ بعضُ القُبورْ
ولكنَّ شيئاً نَما في الصدورْ
ومَرَّتْ شهورْ
وكنتَ تَرى قسوةً في الشعورْ
وحقْداً على كلِّ شيءٍ يثورْ . .

وكانَ سَنا كلَّ فجْرٍ يُعيدْ
الى الأرضِ هيكلَ مَيْتٍ جديدْ

ومَرَّتْ شهورْ
وكانَ كلامٌ غريبٌ يَدورْ

رَوَوا أنَّهم آمنُوا بالنَّشورْ
فَشَقُّوا الثَّرى وأزاحُوا الصَّخورْ
ولَمْ يَدَعُوا مَيِّتاً في القبورْ

وقالَ البَنونْ
لقد أقسَمُوا أنَّهم يَزْرَعونْ
وقد جَمَعُوا كلَّ ما يَمْلِكونْ
وَأزَّتْ محاريثُهم في جنونْ
وطَشُّوا البذورْ
ونامُوا بأطفالِهم يَحْلُمُونْ !

ومَرَّ الزَّمانْ
وفي فَجْرِ يومٍ كيـومِ النّشورْ
تصاعَدَ صـوتٌ عظيمُ الحَنـانْ
تَغَنَّى بـهِ منجـلٌ في مكـانْ
فماجَ الصَّدى فوقَ تلكَ القبورْ
ورَدَّدَهُ كـلُّ حـيٍّ جَسـورْ
بصـوتٍ قويٍّ حَنونٍ نَـدِي :

« هم المؤمنـون بـخيـرِ الـغَـدِ
هم الزّارعونْ
أتَوا يحْصدونْ
وَمَـنْ جـحَـدَ الأرضَ لَمْ يَـحصِـدِ ! »

وكـنتَ تَـرى فـي الصَّبـاحْ
أغانيَّـهـم للبيـادِرْ
وأفـراحـهـم والبَشـائرْ
وإيمـانَهـم بالكفـاحْ . . .

منذلي ــ ١٩٥٢


عبد الرزاق عبد الواحد
النشيد العظيم
(٣)



# عبدالرزاق عبدالواحد

# الشاعر الانساني

بقلم

الدكتور صلاح خالص

يسرني أن أقدم هذا المجموع الشعري لشاعر فذ من شعراء الشعب. . شاعر فذ من شعراء الكفاح العنيد من أجل المُثُل الانسانية العليا. . شاعر فذ من شعراء النضال من أجل الحرية والكرامة الوطنية. . شاعر كان دائماً في طليعة الصفوف يتلقى ضربات أعداء الوطن وخصوم البشرية بصبر وعناد شاحذاً قلمه لمقارعة الظلم ومنافحة الاستبداد دون كَلَلٍ أو مَلَل.

وإذا كنا نغمط في أكثر الأحيان حقوق شعرائنا المناضلين الذين نذروا أرواحهم وعصروا نفوسهم ليصوغوا من مشاعر الشعب وآماله وأمانيه أناشيد خالدة تنقلها الأجيال للأجيال ، فإننا أكثر غمطاً لحق شاعرنا المبدع عبدالرزاق عبدالواحد. . شاعرنا الصنديد الذي لم يلق

سلاحه أبداً في المعركة الكبرى الدامية التي خاضها شعبنا الجبار ضد أعداء الانسانية وعبيد الاستعمار ودعاة الحرب والدمار. . أقول إننا أكثر غمطاً لحقه لم نعطه ما يستحقه من تقدير ولم نضعه في محله الجدير به بين جنود الفكر وأبطال الثقافة.

لقد قيض لي أن أعرف هذا الشاب الأسمر النحيل ذا النظرات الطيبة الوادعة والقلب الكبير الملتهب. . قيض لي أن أعرفه مدرساً في المدارس الثانوية تتقاذفه المدن النائية وتلاحقه تقارير الشرطة السرية حتى فُصِلَ من وظيفته وقُطِعَتْ عنه موارد رزقه، وقيض لي أن أعرفه في معسكر السعدية الذي فتحه خونة العهد البائد لأحرار الشعب من المثقفين الذين أبعدوهم عن وظائف الدولة ثم عرفته وهو يقاسي شظف العيش ويعاني مرارة الحاجة بل ويقوم بأعمال يدوية يسد منها حاجاته ويعيل أسرته الكبيرة. . عرفته وقد أطبقت عليه الحياة من كل جانب، ولكنه بقى مع ذلك كله شامخ الرأس، أشم الأنف، صلب القناة، لم تهن له عزيمة أو تخبو عنده همة. . بقى صامداً بثقة وإعتداد، مؤمناً بالانسانية، مؤمناً بالشعب، بالمستقبل الوضاء الذي

كنا نلمح دائماً أشعته البراقة تلوح خلال شعره فتبرد كلمة اليأس التي كانت تكتنف القلوب الضعيفة وتخيم على الأنظار القصيرة.

ولعل أروع ما في عبدالرزاق عبدالواحد هي إنسانيته العميقة، إنسانيته التي تفيض على كل شيء حوله فإذا هو يشعر ويحس وينطق ويسمو في هذا الشعور والاحساس والنطق الى أسمى درجات النبل الانساني. إن عبدالرزاق عبدالواحد لم يستطع مطلقاً أن ينظر الى نفسه فرداً مستقلاً لا صلة له بما حوله، بل كان دائماً يشعر انه جزء من الانسانية، بل ان الانسانية كلها متمثلة فيه، فهي تغني بلسانه وترقص على أنغامه ويفيض شعورها وإحساسها من قلبه. فيروي شعره ويتدفق من أبياته ليجد طريقه الى نفوس بني الانسان ممتلكاً لشعورهم وإحساساتهم. ولم يكن عبدرزاق عبدالواحد متكلفاً في ذلك أو متصنّعاً له فكل شيء في حياته كان يشحذ إنسانيته وينقّي قلبه من الأدران. فهو من أبناء هذا الشعب الذي أدمت معصميه القيود وأقرحت ظهره السياط ولكنه لم يلن ولم يستكن، انه من أبناء هذا الشعب الذي شاركوه في ضرائه وسرائه، شاركوه في آلامه وآماله، شاركوه في أحلك أيام

بؤسه وأسوأ ساعات ضيقه دون أن يخطر في أذهانهم التنكّر له أو ممالأة أحداثه. . إنه من أبناء هذا الشعب الذين رفضوا تسخير أنفسهم لخدمة الاستعمار والتمسح بأذيال أذنابه ، بل آمنوا بحقهم وكافحوا من أجله واثقين بالنصر ، حتى كانت ثورة ١٤ تموز الجبارة وتناثر نظام الظلم والاستبداد الذي شيده الاستعمار وأذنابه قطعاً ممزقة تحت ضربات الشعب وفي مقدمته جيش العراق الباسل. . ولكن عبدالرزاق عبدالواحد لن يكف عن الغناء ، فهو شاعر السلام ، شاعر السعادة البشرية والرفاه الانساني ، لذا سيبقى شعره وغناؤه يردد آمال الانسانية في السلام والسعادة والرفاه.

وفي هاتين القصيدتين الرائعتين اللتين نقدمهما للقراء تتجلى إنسانية عبدالرزاق عبدالواحد بأروع مظاهرها وأجلى وجوهها ، كما تتجلى شاعريته وإحساسه الفني.

فموضوع قصيدته الأولى « الحرب » وموضوع الثانية « السلام » القصيدة الأولى حمم مستعرة وضرام ملتهب. والقصيدة الثانية سلسل رقراق ونشيد هادىء رقيق. : القصيدة الأولى غضب وحنق وسخط. .

موت ودمار وخراب. . والقصيدة الثانية حب وحياة. . آمال مشرقة وأماني باسمة. ولكن في كِلتا القصيدتين تتجلى إنسانية عبدالرزاق التي سبق الحديث عنها قبل قليل. . في كِلتيهما نرى البشرية كلها تنشد فظائع الحرب وتتغنى بنِعَم السلام. أنظر الى هذه الصورة المروعة في قصيدته الأولى من الحرب حيث تثور عوامل الشر وتزمجر شياطين الفناء والدمار !

الموتُ ، يا حربُ  لا أبْقيتِ مزرعةً
إلّا وقد هَجَرَ  المحراثَ راعيها
إلّا وقد حَرَّثتها النارُ وانْتَشَرَتْ
هامُ الضحايا بذوراً في نواحيها !
الموتُ . . يا جُثَثَ الأطفالِ ، إرتفعي
قربانَ لحمٍ لربِّ النارِ تأليها
ويا مدى مزّقي الأرحامَ واقتلعي
من جوفها الطفل شحماً ثم ألقيها

وأنتِ يا نارُ ،مَن تلك التي قبعتْ

الطفلُ أرهق ثدييها . . أريحيها

يا حربة اخترقي أضلاعها وذري

دماً يقطرُ في ثغْرٍ يناغيها

الموتُ . . يا نار ثوري ، يا دما انهمرى

يا لحمُ كن مِزَقاً يا ريح ذريها

لقد تبرَّمت الدنيا بهدأتها

فقوِّضيها على أشلاءِ أهليها

يا جوع يا جوع أحرقْ كلَّ سنبلةٍ

واجعل رواها دماً من قلب ساقيها

من قلبِ مَنْ نخرَ المحراثُ أيديَهم

لفرطِ نخر الثرى حتى قضى فيها

دود الأراضي اسحقيها في أراضيها

وقوّضي فوقها بالى ماويها

ألا ترى معي روعة هذه الصورة الصاخبة لعوامل الموت والفناء والدمار وهي تنقض على الانسانية بطشاً وتقتيلاً ، ألا تحس برعشة تعتري جسمك من أم رأسك الى أخمص قدميك حين تبصر شياطين الشر تنطلق من عقالها لتنكل بالانسانية أبشع تنكيل وتسحقها سحقاً دون شفقة أو رحمة . . ألا تتفق معي أن الذي ينشد هذه الأبيات ليس عبدالرزاق عبدالواحد فقط بل الانسانية كلها ، الانسانية الحريصة على مستقبلها ، والمدركة لبشاعة الحروب .

ثم أنتقل بعد ذلك الى قصيدته الثانية « النشيد العظيم » نشيد السلام يتردد من الكون كله : من الطبيعة بجبالها ووهادها وسواقيها ومروجها ، من البشر كلهم ، من الطفل الصغير والأم الرؤوم والكادح المتعب والسجين المصفد بالأغلال ، ومن كل هؤلاء البشر الذين يملأون حنايا وزوايا الطرقات ، ومن كل صورة من صور الكون وكل مظهر من مظاهر الحياة . .

مِن خَريرِ المياهْ
وهي تنسابُ فوق سفوحِ الجبالْ
في سواقي الشمالْ

مِن أغانيِ الرعاةْ
في مروجِ الجنوب
حينَ يَغْفو عليها سكون الغروب
والدجى إذ يؤوب
مِن وميضِ كواكبِهِ في الظلام
ترتمي في ارتخاء
رائعاً كالضياءْ
يا نشيد السلامْ

مِن ضياءِ القمر
في ليالي الخريف
واصفرارِ الشجر
بعدَ طولِ الحفيف
مِن تَساقط أوراقهِ في الألق
مِن عَزيفِ النسائمِ بين الورق

ويجيء الشتاء
مدلَهم السماء
مِن هديرِ الرعودِ ونَقْرِ المطر
مِن عويلِ الرياح ونوح الشجر
وارتجاف الحمام
راجياً أن ينام
ترتمي في ارتخاء
رائعاً كالرجاء
يا نشيد السلام . . .

مِن عيونِ الصغار
وهي تَرنُو الى البابِ عندَ الغروب
في أنتظار أب في دياجي الحروب
كلَّما اهتزَّت البابُ سادَ انتظار
واشرأبَّت قلوب
ثمَّ عادت الى بعضها في انكسار

إنه لن يؤب

مِن بريقِ الرجاءِ بتلكَ العيون

مِن وميضِ الأسى في انطباق الجفون

ترتمي في ارتخاء

وادعاً كالرجاء

حينَ يومض في أعينِ الأبرياء

يا نشيد السلام

لن أقول لك شيئاً أيها القارىء الكريم إذ لا بد أن تقرأ القصيدة كلها لتحلق مع عبدالرزاق في هذا العالم الرائع ، في هذا الكون الذي ينشد من أقصاه الى أقصاه هذا النشيد العظيم ، نشيد السلام ، نشيد المحبة والإخاء وستجد نفسك تنشد مع الشاعر ومع الكون كله هذا النشيد الرائع وتجد نفسك جزءاً لا يتجزأ من هذه الانسانية العظيمة السائرة نحو النور ، الطامحة الى السعادة والرفاه ، وستحتقر أولئك الشعراء الأقزام

الذين انطووا على أنفسهم يعبثون بعُقدهم النفسية فيزيدونها تعقيداً على تعقيد ثم يحاولون أن ينظروا خلال هذه العُقد الى الانسانية فلا يبصرون منها سوى عُقدهم وأزماتهم الشاذة ، وهكذا فلا يعبّرون إلا عن كل صورة شوهاء يستنكرها الشعور الانساني ويمجها الذوق السليم.

لن أطيل عليك أيها القارىء أكثر من ذلك ، بل أتركك مع عبدالرزاق عبدالواحد تنشد معه هذه الأناشيد الرائعة وتتمتع بهذه الصورة الفنية الجميلة ، منهياً كلمتي هذه بتحية تقدير واعجاب للشاعر الانساني عبدالرزاق عبدالواحد. . تحية تقدير واعجاب لشاعر الشعب العراقي الذي لم يكل عن النضال من أجل تحقيق أهدافه وأمانيه. . تحية تقدير واعجاب لجندي الفكر العراقي الحر الذي صمد في ميدان المعركة ببسالة وعناء الى جانب إخوانه أبناء الشعب حتى تحقق النصر على أعداء الحرية والانسانية.

ولا أشك في اني لا أعبّر عن شعوري فقط ، بل عن شعور جميع الأحرار المخلصين من أبناء شعبنا الأبي.

بغداد في ١٩٥٨/١١/٢٥      صلاح خالص

نُظِمَتْ هاتان القصيدتان في عهد الارهاب السعيدي عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ وقد ضاع مع الاسف الكثير من قصيدة النشيد العظيم

الناشر

---



# الحرب*

في قبْضَتَيْكِ اصفرارْ — وَمِلءُ عَيْنَيْكِ دَمْ
ثوري فأنتِ الدَّمارْ — وأنتِ أنتِ العَدَمْ

تَفَجَّري باللَّظىٰ — وأطْبقي بالدُّخانْ
وَرَدِّدي : ما انقضى — عهدٌ ولا جَدَّ ثانْ !

تلكَ القبورُ انظري ما مادَتْ بأهليها
وازَّلْزَلَتْ وتَشَظَّى كلُّ ما فيها

ألقتْ هياكِلَها للنارِ وانْدَلَعَتْ
فانْهَدَّ سافِلُها وانهارَ عاليها

وقَرْقَعَتْ رِمَمُ الموتى يُدَحرِجُها
صَوتُ النُّشوزِ ، وَغِلُّ الموتِ يَلويها

---

* القصيدة التي فازت بالجائزة الأولى في مهرجان دار المعلمين العالية الشعري عام ١٩٥١ .

فتارةً ثورةُ الإنسانِ تدفَعُها
وتارةً صرخةُ الشَّيطانِ تَثْنيها

تلكَ انظُري قَبْضَةُ التاريخِ ، كيفَ جَرَتْ
فيها الدِّماءُ ، وما أبْقَتْ مَجارِيها

وكيفَ لم يَتْرُك الطغيانُ مِن دَمِها
عِرْقاً بهِ دَمُ إنسانٍ يُنَدِّيها

لم يبقَ إلاّ أنابيبُ العِظامِ سَرَتْ
فيها اللَّظى حُمَماً حُمْراً تُذَكِّيها

سَيْلُ مِن النارِ ما يَنْفَكُّ يدفَعُها
الى الجحيمِ ، الى نَبْعِ اللَّظى فيها

فَفَجِّـري الأرضَ واسْتَعْـدي هيـاكِلَهـا
فـالموتُ هـادِمُها والمـوتُ بـانيهـا

الموتُ ، يـا حَـرْبُ لا أبْقَيْتِ مـزرعـةً
إلّا وقـد هَجَـرَ المحـراثَ راعيـهـا

إلّا وقـد حـرَثَتْهـا النـارُ وانْتَثَـرَتْ
هـامُ الضّحايـا بـذوراً في نَـواحيهـا

المـوتُ.. يا جُثَثَ الأطفـال ، إرتفعِي
قـربـانَ لحمٍ لِـربِّ النّـارِ تَـأليهـا

ويـا مُـدى مَـزِّقي الأرحـامَ واقْتَلِعِي
مِن جَوفِها الطِّفلَ شَحْماً ثمَّ ألقيها

وأنتِ يـا نـارُ ، مَنْ تلكَ التي قَبَعَتْ
الـطفلُ أرهَقَ ثَـدْيَيْهـا . . أريحِيهـا

يـا خَرْبَـةُ اخترِقي أضـلاعَها وَذَرِي
دَمـاً يُـقَـطِّرُ في ثَـغْـرٍ يُنـاغيـهـا !

الموتُ ، يا نارُ ثوري ، يا دِما انهمِري
يـا لحمُ كُنْ مِزَقـاً يـا ريـحُ ذَرِّيهـا !

لـقـد تَبَـرَّمَت الـدُّنيـا بِـهَـذْأَتِـهـا
فـقَـوِّضيهـا عـلى أشـلاءِ أهـليـهـا

يـا جوعُ ، يـا جـوعُ أحرِقْ كـلَّ سُنبلةٍ
واجعَـلْ رُواهـا دَمـاً مِن قلْبِ سـاقيهـا

مِن قلبِ مَنْ نَخَرَ المحراثُ أيديَهُم
لِفَرْطِ نَخْرِ الثَّرى حتى قَضى فيها

دودُ الأراضي اسحَقيها في أراضيها
وَقوِّضي فوقها بالي مآويها

تَرَصَّدي باللظى أكواخَها وَذَري
شُمَّ القصورِ ، فَلِلجُدْرانِ حاميها

النارُ أدرى بأنَّ الكوخَ مِن قَصَبٍ
يُورى ، وأنَّ صخورَ القَصْرِ تُعييها

الموتُ ، يا نارُ ثوري ، يا دِما انهمِري
يا لحمُ كُنْ مِزَقاً يا ريحُ ذَرِّيها

ثُوري اعصفِي دَمِّري مـا شِئْتِ واكتَسحِي
انقـاضَـهُ لِتَـزيـدي الأرضَ تَشْـويهـا

يـا حربُ ، الأرضُ لَن تنفَكَّ مُجْدِبـةً
حـتـى يُـهـيَّـأُ طـوفـانٌ يُـرَوِّيـهـا

فَـمَـزِّقي كـلَّ طـفـلٍ في لَـفـائفِـهِ
وَعَـوِّضـي أُمَّـهُ دمعـاً يُـعَـزِّيـهـا

وَهَشِّمي كـلَّ شيخٍ ، كـلَّ مُنْهَـدِمٍ
وشَـوِّهـي كـلَّ عـذراءٍ وأَبْقـيهـا

أبقِي مُسـوخـاً لأهـلِ الأرضِ مُنْتِنَـةً
فَـرُبَّـمـا تَعِظُ الـدُّنـيـا مَـرائيـهـا !

في قبضَتيــكِ اصفِرارْ ومــلءُ عَيْنَــيــكِ دَمْ
ثـوري فـأنتِ الــدَّمارْ وأنـــتِ أنـتِ الــعَـدَمْ

تَـفَـجَّــري بــالــلَّظى وأطبِقـي بــالــدُّخــانْ
وَرَدِّدي : مــا انقضـى عهـدٌ ، ولا جَـدَّ ثــانْ

فَـلَمْ يَــزَلْ للحـديـدْ والــنَّــارِ مــا يُــوقَــدُ
ومــا يَــزالُ الـعَـبيــدْ سُــوداً لِيُسْتَعْبَـدوا !

ميعــادُ أُسـطورةِ الألــوانِ قـــد حــانــا
يا صَرْخـةَ العبدِ ، هِـزِّي الكونَ إيـذانا

وَفَجِّـري في دَمِ الـطاغــوتِ عـاصفــةً
تُــرديــهِ أو يَفهمَ الإنســانَ إنســانــا !

تَفَجَّــري وامــلأي الآفــاقِ مــوجِــدَةً
حــتى تَــفَــتَّــحَ أبــصــاراً ، وآذانــا

حتى تُحيلي سكــونَ الليــلِ صــاعقــةً
وتُضــرِمي ملءَ جَــوفِ الأرضِ بُــركــانا

لنْ يفــهَمَ الــسيِّــدُ الــمغــرورُ فــلسفــةً
غيــرَ اللَّظى فامــلأي عينَيــهِ نيــرانــا !

قــولــي لَــهُ إنْ يكنْ يَــعلو فــأنَّ دمــاً
يَجــري بــأعــراقِــهِ مِن جُــرحِ قَتــلانــا

وأنــذريــهِ فَــفــي أَعــراقِــهِ سِــمَــةٌ
منّــا بــأنْ ســوفَ لا نَنسى ضَحــايــانــا !

لا تَـرهبي صـرخـةَ العبـدِ الفَنــاءَ فمـا
تفنىٰ الحيـاةُ ، وإنْ خـانَتْـكِ أحيـانـا !

مـا المـوتُ إلّا بـأنْ نَحيـا ونحنُ نــرى
أنّـا العبيدُ ، وبعضَ النـاسِ مـولانـا !

مـا المـوتُ إلا بــأنْ نَعمى ونحنُ نـرى
مـا المـوتُ إلا بـأنْ نـرضى بمـا كـانــا

ثُـوري انذرِي دَمنـا ، يا طـالَمـا نـذرَوا
دمَ الشعــوبِ لِـرَبِّ النــارِ قُــربـانــا

إنْ تحَــطِمي قيـدَ رِقٍّ عن مَعـاصِمِنـا
تُحَـطِّمي ألفَ قيـدٍ في حنـايـانـا !

ثُوري فقد جُنَّ في الأرضِ الدَّمارُ فما
يــدري أيــهــدِمُ أمْ يَبْني لــمــوتــانــا

مــا عــادَ حتى لِشلْوِ المَيْتِ حُرْمَتُهُ
صــارَ اللَّظى جَدَثــاً ، والريــحُ أكفانــا !

يــا صرخــةَ العبدِ ، ما ناديْتُ لو حضَنَتْ
روحُ السَّــلامِ وحبُّ النــاسِ دُنيــانــا

ولا تَــمَــرَّدْتُ لــولا أنَّ فــيَّ بــحــ
قَّ العيشِ لي ولكــلِّ النــاسِ إيمــانــا

فــإنْ حُــرِمْنــا حيــاةَ النــاس ، لا خُلِقَتْ
فينــا الحيــاةُ ، ولا عــاشَتْ بَقــايــانــا !

عَبـدٌ حقيـرٌ يَثـورْ وَيـلٌ لَـهُ مِن شَقـي
تَفَتَّحي يـا قبـورْ لِـلحـمِـهِ الأزْرَقِ !

إسفَـحْ دماً يـا حـديـدْ ودَمـدِمـي يـا نـارْ
لـم يَبـقَ إلا العبيـدْ لِيُصبحـوا أحـرارْ

الأرضُ لـن تَسْتكيـنْ إلا الـى الطُّوفـانْ
يـا نارُ ، بِنتَ الجنونْ لا تَـرْحَمي الإنسـانْ !

تَسَلَّحي بـالـدِّمـا والصُّلْبِ والنـارِ
وَحَكِّمي في البَـرايـا كـلَّ جَـزّارِ !

وحـارِبي كـلَّ فكـرٍ ، كـلَّ مُعْتَقَـدِ
والـويلُ ، ألـويـلُ للمُسْتَنكـرِ الضّاري

السِّلمُ أنْ يستكينَ الناس: أنْ يَذَروا الفو
ضىٰ ، وأنْ يهدأوا أو فالـدَّمُ الجاري !

الـسِّـلمُ أنَّـكَ إنْ يَـصفَعْكَ مُـجْتـرِمٌ
تُـدِرُ لَـهُ الخَـدَّ إغضـاءً عن الثـارِ !

السِّلمُ وَيْحَـكَ أنْ تُغضي وأنتَ تـرى
لِصّـاً بـدارِكَ إبقـاءً عـلى الـدارِ !!

فـإنْ تَفُـهْ فَـدَويُّ النـارِ أعـظمُ مِن
لَغْطٍ تُحَشْـرِجُـهُ في صَـدْرِكَ الهـاري

النـارُ ، النـارُ قَـوْلُ الفَصـل للنـارِ
فَـحَـكِّـميـهـا تُـقَـوِّمْ كـلَّ مـنـهـارِ

وَسَلَّطيها على أرضٍ بآهلِها ·
تُبَعْثِر الناسَ لحماً فوقَ أحجارِ

أو يَفْهمَ الأغبياءُ الصُّفْرُ أنَّكِ لم
يُقدِمْكِ إلّا حنينُ الجارِ للجارِ !

أَيْ بِدْعَةَ الظالِمِ المُسْتأسِدِ الضَّاري
تَقَايضي دمَ إنسانٍ بدولارِ !

أنجَزْتِ قِصَّةَ كوريّا فهل تركَتْ
كَفّاكِ غيرَ الخَنا والخِزيِ والعارِ

انْجَزْتِها فاسألي هل كنتِ سيّدةً
أَمْ كانَ جيشُكِ عَبْداً بين أحرارِ !

وهل قضَيتِ على صوتِ الشّعوبِ . . بَلى
لــو كـانَ يُــطْفأُ وَقْــدُ النـارِ بـالنـارِ !

هـا تلكَ تـونسُ ثـارَتْ فـاسفَحي دَمَهـا
مـا دامَ سِلْمُـكِ يُملى بـالـدَّمِ الجـاري

هِذّي اسجِني شَرِّدي الأحرارَ ، لن تَجِدي
إلا دويّــاً وإعــصــاراً بــأعــصــارِ

قــولي لهـا وهيَ في بُـركـانِ ثـورتهـا :
أمـامَكِ المـوتُ والأغلالُ ، فـاختـاري

لَـعلَّهـا تَـرعــوي عـن غَيِّهـا فَتـعي
انَّ السَّــلامَ خضـوعُ العبـدِ للبـاري !

أَيْ بِـدعةَ الـظالمِ المسْتأسِـدِ الضَّـاري
أَيْ أَطبِقي بـاللَّظى ليـلاً على السَّـاري

هـا مصرُ والـدَّمُ لم يَبْـرَحْ يُعـانقُـهُ
مـوجُ القَنـالِ فَيُـذكي شهـوَةَ الثـارِ

لا تُخْمِـدي النارَ عنهـا فـالقنـالُ دَمٌ
يُـرغـي وَيُـزبِـدُ تَـيّـاراً بـتـيّـارِ

لا تُخمـدي النارَ حتى يَهـدأَ الـواري
أو يستحيـلَ كهـوفـاً صـدرُهـا العـاري

إذ ذاكَ في كـلِّ كهفٍ شَيِّـدي نَـصَبـاً
للسِّلمِ ، تـذكرةً يـا شَرَّ تَـذكـارِ !

لـلسِّلمِ تَـذكـرَةٌ يـا شَـرَّ تَـذكـارِ
سِلْمٌ يَـرِفُّ عـلى لَـحـمٍ وَأطْـمـارِ

وذلـكَ الشَّـامـخُ الـزَّاهي بشُعْـلَتِـهِ
تـمـثـالُ حُـرِّيَـةٍ أمْ سِجْنُ أحـرارِ !

لقـد جنَيْتِ على الـدُّنيـا فلَنْ تَجِـدي
في كـلِّ أرضٍ سـوى جـرحٍ وثـوّارِ !

| | |
|---|---|
| ومـا يَـزالُ الـنِّـدا | مُغلغِـلاً في الفَـضـاءْ |
| ومـا يَـزالُ الصَّـدى | يُـعـيـدُ دونَ انـتـهـاءْ |

| | |
|---|---|
| لا تَسْتَثيـروا الـضَّـرامْ | ولا تُـريقـوا الـدِّمـاءْ |
| الأرضُ بـنتُ الـسَّـلامْ | ولِـلشعـوبِ الإخـاءْ |
| الأرضُ بـنتُ الـسَّـلامْ | ولِلشعـوبِ الإخـاءْ ! |

# النشيد العظيم

مِن خَريرِ المياهْ
وهيَ تَنْسابُ فوقَ سفوحِ الجبالْ
في سَواقي الشّمالْ

مِن أغاني الرُّعاهْ
في مروجِ الجَنوبْ
حينَ يغفو عليها سكونُ الغروبْ
والدُّجى إذْ يَؤوبْ
مِن وَميضِ كواكبِهِ في الظَّلامْ
تَرتمي في ارْتِخاءْ
رائعاً كالضياءْ
يا نشيدَ السَّلامْ !

حينَ يحنو على المهدِ عندَ المَنامْ
قلبُ أُمٍّ رَؤومْ
تَتَغنَّى لطفْلَتِها كي تَنامْ
كانَ كلُّ أمانيِّها لو تدومْ
لوحَيدتِها يا نشيدَ السَّلامْ

في الدُّجى إذْ تَعودْ
أرجُلُ الكادحينَ بـأثْقالِهـا
بـالظهـورِ وداثِرِ أسمـالِهـا
في الدُّجى إذْ تعـودْ
النفـوسُ بـظالمِ أتعـابِهـا
والجراحُ بقاتـلِ أوصابِهـا
في الدّجى إذْ تَعودْ
ما الذي تَرتجِي غيرَ ان تَسْتريحْ

أنفُسٌ كالحِطَمْ
غيرَ أنْ تستكينَ كُلومُ الجَريحْ
بعدَ طولِ الألَمْ
غيرَ أنْ تستكينْ
بعدَ طولِ الأنينْ
بينَ أطفالِها أنفُسُ الكادحينْ

في الظلامِ العَميقْ
حين يمضي مع الصَّمتِ ظِلٌ يسيرْ
وَحدَهُ في الطريقْ
أيُّ شيءٍ يُحفِّزُهُ للصَّفيرْ
غيرَ هذا الشعورِ بأنَّ الحَدَقْ
تَترصَّدُهُ مِن خِلالِ الغُصونْ
مِن خِلالِ الوَرَقْ

غيرَ هذا السُّكونْ
بَعْدَهُ ما يكونْ
رَهْبَةٌ أمْ سَلامْ !

مِن ضياءِ القَمَرْ
في ليالي الخَريفْ
واصفرارِ الشَّجَرْ
بعدَ طولِ الحَفيفْ
مِن تَساقُطِ أوراقِهِ في الألَقْ
مِن عَزيفِ النَّسائمِ بينَ الورَقْ
وَيَجيءُ الشتاءْ
مُدلَهِمَّ السَّماءْ
مِن هَديرِ الرُّعودِ وَنقْرِ المَطَرْ
مِن عَويلِ الرِّياحِ وَنَوْحِ الشَّجَرْ
وارتجافِ الحَمامْ

راجيــاً أنْ ينــامْ
تَـرتمي في ارتخاءْ
رائعـاً كـالـرَّجـاءْ
يـا نشيـدَ السَّـلامْ

من عيـونِ الصِّغارْ
وهيَ تَـرنو الى البـابِ عندَ الغروبْ
في انتظارِ أبٍ في دياجي الحـروبْ
كلَّما اهتزَّت البابُ سادَ انتظارْ
واشْـرأبَّتْ قلوبْ
ثمَّ عـادَتْ الى بعضِهـا في انكسـارْ
إنَّــهُ لَــنْ يـؤوبْ

من بــريقِ الـرَّجـاءِ بتلكَ العيــونْ
مِـن وميضِ الأسـى في انـطبـاقِ الجفونَ

تـرتمي في ارتخاءْ
وادعـاً كـالـرَّجـاءْ
حينَ يُــومضُ في أعيُنِ الأبــريــاءْ
يا نشيدَ السَّـلامْ !

مِن حنَايا الدروبْ
حينَ يـمــلأُهــا أبــريــاءُ البَشَــرْ
الصِّغـارُ الـذّنـوبْ
الصِّغــارُ النُّهى ، ألصِّغـارُ القُلوبْ
جيلُنــا المـنـتَـظَـرْ . . !
حينمـا يمـلأونَ حنــايـا الــدّروبْ
بعدَ وقتِ الغروبْ
يَسْبَحــون بمَــوجِ ضيــاءِ القَـمَـرْ
وهُـمـو يَلعـبـونْ

يَصْرَخون وَيبكون أو يضحكَونْ

مِن صدى ضِحْكِهم وهوَ روحُ السَّلامْ
يَتفَجَّرُ حتى بقلبِ الرِّجامْ
ترتمي في الدّروبْ
ساذجاً مثلَ آمالِ تلكَ القلوبْ
لِتَقيها بشاعةَ موتِ الحروبْ
وَتُبَقِّي ملاعبَها في سَلامْ
يا نشيدَ السَّلامْ !

مِن جنونِ اللصوصْ
اللصوصِ الكبارْ
حينما يسمعونَ وميضاً يُنارْ
حولَ سِلْمٍ قريبٍ بإحدى الدِّيارْ
إذْ يحومُ الكسادْ
حولَ سوقِ الرَّصاصِ بتلكَ البلادْ

مِن نِشيدِ الخَلاصْ
في فمِ الثّائرينْ
وانطفاءِ الرَّصاصْ
في دَمِ المنشدينْ

مِن تَعاظُمِ وَعي جميعِ الشُّعوبْ
مِن فَضائحِ كلِّ دُعاةِ الحُروبْ
وانصهارِ السِّلاحْ
في أتونِ الكِفاحْ
في أتونِ كفاحِ الرِّجالِ العِظامْ
تَرتَمي في النِّضالْ
مثلَ كلِّ الرِّجالْ
رائعاً مثلَ كلِّ الرجالِ العِظامْ
يا نشيدَ السَّلامْ !

واحتضارِ الشَّهيدْ
مطمَئناً سَعيدْ
بينَ أحضانِ إخوَتِهِ المُنشدينْ
مِن دَويِّ الهتافِ ورَجْعِ النَّشيدْ
وانتظارِ الجياعِ لفجرٍ جديدْ
لانتصارٍ كبيرْ
مِن شحوبِ الطغاةِ أمامَ الأسيرْ
مِن سؤالِ الجَبابرَةِ الخائفينْ :
أيَّ شيءٍ يُريدْ
هؤلاءِ العَبيدْ
مِن تهاويلِ هذا الصِّراعِ المُخيفْ
بينَ جَورِ الرَّصاصِ وَجَورِ الرَّغيفْ
تَرتَمي في اندفاعْ
هائلاً كالصِّراعْ
يا نشيدَ السَّلامْ

مِن نِشيدِ الخَلاصْ
في فمِ الثّائرينْ
وانطفاءِ الرَّصاصْ
في دَمِ المنشدينْ

مِن تَعاظُمِ وَعيِ جميعِ الشُّعوبْ
مِن فَضائحِ كلِّ دُعاةِ الحُروبْ
وانصهارِ السِّلاحْ
في أتونِ الكِفاحْ
في أتونِ كفاحِ الرِّجالِ العِظامْ
تَرتَمي في النِّضالْ
مثلَ كلِّ الرِّجالْ
رائعاً مثلَ كلِّ الرجالِ العِظامْ
يا نشيدَ السَّلامْ !

مِن جميعِ الصَّوَرْ
في حيـاةِ البَشَـرْ

فـي ارتعـاشِ الـيَـدُيْنْ
عنـدَمـا تَحضُنـانْ
وارتعـاش اليَدينْ
عنـدما تَقْتُـلانْ

في ارتجاف الشِّفاهْ
عـنـدمـا تَلْتَقي
وارتجـاف الشِّفـاهْ
عـنـدمـا تَتَّقي

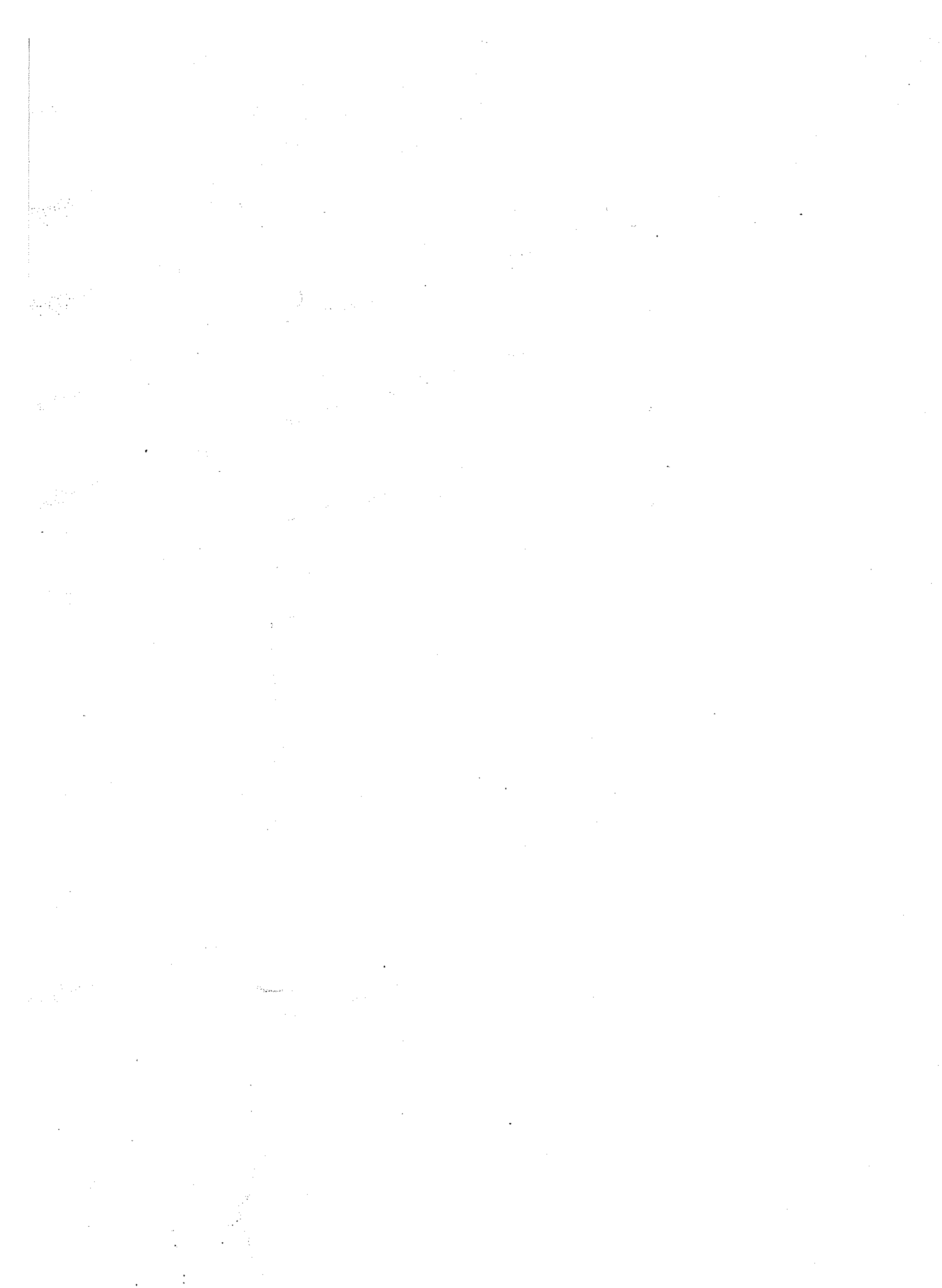
من جميع الصَّورْ
في حيـاةِ البشـرْ

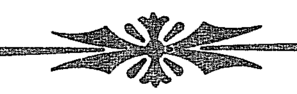
الحيـاةُ التي تستحِثُّ الـزَّمـانْ
نحـوَ يومٍ تَـرى فيه وَجـهَ الأمـانْ
يـومَ يَحْصدُ فَـلاَّحُنـا مـا بَـذَرْ
يـومَ لا يَقتُـلُ العـاطلين الضَّجَـرْ
يومَ لا نُطرِقُ الـرأسَ خـوفَ النَّـظَرْ
في العيونِ الأُخَرْ !

من جميعِ الصُّوَرْ
البَشـاعـةَ في سعيِهـا لـلجَمـالْ
الخمـولُ الـذي ينتهَي بـالنِّضـالْ
كلُّ ما في الحَيـاه
ضِحْكُـهـا والألَمْ
مـا تقـولُ الشِّفـاهْ
أو يَـخُطُّ القَـلَمْ
غيـرَ لَحنٍ صغيـرْ

فِي صَـداكَ الكبيرْ
في صـداك الـذي ضَمَّ كـلَّ الأنَـامْ
يـا نـشـيـدَ الـسَّـلامْ !

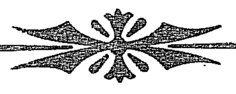
كـلُّ آهٍ تَـلَوَّى بـصـدرٍ يَـضـيـقْ
كـلُّ شِلْوٍ سَحـيقْ
حـينَ يـلفظُ أنفـاسَـهُ كـي يَـنـامْ
حيثُ لا يَـستـفيـقْ
إنَّمـا يَلتـوي صـدرُهُ بـالفَحيـحْ
لا لكي يَستـريـحْ
بَـل لِيُلقي صَدىً فيـاكَ بينَ الزِّحـامْ
يـا نـشـيـدَ الـسَّـلامْ !





# أوراق
# على رصيف الذاكرة

١٩٧٠



## حكاية عن البدء

مَرَّ زمانْ
حمَلْنا كلمتنا حجارة ، عصاً ، سكيناً . .
كانَ على كلماتِنا أن تقاتِلِ وفقَ ستراتيجية عصرِها

ومَرَّ الزمانْ
لبسَ بعضُنا كلمته درعاً
أثار بعضُنا كلمَتهُ ضباباً
وشَرِبَ بَعْضُنا دموعَ كلمَتِهِ حتى الدوارْ
وَظَلتْ كلماتْ
تقاتلُ دونَ صوتْ .
ووفقَ ستراتيجة عصرها ،
لمْ يكنْ يُباح لها أن تُقْتَلْ .

وَ بينما كُنَّا نَنْسَحِقْ
نَتَعَرَّى
نَسْتَشْهِدْ
كُنَّا نقمعُ كلِ شهقاتِ كلماتِنا القتيلةْ.
كانتْ كلماتُنا تمارِس قتالاً لا إنسانية فيه

ومَرَّ الزمانْ
الكلمةُ الدرعُ تصدَّعتْ
الكلمةُ الضبابُ تَبعْثَرَتْ
وبدَت الكلمةُ الدمعةُ قحةً واستغفالاً
وكانَ على الكلماتِ المقاتلة أن تواصل القتالْ
وفقَ ستراتيجية عصرِها
صارت رَصَاصاً
قنــابــلْ
سبقتْنا ستراتيجيةُ العصر

فَوَقَفْنا مشدوهين
كلماتُنا تَنْطَلِق وتتهاوى على بُعد أشبارٍ من أفواهِنا
دونَ أن تَجرحْ
دونَ أن تترك أثراً لحريقْ

كانَ علينا أن نُعيدَ النظر في كلماتِنا المقاتلةْ

ظنَّ بعضُنا أنه خطأ في التكتيكْ
فَضاعَ وهو يصحِّح مواقفَ كلماته . .
غَرقَ آخرون وهم يُضَخِّمون أسلحتَهم القديمةْ
يضاعفون أحجامها
ويزيدون من قابليتها على الاندفاعِ بإطالة أعناق
وسائل اطلاقها

قلَّةٌ لجأوا الى مختبراتهم
هذهِ القِلّة آمنتْ بستراتيجية العصرْ

أنَّ على الكلمة
لكي تكون سِلاحاً عصريّاً
أنْ تملك قابلية الاندفاع الهائل إلى كلِّ
الجهاتِ في لحظةٍ واحدةْ
وإذن فعليها أن تَتَشظّى
وأن يكون تَشَظّيها ذاتياً محضاً
كالذرَّة تماماً

أنْ تكون الكلمةَ الفعل
الكلمةَ القاتلْ
الكلمةَ القتيلْ
الكلمةَ الملجأْ

تحملُ كل إنسانيتِها
تحملُ كل صراعِها معها

وحينئذٍ تَتَشَظّى
كالذرة تماماً

لستُ أدّعي لهذهِ القصائدِ شيئاً
سوى أنَّها « أنا » في يومٍ من الأيامْ
وأنَّها تلقي ضوءاً على مسيرةِ كل المعادلات
الرياضية لكلماتي
إبتداءاً من أوفرِها بداهةْ .

**عبدالرزاق عبدالواحد**

**بغداد ١٩٧٠**

# شيء لم أفقده

١٩٥٧

أنا لا أزالُ فلا تَظُنّي
أنّي بغيرِكِ لا أُغنّي
فَعَلىٰ شقائي
أنا لا أزالُ كأصدقائي
للأرضِ ،
للبُسَطاءِ ،
للدُّنيا بأجمَعِها غنائي

لا تَنْدُبي ما ماتَ مِنّي
ما ماتَ إلاّ بعضُ ظنّي
أنّي حلمْتُ بطفلَةٍ تلْهو وبيتٍ مطمئنٍّ
فَلَئِن فقدتُكِ فالحياةُ بأسرِها أهلي وداري

وصغارُ إخواني صغاري
سأحبُّهُم حُبّي لأحْلامي بطفْلَتِنا الوَضيئهْ
حُبّي لِنَظْرتِكِ البريئهْ
وأظلُّ في ليلي لهم و لطيفِ طفْلتِنا أُغنّي
فإذا سَكَتُّ فلا تَظنّي
أنّي انتَهيتُ لأنَّني أشقى ،
وأنّي لن أُغنّي

## مصرع انسان

١٩٥٤

وَكَنَجْمةٍ شقَّ الفضاءْ
وَمضى
وخَلَّفَ في الطريقْ
خيطاً عميقْ

وتساقَطتْ نُقَطُ المَطَرْ

كانتْ بعنُفٍ تَحْفرُ القَطَراتُ دَرْباً في الهواءْ
شيءُ كثيفْ
شيءُ كأسفنجٍ مخيفْ
تمْتَصُّهُ مَصّاً
وتَزْفرُهُ الصُّدورُ بلا ارتِواءْ

وكأنَّ آلافَ الجِبالْ
تَلْتَفُّ في عُنفٍ على أعناقِ آلافِ الرِّجالْ

وعلى السّطوحْ
وعلى النّوافِذِ والدّروبْ
كانَتْ تَدُقُّ على القلُوبْ
نُقَطُ المَطَرْ . .

# فقر في نيسان

١٩٥٦

هُنـــا ،
في هذِهِ الوِديانْ
على الأحراجِ ،
بينَ الصَّخرِ
يُولَـدُ
يَنْبُتُ الإنسانْ
تَوائِمُ وَرْدِ كُردستانْ
بلا عِطْرٍ
بلا ألوانْ
وفي صمتٍ وفي نسيانْ
تعيشُ حياتَها وتموتُ والأزهار
في نِيسانْ . .

# وتر وليد

١٩٥٧

وَهَجرْتُ كلَّ سَنابُلي
وَهَجرْتُ أزهاري
ونأيْتُ عن داري
عن جدوَلي الجاري
حتى فَزعتُ منَ الجفافِ ،
فَزعتُ أن أظما
وتجفَّ أوتاري

وَ هُنــا ،
على هذِي الصُّخور ،
تَسمُرَتْ قَدَمي
ألفَيتُ بعضَ دمي

يا أنتَ
يا أعمى
الجرحُ إمّا جَفَّ لا يَدْمَى
بارِكْــهُ
هذا نَبْعُكَ السَّاقي ؛
وسالَ دَمي
ومَدَدْتُ كفّي نحوَ قيثاري
فإذا به وَتَرٌ وَليدٌ رائعُ النَّغَمِ

# خطاب الى بيرمكرون

١٩٥٧

يا صديقي العظيمْ
كمْ هَفَتْ خلفَ هامَتِكَ الفارعَهْ
لِتُبارِكَ ودِيانَكَ الرَّائعَهْ
شمسُ يومٍ عظيمْ

كمْ تَكَسَّرتْ الرَّشَبا في ذُراكْ
واستماتَتْ هُناك
ثمَّ أغفَتْ ونامَتْ على ساعدَيْك

كمْ على منكِبَيْكْ
دَمْدَمَ الرَّعدُ وانصَبَّ جَورُ المَطَرْ
والتَوى وانحدَرْ

جارفاً غيظَهُ المرَّ عنَّ صَخرتَيْك
لِصِغار التُّلولْ
كمْ تَشامَخْتَ فوقَ رِحابِ السّهولْ
باسطاً جَبَروتَكَ مثلَ الأَبِ
فوقَ خُضرِ المُروجْ
عارِضاً جبهَتَكْ
للأعاصيرِ ،
للرَّشَبا ،
للثلوجْ

يا صديقي العجيبْ
كمْ رَنوتُ إلى مُرتَقاكَ المَهيبْ
قابعاً خَلفَ نافذتي الموصَدَه

كمْ شَعَرْتُ بشوقٍ مُلِحٍّ غَريبْ

يَحتويني إليكْ
فَحَنَنْتُ لو انّيَ ألقي عليَكْ
أضْلُعي المُجْهَدَه
وأوسِّدُ خَدّي على راحتَيكْ

يا صديقي الوَقورْ
أيُّها المُتَشرِّبُ بالثَّلْجِ حتى قرَارِ الصُّخورْ
أيُّها المُتَلَفِّعُ بالغَيمِ في الزَّمهريرْ
طافياً مثلَ حوتٍ عَجوزٍ كبيرْ
في خِضَمِّ الغيومْ

يا صديقي العَجوزْ
هل تُحِسُّ دَبيبَ الشّتاءِ الرَّهيبْ
في ضِلُوعِكَ ،
هل كانَ فيها لَهيبْ
فانطوى واندَثَرْ

هل تُحسُّ كآبةَ وَقْعِ المَطَرْ
فوقَ ظهرِكَ ،
هل يعتَريكَ الوجومْ
مثلَ كلِّ البَشَرْ

هل هَرِمْتَ ،
تَزَعْزَعْتَ ،
أمْ ما تَزالْ
شامخَ الرأسِ ،
عالي الذُرى ،
لا تُنالْ
هائلَ الكبرياءْ
مثل عهدِكَ حينَ التَقَيْنا فَكنّا على بُعدِنا أصدقاءْ . .

---

بيرمكرون : جبل سامق في السليمانية
الرْشبا : كلمة كردية. ترجمتها العربية « الريح السوداء » وهي ريح عاتية تهب في منطقة السليمانية بشكل أعاصير محمَّلة بالثلوج .

# حكاية عن البدء والمنتهى

١٩٥٦

لأهلِي أُغَنِّ
أُغنِّي ولنْ يَسْمعَ الناسُ عني

أُغنّي لأُمّي رَؤاها الخَوالي
أُغنّي لها وحْدَها عن صِبانا
أمانيًّها أن تَرانا
عيونَ الرجالِ

أُغنّي لها كيفَ كانَتْ تُلالي
لنا في اللّيالي
وكَيْفَ كَبِرْنا وظَلَّتْ تُلالي
على مَهْدِنا الفارغِ المُثْقَل

بآمالِها الضَّائعاتْ
بِمولُودِها الأَوَّلِ

لأُختي الصَّغيره
أُغنّي لها أُغنياتي الأثيرَه
عن الحبِّ ،
حُبّي ،
لأُختي أُغنّي
عن الناس ،
عنّي
عن الخيرِ في قلبِها المطمئنِّ
أغنّي لأُختي
أُغنّي ولنْ يَسمعَ الناسُ صَوتي

أُغنّي أخي وهو غافٍ بِحُضني

أُغنّي لهُ غَدَهُ في خيالي
وكيفَ سَأْلقاهُ بينَ الرجالِ
كبيرَ التَّمَنّي
كريماً حبيباً كما أشْتَهيهِ
وقد أزْهَرتْ كلُّ دنيايَ فيهِ

لأهلي أُغنّي
أُغنّي ولنْ يَسْمعَ الناسُ عنّي

أُغنّي أبي والبَياضَ الوَفيرْ
على وجهِهِ ،
والغُضونَ العَميقه
أُغنّي حياةَ كفاحٍ عَريقه
تَمَشَّتْ هدوءاً وصَمْتاً كبيرْ
على مُقْلَتيهِ ،
ودُنياً سحيْقه

يعودُ لها حينَ يَخْلُو لِنَفْسِهْ
كَكنزٍ ثَمينْ
يُفَتِّحُهُ بيتُ شِعرٍ حزينْ
يُذكِّره كلَّ أيامِ أُنْسِهْ
وأيّامِ بؤسِهْ
وأيامَ غَنّىْ معَ الآخرينْ

أُغنّي لأهلي
أُغنّي كما غَنَّتْ الناسُ قبلي
ولكنْ أُغنّي
لِوَحدي ،
ولنْ تَسمعَ الناسُ عنّي

# ما يحضر في الغياب

١٩٥٦

الى بشير*

حينَ لا أُبْصِرُ عَيْنيْكَ أرى حَدَّ بلادي
وأرى أني غريبْ
ممعنٌ في غُربَتي ،
أذكرُ أنأىٰ ذِكرياتي
كلُّ شيءٍ كان يوماً ما حبيباً في حياتي
كلُّ ما رَفَّ بِصَدْرِي
السُّوَيْعاتِ التي لم يَبقَ منها غيرُ شِعْري
كلُّ ما أسْعَدَني منها ،
وما أسعَدَ غَيري
وطَواها وطَواكْ
كلُّها أذْكرُها في ساعةٍ لستُ أراك

---

* اصغر اخوان الشاعر

حينَ لا أُبصِرُ عَيْنيْكَ أرى حَدَّ عِراقي
وأرى أني غريبْ
ممعنٌ في غُربَتي ،
أجمعُ أسماءَ رِفاقي
ورؤىٰ أمسي الأثيرَه
كلُّها أجمعُها ،
حتى الحكاياتِ الصَّغيرَه
فأرى أوجُهَ أهْلي
كلِّ أهلي
أهلَ مثلي
أهلَ مَـنْ في غُربَتي ،
أوجُهَ مَـنْ قاسَوا عذابي
كلُّها تَلْتَمُّ حَوْلي
في اغترابي
وأراها
فأرى كلَّ بلادي وأساها
كلَّ آلامِ بَنيها

وأرى وجهَكَ فيها
أنتَ يا أصغرَ مِن أصغرِ شيءٍ في ثَراها
يا كبيراً في فؤادي
حينَ لا أُبصرُ عيْنَيْكَ أرى بؤسَ بلادي

# الخوف والرجال

١٩٦١

يا سيِّدي لَسْنا دِقاقَ الظّهورْ
لقد تَكَوَّمْنا زماناً طويلْ
تحتَ صَليب ثَقيلْ
فأرضُنا ، وأنتَ أدرىٰ ، ليسَ فيها حَطَبْ
غيرَ جذوعِ النَّخيلْ

وليسَ ضِيقُ الصّدورْ
مِن دأبِنا يا سيِّدي ،
فقد مَصَصْنا الهواءْ
لقد مَصَصْناهُ خلالَ الثُّقوبْ
خلالَ كلِّ النُّدوبْ
في جُدُرٍ مُشْبَعةٍ بالدِّماءْ

وَحَقِّ مَـنْ أوهَمَكْ
بأنَّنا قومٌ صِغارُ القلوبْ
لقد مَصَصْناهُ خِلالَ الثُّقوبْ
ولم نَمُتْ ،
لم نختَنِقْ كالسَّمَكْ

وقد تَعَلَّمْنا بتلكَ الكهوفْ
أنَّ لِثُقْبٍ صَغيرْ
ثُقبٍ دقيقٍ سِيَّما في السُّقوفْ
لَمِنَّةً تعدِلُ كنزاً كبيرْ

إنَّكَ لم تَقْبَعْ شهوراً طوالْ
في حُجْرةٍ مَليئةٍ بالسُّعالْ
مليئةٍ بالرِّجالْ
بالظلامْ
بكلِّ ما لمْ تَرَهُ من هَوامْ

في حجرةٍ توشِكُ جُدرانُها
أن تَلتقي فوقَكَ حَدَّ العِناقْ
إنَّكَ تدري أنَّ هذا شائعٌ في العِراقْ
وإن تَكُنْ لا تَعيهْ
فأنتَ لم تُلقَ فيه
لكن تَصَوَّرْ مثلَ هذا الحفيرْ
وهذهِ الظُلْمَةَ والرَّطوبةَ المُزمِنه
والعَفَنْ
وأنتَ في غَيْهَبِهِ مِن سنينْ
تَطوي خيوط الكفَنْ
حولَك في وَحدَتِك القاتِلَهْ
مِن سَعْلَةٍ ذابِلَهْ
وأنَّ ثُقْباً صَغيرْ
يَسْكُبُ قِنديلَ ضياءٍ صَغيرْ
عليكَ مِن مَكْمَنِهِ في جِدارْ
تُمَيِّزُ الليلَ بهِ والنَّهارْ
حتى لَتُحصي الشُّهورْ

بِكَمْ إضاءَةٍ لهُ وانطِفاءْ
تُحسُّ أنَّ مثلَ هذا الَعَزاءْ
شَيءٌ عزيزٌ ثَمينْ
أعزُّ ما تملكُ أنتَ السَّجينْ
في مثلِ هذي الحُفْرَةِ المُوحِشَهْ

تَعْلَمُ ما كانَتْ لَيالي الشِّتاءْ
وأُمسياتُ الشِّتاءْ
تَبعثُ فينا ،
أيَّ حُزنٍ غَريبْ ؟
كنّا بها نَنسى حِسابَ الزّمانْ
فلمْ يَكُنْ في وِسْعِ أيِّ النّجومْ
نجومِنا في الجدارْ
بأنْ يُرينا مَوعداً للنّهارْ

كانَتْ معاني الحياةْ
جميعُها ماثلةً في قَطْرَةٍ مِن ضياءْ

تاهَتْ خلالَ الغيومْ
ولم يَعُدْ غيرُ نُقاطِ المَطَرْ
تَنْقُرُ فوقَ السُّطوحْ
كأنَّها تَدُقُّ في كلِّ روحْ
مِسْمارَ نَعشٍ مُثْقَلٍ بالهُمومْ
وَرَغْبةً في البكاءْ

أنتَ ترى يا سيِّدي أنّا عَرَفنا الظَّلامْ
أنّا تَنفَّسْنا وعِشْنا الظلامْ
حتى حَنَنَّا في جنونٍ مُريبْ
لِرَعشةٍ مِن ضياءْ
فلا تَخَفْ أن يُذيبْ
لَهيبُ تَمّوزَ الظهورَ العِجافْ
إنْ هوَ إلّا وَفْرَةٌ مِن ضِياء !

تَعلَمُ أنّا نَخافْ ؟
وإنَّنا نُقِرُّ أنّا نَخافْ

لكنَّنا لَسنا نخافُ القَليلْ
لَسنا نخافُ السُّغَبْ
لَسنا نخافُ أن يَدُقَّ التَّعَبْ
أعناقَنا تحتَ صَليبِ النَّخيلْ
لكنَّنا يا سيِّدي نُقِرُّ أنَّا نَخافْ
نخافُ حتى الجنونْ
نَخافُ حتى تَقشعِرَّ العيونْ
مِن شَكْلِنا ،
نخافُ حتى يَسْتحيلَ الزَّفيرْ
في جوْفِنا مثلَ لُهاثِ السَّعيرْ
نخافُ حتى الرُّعب ،
حتى الموت ،
حتى الـ . .
نخافْ
يا سيِّدي مِن كِلْمَةٍ مِن ثَغْرِكَ الأرجوانْ
نخافُ مِن أن نُهانْ . .

# الغدر

١٩٥٣

واحْتَرقَتْ بغدادُ في سُكُونْ
لم تُبْصِر العُيونْ
منها سِوى الدُّخانِ والرَّمادْ

دُخانْ
شهرانِ نَسْتَفيقْ
وكلَّ فجرٍ نَسمَعُ استغاثَةَ الحريقْ
ولا نَرى ولا وَميضَ نارْ
وكالعَصافيرِ على جَمْرٍ بلا أُوارْ
أطفالُنا الصِّغارْ
يُرَفْرفُونَ ،
ثمَّ يَرْسبون في القَرارْ

هــدوءْ
لا صوتَ
لا نَفَـسْ
لا قطَّةٌ تَمُوءْ
لا عينَ تَرنو ، لا فمٌ يَهْمسُ ، لا ذِراعْ
تَمْـتَـدُّ ،
لا لِقــاءَ
لا وَداعْ

دُخانْ
كلُّ الوجوهِ ، كلُّها تَنوءُ بالهَوانْ
قَنافذٌ صِغارْ
تَزحَفُ في الدُّروبْ
مُخْتَرِقاتٍ دونَ ضوءٍ ،
دونَ أن يُثارْ
شيءٌ ،

سِوى الدُخانِ والرمادْ

ضيــاعْ
بحــرٌ من الخَـدَرْ
وكلُّ بغدادَ تموتُ دونَ أن تُراع
هذي التي تَزْحَفُ في الدُّروبِ كالبَشَرْ

## القمقم

١٩٦١

الثَّـلْـجُ ،
والخدَرُ البَطيءْ
الآنَ يا حَطَباتُ قَرِّي ، فالكواكبُ لا تُضيءْ
والنارُ أبعدُ ما تكون ،
وأنتِ في هذي الرِّجامْ
من ألفِ عامْ
والثَّلْجُ
فوقَ الثَّلْجِ ،
فوقَ الثَّلْجِ يَهمرُ
والظلامْ
يلتَفُّ مثلَ الأخطَبوطْ
يوماً فيوماً حولَ أنفاسي فأرسبُ في القرارْ

يا أُغنياتي للبِحارْ
يا مَوجَ طُوفاني وأشرِعَتي الوَليداتِ الصِّغارْ
فَلْتعصِفَنَّ بكِ العَواصِفُ ، وليُحَطِّمْنَ الصَّواري
ولِتَبْتَلِعَكُنَّ الثّلوجُ ، فَلَسْتُ أملِكُ في احتضاري
نَفَساً يَرِفُّ بكُنَّ بعدَ اليومِ في عَرْضِ البِحارِ

أطفأتُ ناري
يا قُمْقمَ الدَّمِ والعِظامْ
يا أنتِ ،
يا حَطَباتُ قَرِّي
يا ضُلوعاً من رُخامْ
الماردُ الجبارُ أسْلَمْكِ انتفاضَتَهُ ونامْ
والثَّلْجُ ،
فوقَ الثَّلْجِ ،
يَهمُرُ فوقَهُ
مِن ألفِ عامْ

# نداء في مقبرة

١٩٥٥

يا قبــورْ
يا هذهِ الأرضُ التي لا تَدورْ
قَتَلْتِ ضوءَ النَّهارْ
بدَورَةٍ عاتيهْ
حتى حَطْمَتِ المَدارْ
في قلبِ هذي الليلةِ الدّاجيَهْ
فَغصتِ حتى القرارْ
راسخةً في بحرِ هذا الظلامْ
كجُثّةٍ مِن رُخامْ
لا روحَ ،
لا دفءَ بها ،
لا شعورْ

يا قبــورْ
يا هذهِ الأرضُ التي لا تَدورْ
هل أنشَبَ الموتُ مَساميرَهُ
فيكِ بأنأَىٰ ما تَمدُّ البُذورْ
جذورَها ؟
هل ضاعَ حتى الأمَلْ
في أن تعيشَ وردةٌ واحدهْ
تبعثُ بعضَ الخَجَلْ
بعضَ احمرارِ الخَجَلْ
في هذهِ الصُّفْرَةِ في رمالِكِ الراكدَهْ

يا قبــورْ
يموتُ فيكِ كلُّ شيءٍ نبيلْ
حتى الفراشات ،
وحتى الزهورْ ،
والطيورْ

وكلُّ شيءٍ جميلْ
إلّا الخفافيش ،
وإلّا الغُرابْ
يَنْبشُ فوقَ التُرابْ
لِيأكُلَ الحَبَّ الذي لا يَعيشْ

وكلُّ نُبْلٍ صغيرْ
يُنْبتُهُ فوقَكِ ليلٌ مَطيرْ
ليلٌ طويلٌ مَطيرٌ
بكلِّ ما فيهِ مِن المُوحِشاتْ
يَدُبُّ شيءٌ صَغيرْ
شيءٌ مُميتٌ صَغيرْ
يَسْلُبُ منهُ كلَّ دفءِ الحياة

يا قبــورْ
يا جثّةً هامِدَهْ

أَلَـمْ يَحِنْ لهذهِ المقبرَةِ الخالدَهْ
أنْ تَسْتَحِقَّ وَردةً با ئسه
تُلهي عيونَ الناسِ عن تُربَتِها اليابسَهْ

# اعتذار

1955

إنَّني إذْ أشْتَكيكِ
أشْتَكي الإنسانَ فيكِ
أنتِ ما كُنْتِ طوالَ الدَّهرِ أرْضاً مُجدِبَهْ
لستِ أنتِ المُذْنِبَهْ
نحنُ لم نَزْرَعْ ،
ولم نَسْقِ ،
ونَشْكو المَسْغَبَهْ
ونَسُبُّ العُقمَ فيكِ
كم تَحمَّلتِ جَفاءً وعقوقاً من بَنيكِ
يا بلادي الطيِّبه
يا خَربَــه . .

# يا خال عوف

ألقيت في إتحاد الأدباء العراقيين بعد شهر
من نزوح الجواهري مكرهاً عن العراق عام ١٩٦١

مـفـازةٌ هيَ نَـطويـهـا وتَـطوينـا
جِدّي خُطى فلقد جَدَّ السُّرى فينا

لا غـابـةُ الشَّـوكِ أَثْـرَتْهـا عَـرائشُنـا
ولا الـهَجيـرةُ أَغْـنَتْهـا سَـواقيـنـا

ولا السُّـوافي وقد أدْمَتْ مَحاجِرَنـا
ألـوى بهـا مـا لَـوَيـنـا من سَـوافينـا

كـأنَّنـا لم نُـطامِنْ مِن شَـوامِخِنـا
ولا أَذَبْنـا حَشـانـا فـي تَحـاشينـا

ولا الـرِّجامَ حَـرَثْنـاهـا ، ولا دَمُنـا
رَوّى ، ولا زَرَعَـتْ شيئـاً أيـاديـنـا

جِـدّي خُـطى إنَّنـا حَـرّى جـوَانِحُنا
حَـرّى مَـواطؤنـا ، حَـرّى مَهـاوينـا

لقـد تَحَمَّلْتِنـا جَـرحى نَـمُـجُّ دَمـاً
تَـحَمَّلينـا غِـضـابـاً مُسْـتَفَـزّينـا

تَـحَمَّلينـا وَفَـرْطُ الـغَيظِ يَـهـرُسـنـا
هَـرْسَ الرَّحى ومَهيضُ الجُـرحِ يُطغينا

تَـحمَّلينـا فـإنَّ الـصَّـبـرَ يَـلْفُـظُـنـا
وإنَّ ألـفَ دُجـىً سُـوداً تُـنـاديـنـا

وإنَّ مَـجْمَـرةً شَـعوا تَـرَصَّـدُنـا
وإنَّنـا نحوَهـا تَـسعى سَـواعينـا

*

جِـدّي خُطى ، إنَّ هـذا الدَّربَ أوعَـرُهُ
غُـيَيْـمـةٌ وعُـشَيْـبٌ يُـورِثُ اللِّينـا

كم مِن خَضيلٍ تَـوسَّدْنـا ، وَمُنبَجِسٍ
مـاءً غَـشِينـاهُ حتى كـادَ يُغـوينـا

وكـم مُـظِلٍّ تَـفَـيَّـأْنـا عَـرائِـشَـهُ
لـم نَـدْرِ أنَّـا تَـفَيَّـأنـا ثـعابـينـا

حتى تَـدَلَّتْ علينـا كـلُّ مُفـرِعَـةٍ
بـألفِ أرْقَطَ مـلءَ النَّـابِ يُـصمِينـا

فعـادَ يمضَـغُ مِن جَنْبَيـهِ جـائعُنـا
ويـكَتـسي دَمَـهُ الـمُهـراقَ عـارينـا

لقـد زَهِـدْنـا فيا أحشـاءَنـا انْخَسِفي
حـدَّ الـظهـور ، وَيـا أشبـاحَ مـاضينـا

شُـدِّي على كـلِّ عِـرْقٍ من جَـوارِحِنـا
حـتى تَـحُـزَّ الشَّـرايـينُ الـشَّـرايينـا

حـتـى نَـعـودَ ولا وَهْـمٌ يـؤرِّقُـنـا
ولا سَـرابٌ عـلى الـبلوى يُـمَـنِّينـا

*

جِـدِّي دَؤوبُ فَكَم من واحـةٍ حفَـرَتْ
لـونَ الـظلالِ على أهـدابِ سـارينـا

إنّا نُـذِرْنـا لهـذا الـرّمـلِ ، نمضَغُـهُ
حينـاً ، ويَمْضَـغُ من آمـاقِنـا حينـا

نُشـوَى عليـه ، فيَسقينـا على ظـمـأٍ
جَـمـراً ، وتَسقيـهِ مـدراراً دَوامينـا

ونلتقي والـرِّيـاحَ الهـوجَ تَـصْفَـعُنـا
فمـا تُشـابِـكُ ، أهـدابـاً مـآقينـا

قـد يَقرَبُ الـظلُّ حَدَّ اللّمسِ مُجهَـدُنـا
ويجـرَع المـاءَ حَـدُّ الحَلْقِ ظـامينـا

وقـد يَـمـرُّ بنـا دَهـرٌ ولـيسَ يَـرى
ظِـلاًّ ولـو لِـجنـاحِ الـطَّيـرِ رائينـا

وَيمَّحى ظِلُّنـا من فَـرْطِ مـا التَصقتْ
بِهـامِنـا الشَّمسُ نُـدنيهـا وتُـدنينـا

*

جِدِّي حَمولُ ، فمـا أشقى أخـا سَفَـرٍ
للشَّمسِ يَمشي لهـا والـظِّلَّ والـطِّينـا

لقـد بَـذَرْنـا سَنـاهـا في محـاجِـرنـا
وقـد سَجَـرْنـا لـظاهـا في مَحـانينـا

وقـد زَحَمْنـاهـا لهـا أمضى قَـوافلنـا
فـأرقَلَتْ ، وَحَـدا بـالنـاسِ حـادينـا

ولم نَـزَلْ مـا استوى طفـلٌ على قَـدَمٍ
إلاّ لِيـدرِجَ في أعـقـابِ تـالـيـنـا

*

يـا خالَ عَـوفٍ رعـاكَ اللّهُ حيثَ سَـرَتْ
بـكَ الخُـطى ، وسَقى شَـوقُ المُحبِّينـا

وَرَفَّ حـولَـكَ أنـدى مـا بـأضْلُعِنـا
إنْ كـانَ فَضْـلُ نَـدِيٍّ في مَـطاوينـا

وقـبَّـلَـتْ فـمَـكَ الـمِـعـطاءَ نـازِعَـةٌ
مِن الحـنيـنِ بنـا تَـطغـى فَتَشْجينـا

إنَّـا لَيَحـظى هُنـا مَـنْ عنكَ يَسْـألنا
بِسـائـلٍ عنـكَ مـا غَصَّتْ نَـوادينـا

بِـمُـرتَـجٍ نَفْـثَـةً حَـرَّى تُـسَـعِّـرُنـا
وَمُـرْتَـجٍ نَـشَّـةً رَيّـا تُـهـدّينـا

فـلا حُـرِمْنـا هَـديـراً منكَ يُـزبِـدُنـا
ولا عَـدِمْنـا نَمـيـراً مـنـكَ يَسقـيـنـا

ولا عَـدَتـكَ وإن شَحَّتْ نَـسـائمُـنـا
ولا جَـفَـتْـكَ وإن جَـفَّـتْ غَـواديـنـا

*

يـا خـالَ عـوفٍ وفينا منـكَ مـأثَـرَةٌ
أنّـا تَـجـاوَبُ والـبَـلوى قَـوافيـنـا

نـرى التمـاعَ المُـدى قبلَ انفـلاتِها
ويَحضنُ الجُرْحَ قبلَ الـطَّعنِ فـادينـا

ونسمعُ الآهـةَ الخـرسـاءَ مـا انفـرجَتْ
عنهـا الشِّفـاهُ فَـتَشْجينـا وَتُـورينـا

يـا خـالَ عـوفٍ شـدَدنـا كـلَّ خـالجـةٍ
فينـا بِمُسْتَقْتِـلٍ يَـدمى ويُـدمِينـا

بِـمشْخَنٍ مُسْتَميتٍ نـحـو قِـمَّتِـهِ
يَسْعـى فيَـهـوي قَـرابينـاً قَـرابينـا

يُـذيبُ في كـلِّ يـومٍ من حُشـاشَتِـهِ
حتى يكـاد.. ويَعلُو صَـوتُ نـاعينـا

*

يـا خـالَ عــوفٍ ألا أُنْبيـكَ مـا خَبأَتْ
لـنـا المقـاديـرُ ممّـا كـنـتَ تُنْبينـا

أُنْبيـكَ أنّـا بعَيـنٍ نِصْفِ مُغْمَضَـةٍ
نَغْفـو ، ويـالكَفُّ فـوقَ الكَفُّ تـطِمينا

ومـا بنـا رَهْبـةٌ ، لـكنَّ أفـرُخَنـا
لا يـألـفَـونَ الأفـاعي في مـآوينـا

فنحـنُ نُسْلِمُهم كفّـاً ، ونُـسْلِمُ لـلأ
نيـابِ كفّـاً ، فنَلويهـا ، وَتَلوينـا

ونكتـمُ الآهَ عُمْـقَ الجُـرحِ نَـدفُنُهـا
لِنَحفَظَ الـزُّغُبَ الـغـافينَ غـافينـا

*

أُنْبيـكَ أنّـا وإنْ قُـصَّتْ قَـوادِمُـنـا
لم نـألُ نشْهَقُ مـا اسـطاعت حـوافيـنـا

وأَنَّنـا كيفَمـا هَبَّتْ مُـزعـزِعـةً
هُـوجُ الـرِّيـاحِ تَهـاوَتْ عَن مَـراقينا

فـلمْ تَمِـلْ بِـجَنـاحٍ مِـن شَـواهِقـنـا
ولا التَـوَتْ ومَجـاريـهـا مَجـاريـنـا

يـا خالَ عـوفٍ وما حُـزَّتْ كمـا وَهِمُـوا
أعنـاقُنـا ، لا ولا جُـزَّتْ نَـواصينـا

إنّـا ضِخامٌ كمـا تَهـوى ، عَمـالقـةٌ
كمـا عَهِـدْتَ ، مُخيفـاتٌ عَـوادينـا

سـودٌ تَعـاوَرُهـا البُؤسى فَتَسْجُـرُهـا
كمـا تَعـاوَرَتْ الـرِّيـحُ البَـراكيـنـا

*

إنّـا امتُحِنّـا بـأيّـامٍ بِنـا امتُحِنَتْ
تَعـدو علَينـا وَتَشْكـو من تَغـاضينـا

لا صَيْفُهـا كـان ذا زَرعٍ فيُـطْعِمُنـا
ولا شِتـاهـا بـذي ضَـرْعٍ فيُـروينـا

ولا عَـرفنـا بهـا طَـلاًّ يُبـاكِـرُنـا
ولا وَجَـدْنـا بـهـا ظِـلاً يُـغـاديـنـا

بـلى رُزِقْنـا جَـراداً فـي مَـراتِـعِنـا
نَـرُبُّـهُ بـحـصـادٍ مِـن مـآسـيـنـا

وحُـرْقَـةً قَـرِحَتْ أنـدى جـوانِحِنـا
مِن لَفْحِهـا ، وفَـراغـاً مـلءَ أيـدينـا

ولَهفـةً لِقُـطَيْـراتِ النَّـدى جـمعَـتْ
لهـاثَ سَبعين جيـلاً من أضـاحِينـا

*

يـا خـالَ عـوفٍ وقـد ضـاقَتْ مـذاهبُنـا
وانـداحَـتْ الأرضُ أغـواراً أفـانيـنـا

تُطِلُّ منها ذُنابى مالَها عَدَدٌ
يُحصى ، وأنيابُ أغوالٍ ملايينا

لم نألُ نرصُدُها دَهراً وتَرصدُنا
ندنو وتَدنو ، ونُحصيها وتُحصينا

حتى تَبَيَّنَ مِنّا ما تُحاذِرُهُ
في حينِ أسفَرَ منها ما يُجَرِّينا

ولم نَزَلْ نَتَمَلاّها مُرَوَّعَةً
ولم تَزَلْ تَتَملاّنا مُريعينا

وإنّنا لو أرَدْنا أن نُطاحنَها
دُرْنا عليها بأضراسٍ طَواحينا

لكنّنا كَرَماً مِنّا نرى سَبَباً
للخير أن يتَرَوّى سَهْمُ رامينا

## براءة

**١٩٥٤**

مِن طيبتي ،
مِن كبريائي
مِن أصدقائي
مِن كلِّ ما قَدَّستُ ،
ما آمنتُ أنَّ بهِ بقائي

مِن ذكرياتي
مِن حاضري ،
مِن كلِّ آتِ

مِن والدي وسحابةُ الستِّينِ في عينيهِ تَهمي
مِنْ إخوتي حتى الصَّغير ،
و مِن أُخَيَّاتي وأُمي

مِن كلِّ إنسانيَّتي ،
مِن كلِّ إيثاري لغيري
مِن كلِّ شعري

إني اتُّهِمتُ بكلِّ هذا
وأنا بَريءٌ منهُ حتى الموت ،
تصويرٌ ،
وطابعْ
نُسَخٌ إلى كلِّ الجرائدْ
صوَرٌ إلى /
بعضِ الجهاتِ
ملفَّةِ الموما إليهْ
بغداد ،
التأريخ مفتوحٌ إلى يومِ القيامه

# وقتلت في أعماقي شيئاً

١٩٥٤

كُنْ ما تُريدْ
أنا لا ألومُكَ غيرَ أنّي جئتُ أسألُ أن تُعيدْ
ما كنتُ أكتبُهُ إليكْ

أنا ليسَ بي كِبْرٌ عليكْ
تدري بأنَّكَ كُنْتَ مِثْلَ أخي ، وأكثرَ مِن صديقْ
إني حَبَبْتُكَ منذُ وَقْعتِكَ المُريعةِ في الطريقْ

كُنّا صغارْ
نَلهُو بتلكَ اللُّعبةِ الحمقاءِ في ذاكَ النهارْ
عينانِ في عَينين ،
مَـنْ يَجْهَدْ فيكْسِرْ مُقْلَتيهْ
كنّا نُلقّبهُ جبانْ

ونَغيظُهُ ضَحِكاً عليهْ

ما زلتُ أذكرُ رَفسةَ الفَرَسِ العجوزِ على قفاكْ
إني أراهْ
ذاكَ الصَّغير بظَهرِهِ المهدوم ،
لكنْ مُقْلَتاه
في مُقلتيَّ تُحدِّقانْ
لم تَطْرِفا كيْلا يقولَ رفاقُنا عَينا فلانْ
عَينا جبانْ

أنا ليس بي كِبْرٌ عليكْ
لكنْ تُكسِّرُ كلَّ أضلاعي انكسارةُ مُقْلتَيكْ

كُنْ ما تريدْ
أنا لا ألومُكَ ،
غيرَ أني جئتُ أرجو أن تُعيدْ
ما كُنتُ أكتبُهُ إليكْ

# الرئة الملتهبة

١٩٥٤

يُقاتلُني دائي ويَعصرُني بُؤسي
وأحلمُ أن أقسو فأقسو على نفسي

وَيُفْزِعُني ممَّا أُعانيهِ أنَّني
أجادلُ إيماني لألهوَ عن يأسي

وتَرتَطِمُ الأحداثُ بي وتَهزُّني
فأصحو على دارٍ يموتُ بها غَرسي

يَفحُّ بها الأطفالُ بَرْداً وتَلتَظي
محاجرُهم جوعاً فتَنْبتُ في رأسي

تُزعزعُ إنسانيَّتي ، وتُهينني
وتَسحقُ إيماني ، وتَسْخَرُ من بأسي

وَتَتْـركُني عـريـانَ من كـلِّ قـيمـةٍ
تُسَتِّـرُني ، حتى البقيَّـةِ مـن حِسّـي

فـأخـرجُ لا أدري إلى أيـن أنتـهَي
وفي رِئتي حِقـدي ومـلء يـَدي فـأسي

# رسالة الى صديق*

١٩٥٤

واللّهِ يـا سَعدُ مـا مَرَّتْ بيَ الكُـرَبُ
كمـا تَمـرُّ بـغَمْـرٍ مِلْؤهُ نَـصَـبُ

ولا تـجـرَّأَ يـأسٌ أو مـسـاومـةٌ
يـومـاً علـيَّ ولا ذُلٌّ ولا رَهَـبُ

لقـد وَقفْتُ بـوَجـهِ الحـادثـاتِ ولم
أنـظرْ إلى مَنْ حيـالي وهي تَـقْتَـربُ

لَئِنْ يكنْ في بقـائي مُـمسكـاً قَلَمي
هـذا العـذابُ فـإنَّ الميتَـةَ الهـرَبُ

واللّهِ يا سعد لم أسفْ لذاهبةٍ
إلّا على أنَّ لي صحباً وقد ذهبوا

لي كلَّ يومٍ هنا قومٌ أخالِطُهم
لكنَّني بينَهم يا سَعدُ مُغْتَرِبُ

قد يضحكونَ فأصْغي أو أُشايعُهم
فأنتهي وكأنِّي كنتُ أنتحِبُ

قد ننْتَهي من صداقاتٍ ونذكرُها
ونَنْتَهي مِن صَداقاتٍ فَنَضْطَرِبُ

---

( * ) أهديت في وقتها الى صديقي الشاعر الراحل سعد درويش.

# اعتداد

١٩٥٤

أَشُقُّ على الإعْصــارِ دَربي إلى غَــدي
فيـا قلبُ لا تَهْدأْ ، ويـا عينيَ اسهَـدي

ويــا رَغبتـي فـي كــلِّ شـيءٍ أحبُّـهُ
دَعي كـلَّ ما للنّـاسِ للنّـاسِ وازهَـدي

فَلَنْ تقــطعـي دربــاً جحيمٌ تــرابُهــا
إذا لـم تَقــنَعْ عينـاكِ إلاّ عـلى نَــدي

ويــا نفسُ لا تَــرْضَي هَــواني فــأنَّني
بــذَلْتُ دَمي دونَ المــراقي لِتَصْعَــدي

فـإن تَجْهَـد الـدُّنيـا جميعـاً فـإنَّني
أرى حَـرَجاً في أن تهـوني وتَجهـدي

ولا والـذي أسـعى إليـهِ لـو انَّنـي
شَرِبْتُ دَمي ما اهتزَّت الكأسُ في يدي!

# بغداد

١٩٦٩

ألقيت في مهرجان الشعر العربي التاسع في بغداد

فَخرٌ ، وهل بِسوى دُنياكِ يُفْتَخَرُ
يا نَغْمةً لم يُلامِسْ غَورَها وتَرُ

يا دارةَ الشمسِ يَبقى مِن تَوهُّجِها
على جِباهِ الدُّنا ، عُمْرَ الدُّنا ، أثَرُ

ما غامَ ليلٌ على مَسرى أشعَّتِها
إلاّ تَفَطَّرَ عن لألائِها سَحَرُ

ويا بحارَ نجومٍ من مجَرَّتِها
يُهدى لكلِّ دُجىً مُسْتَوحَشٍ قَمَرُ

ويـا انهـلالَ الحيـا في كـلِّ مجـدبـةٍ
أشهى وأغــزرَ مــا يُسْتَنْــزَلُ المــطرُ

بغــدادُ يـا صَحــوةَ الـدُّنيـا ولا كَــدَرٌ
ونبــعَ أحــلامِهــا النَّشــوى ولا خَــدَرُ

كمْ مــرَّ من عُصُرٍ سَكْــرى قَيـاثِـرُهـا
بخَمْــرِ مجْـدِكِ تَسعى إثْـرَهــا عُصُــرُ

مُــرَنَّحـاتٍ ، نَشـاوى ، أَبعـدَتْ وغَفـا
عـلى ذِراعيــكِ مـنـهــا أنـجـمٌ زُهُــرُ

ألفٌ تَمَخَّضْنَ ، كــلٌّ أنجبَتْ وَهَـجـاً
فــأيُّ ضــوءٍ مــدى الآفــاقِ يَنْتَشِــرُ

ألفُ تمخَّضْنَ في خمسين ، يـا بسـةً
شفـاهُهـا ، لاهثـاتٍ ، يُحـدِقُ الخـطَرُ

بـكـلِّ لحــظةِ إعــســارٍ شهَـقْنَ بــهــا
فــيـامَصيــرُ تَــأمَّــلْ كـيـف تُـنـتَـظَرُ!

*

بغـداد ، هل لجنـاحي في جِوائـكِ من
مَسـرىً ، وقد حـامَت الأنسارُ والصُّقُـرُ

خَفْقـاً بـأجنحـةٍ مَـرمـى قـوادِمهـا
نـائي النجـوم فمنهـا فـوقَهـا كِسَـرُ

مُـشعْـشِعـاتٍ تَـردُّ الـلاحـقيـنَ بهـا
طَـرْفـاً حَسيـراً ، وأنفـاسـاً بهـا بَهَـرُ

من ابن أوسٍ ، وقد غاصَتْ مَناسِرُهُ
عُمقَ البحارِ ، وعادَت تلمَعُ الدُّرَرُ

فيها ، وشَدَّ جناحيهِ فنَشَّرها
عُمقَ السَّماواتِ لم يَعلَقْ بها بَصَرُ !

وأَجْدَلُ الكوفةِ المُوفي على حَلَبٍ
وزَعْزعُ الرِّيحِ عن مَتْنَيهِ يَنْحَسِرُ

كالبرقِ يَفترِعُ الدُّنيا ويَتركُ في الـ
دُّنيا دويّاً ، بهِ كِبْرٌ ، بهِ صَعَرُ

لم يَألُ منه على بغداد ، في حَلَبٍ
في مصرَ ، غيثٌ مَهيبُ الرَّعدِ مُنهَمِرُ

تَنحــاشُ عنه بُغــاثُ الـطَّيــرِ واجفــةً
أكبـادُهـا ، كــاتمـاً أنفــاسَهـا الحذَرُ !

والأعمَيــانِ ، أضَــاءَ اللُّبُّ مُختــرقــاً
كُــوى المحـاجِــرِ لـولا أنصَفَ النَّــظَرُ

هــذا يَرى قلبُــهُ مـا لا يــرى بَصَرُ
ويُــرسـلُ السَّمْــعَ عَيناً رُوحــهُ الأشِــرُ

وذا يَــرى ويُري الــدُّنيــا بــأجمعِهــا
ولـيــلُ عينيــهِ والـجـدرانِ معتكــرُ

يــا محبسـانِ اشــرأبَّتْ من قيـودِهمــا
وأبعــدَتْ أيَّ بُعــدٍ عنهـمــا الفِكَــرُ !

وأنتَ يـا واهبَ الأطـلالِ مُـذ خَفيَتْ
تَـلَفُّتَ الـقـلبِ ، والأطـلالُ تـنـدَثـرُ

السّـاتـرُ العينَ طَـرْفٌ مـن عَبـاءَتِـهِ
تـجـمُّـلاً ، ويـكـاءُ الأمِّ مُـغـتـفَـرُ

يـا لـلـرَّضيِّ حـجـازيّـاً جـداولُـهُ
تَصفـو ، وتَـطغى حُسَينيّـاً بـهِ المِـرَرُ

والسَّلسَـلُ السَّمحُ لا تـألـو منـابعُـهُ
دَفّـاقـةً لـم يَـشُـبْ رَقـراقَـهـا كَـدَرُ

بـحـرٌ ولـكـنَّـهُ عَـذْبٌ مَـواردُهُ
نـائي الضِّفافِ ، بَعيدُ الغورِ ، مُـزدَخرُ

مُلوَّنٌ مثـلَ قـوسِ الشَّمسِ ، منعكسٌ
عـليـهِ مـن ألـفِ أنـطاكـيَّـةٍ صُـوَرُ

وثَـمَّ مَـشْـحَـبُ زِقٍّ عـنـدَ دجلةَ لـم
يبـرَحْ نَـديّـاً ، لـو انَّ التُّرْبَ تُعتَصَرُ

لَضـاءَ وَجـهُ ابنِ هـاني ، ثم عَـاوَدَهُ
نُعـاسُـه ، ثمَّ . . عـذراً إنّني سَكِـرُ !

يـا للعمـاليقِ ، لم تبْـرَحْ مـجنَّحـةً
أصـداؤهم ، تَعبرُ الـدَّربَ الذي عَبَـروا

مُـحَـوِّمـاتٍ على بـغـدادَ تـرقَـبُـهـا
مـا قـامَ للشعـرِ في بغـدادَ مـؤتمـرُ

*

مـا أروعَ الأرضَ تنمـو جِـدَّ شـامخـةٍ
مـا نـال منهـا سـوى إنضـاجِهـا الكِبَـرُ !

ولا تَـلَوَّتْ غُضــونٌ فــوقَ جَـبـهَـتِـهـا
إلّا تَــفـتَّــحَ فـيـهـا مُــورِقٌ نَــضِــرُ

هي الـوَلـودُ ، فـإن جَفَّتْ مبـاهجُهـا
فَـمِن مَـصــائبـهــا الـجُـلَّى لها دِرَرُ !

طَـوَتْ حَشـاهـا زمـانـاً لا يَـرفُّ بِـهِ
إلّا الـجـذور ، ولا ســاقٌ ، ولا ثَمَـرُ

حـتـى إذا ظُـنَّ أنَّ الـعُـقـمَ قـاتـلُهـا
ولا صَـدىً غيـرَ مـا جـاشَتْ بـه السِّيَـرُ

ضجَّتْ ضَجيجاً ، وشَقَّ الجوَّ منطلقاً
منها عُقابٌ بقُرصِ الشَّمسِ يَعْتمِرُ

ذيَّالكَ الشَّامخُ الزاهي بقِمَّتِهِ
وكلَّ يومٍ لهُ عن قِمَّةٍ سَفَرُ

مُخضَّبٌ بصروفِ الدَّهرِ مِنْسَرُهُ
مُحدَودِبٌ لفراخٍ حولَهُ نُثِروا

هذا الذي يَرِدُ البحرَ الذي وَرَدوا
رَهواً ، ويَصدرُ عملاقاً كماصَدَروا !

سَلْ «دجلةَ الخير» كم مَسَّتْ قَوادِمُهُ
أمواجَها ، فَنزا رَقراقُها الخَصِرُ

علـى جَنـاحَيـهِ قَـطْراً مِـن تـأَلُّقِـهِ
وشمسِ بغـداد كـانتْ هـذه السُّوَرُ !

فـتـارةً خَـصِـرٌ عَـذبٌ كـدَجـلتِـهِ
وتـارةً مـثـلَ ذوبِ الشَّـمسِ مُسْتَعِـرُ

*

المجدُ مجدُكِ ، مـوصـولٌ ومُـدَّكَـرُ
مـوَدَّعٌ مـنـهُ لألاءٌ ، ومُـنـتـظَرُ

طـوفـانَ نهـرَيـكِ أجـرى صـانعُـوهُ لَـهُ
دمـاً وفكـراً. . فمـا مَنُّـوا ، ولا جَـأروا

واحـدَودَبـوا يحـرثـون الأرضَ تـأكلُهُم
من ألفِ عـامٍ مَهـاويهـا وهـم صُبُـرُ

وكـانَ محـراثُهـم والصَّـخـرُ يثـلمُـهُ
حينـاً ، ويغـرز حينـاً كلَّمـا عَثَـروا

مُـعَـوَّداً مثـلَهـم أنْ لـيسَ يَـثْـلِمُـهُ
إلّا لـيَشْـحَـذَ من فُـولاذهِ الـحَـجَـرُ !

ألفٌ وهم يـحفـرونَ الأرض لا مـعـنةً
جبـاهُهم ، فـوقَهـا من طينِهـا غُـرَرُ

ومـا يَـزالـون ، يُـذكي من عَـزائمِهم
أنْ آذنَـتْ بـامتـلاءٍ هـذه الـحُـفَـرُ !

*

بغـداد ، حَسبُكِ أنَّ الأرضَ كم شهقَتْ
لِـدَفـقـةٍ من حَـيـا بغـدادَ تـنـهـمـرُ

هِلِّي رواءً فـإنَّ النّـاسَ قـد بَـذَروا
ومـا سِـواكِ لـهم ضَـوءٌ ، ولا مـطرُ

ولا ، وأرضُكِ هذي الأرض ، بـارَحَهم
إيـمـانُـهُـم أنَّـهـا تَـنـدى فـتَـنفـطِرُ

عن ألفِ نَبتـةِ خيـرٍ مـا يَـزالُ لهـا
يُـبـارِكُ الـحَـدْبُ والآلامُ والـسَّـهَـرُ!

والـرِّيُّ ، بغـدادُ أسبـابٌ لِمُـزدَهَـرٍ
من الثـرى ، بعضُهـا الأنهـارُ والغُـدُرُ

وخيرُهـا الفكـر دَفّـاقـاً ، وأعـظمُهـا
عِـرْقٌ نَـزيفٌ على مـا فيـهِ يَعتـذِرُ !

*

تَبــارَكَ الفِكــرُ حَــرفــاً مُثقَــلاً ضَــرِمــاً
تــكــادُ من وَقْــدِهِ الأقــلامُ تــنْـصَــهِــرُ

طــوبى لحــرفٍ يَمُــجُّ النَّــارَ مُشْتعِــلاً
ويَسفــحُ الــدَّمَ مَــطعــونــاً ، ويَعتفِــرُ

مــا قــادَ حَــرفٌ على إبــداعِــهِ بَشَــراً
إن لم يَخُضْ في جحيمٍ خاضهُ البَشَرُ !

ومــا انـتفــاعٌ بـحــرفٍ متــرَفٍ بَــطِرٍ
في زحمـةِ المـوتِ يـزهـو أنــه عـطِرُ !

*

بغـداد . . والكـونُ كـلُّ الكـونِ يَنتــظِرُ
مَن فوقَ أرضِكِ ما قالـوا ، وما سَطَروا

هذي النَّوابغُ ، جيشُ الفكر أجمعِهِ
والفِكرُ عندَ سِوانا صارِمٌ ذَكَرُ

ينقضُّ منهُ على واهي دَعائِمِهم
مُقدَّرٌ ، وعلى أعدائِهِم قَدَرُ

ونحنُ تدهَمُنا الجُلَّى فنَدفعُها
بالعينِ تهمي ، وبالأكبادِ تَنتثِرُ

وخيرُنا مَنْ جَنى منها لمجلسِهِ
حرفاً يكادُ مِن التَّهذيبِ ينكسِرُ !

اللّهَ من بَطِرٍ أزرى به البَطَرُ
ومِن حريرِ حُروفٍ ليتَه وَبَرُ !

كم نَستجِثُ من الألفاظِ أسمَنَها
لحماً ، وأوهَنَها عَظماً ، ونفتخرُ

فُرسانَ حربٍ صغاراً خيلُهم قَصَبٌ
تزهو طِوالاً وفي مضمارِها قِصَرُ

نَلهو بها تَتهادى بينَنا زُمَراً
من القَطا ، تَتأبّى ، ثم تُؤتَسَرُ

يا عِزَّنا نصطفي لفظاً ونبتكِرُ
وخصمُنا يصطفي ناراً ويبتكِرُ !

أقولُ للبَطِرِ المُرخي أعنَّتَهُ
كأنَّهُ ، وهو مَرمى الموتِ مؤتَجِرُ

يُبـدي أسـاهُ ولا يُخفي شمـاتَتَـهُ
أنْ ادلـهمَّتْ على إخـوانِـهِ الـغُـمَـرُ

لا تَستـهِنْ بنـذورٍ رُحتَ تَـرقبُـهـا
تَهـوي ، فثمَّـةَ في أعقـابِهـا نُـذُرُ

تـالـلّهِ إنَّـكَ مـأخـوذٌ بـهـنَّ غـداً
فـأيَّ عُـذرٍ لمـا قَـدَّمْتَ تعتـذِرُ ؟!

*

وَمُـطمئنٌّ بـأنَّ السَّيـلَ يجـرفُ مَـنْ
حـيـالَـهُ ، ويـوافيـهِ فـيَـنْـشَـطِرُ

عن مَـوطِئَيْ قَـدَمَيـهِ ، لا يُحـرِّك مِن
كَـفٍّ ، ولا شَـفَـةٍ إلاّ بـمـا أَمَـروا

أوفى على زَحْمةِ المَسرى ، وفي يدِهِ
منديلُهُ ، ولهَ في دَمعةٍ وَطَرُ

وذلكَ العائقُ المَسرى به عرَجٌ
يَرقى مع الناسِ شَوطاً ، ثمَّ يَنحدِرُ

فلا يَخِفُّ كما خَفُّوا فممُتَدَحٌ
ولا يَكفُّ فمَعذورٌ ومُدَّخَرُ

لكنَّهُ ، وَمُريبُ الأمرِ غامضُهُ
مُحَيَّرُ اليَدِ لا يأتي ولا يَذرُ !

*

والرَّاقبُ الموكبَ المخضوبَ ترقبُهُ
من الجراحِ عيونٌ شُخَّصٌ شُزُرُ

أن راحَ يَـهـدي لأمـنٍ لا أمـانَ بـهِ
وَهَـدأةٍ مِـلؤهـا مـن رِيـبـةٍ غِـرَرُ

مُلَوِّحـاً بـضِـمـادٍ ، يـا لـه كـفَنـاً
لِـرَّفـةِ الجُـرحِ يُضـويهـا فتَـفتـقِـرُ

حتى تمـوتَ ، فـوا ضِمْـداً على تِـرَةٍ
كـمـا يَلزُّ إليـه الـنَّصـلَ مُنتحِـرُ !

يـا ضـامـدَ الجُـرحِ حَيّـاً زاخـراً دمُـهُ
لا يُضمَـدُ الجُـرحُ إلاّ حين يُحـتضَـرُ

يـا ضـامـدَ الجُـرحِ مُغتـالاً مـروءَتَـهُ
مـا رَأيُـكَ السَّـطحَ والأعمـاقُ تنفجـرُ

يـا ضـامـدَ الجـرحِ نَصـلُ في قَـرارتـهِ
فـانـظُرْ على أيِّ مـوتٍ تُحكَمُ الإبَـرُ !

وَيْـكَ ابتعِـدْ عن جـراحٍ لا يُضمِّـدُهـا
إلّا اللظى ، فَجِـراحٌ فـوقَهـا أُخَـرُ !

*

صَبـراً فلسـطيـن إنّـا مَعشـرٌ صُبُـرُ
نُحصي خُـطانـا على قَـدْرٍ ، ونخْتَبِـرُ

وَنذبَـحُ الأمـرَ تَميحصـاً لِنُحـكِمَـهُ
شـأنَ الحليم ، ويَستعصي ، فنـأتَمِـرُ

والأمرُ شورى ، ولا شـورى بلا جَـدَلٍ
ولا تَـجـادُلَ إلّا ثَـمَّ مُـشـتَـجَـرُ

مرحى فلسطين ، منّا النّابُ والظُفُرُ
ومنكِ مَنْشَبُ صِدْقٍ عندَه الخبَرُ

يا جاعلينَ مَصيرَ الناسِ مُتَّجَراً
أفادَ عَمروٌ ، وأفتى بَعدَهُ عمرُ

دَعوا لهم أمرَهم ما دامَ أمرُكُمُ
لا خيرَ يُرجى ، ولا يُخشى له ضَرَرُ !

*

وأنتَ يا موكباً للفدي ، مُلتطِماً
والنار ، يَزجُرها طوراً وينزَجِرُ

يا حاملِينَ لِفَرطِ الغَيظِ من دمِهم
وِزراً يُفتِّشُ عن مُسْتَنزِفٍ يَزِرُ !

يا خائضينَ جَحيمَ الموتِ ما التَفتوا
حِيالَهم قَلَّتْ الأنصارُ أو كَثروا

شُدُّوا خُطاكم فلا واللّهِ اقتُحِمتْ
إلّا بمثلِ خُطاكم هذهِ الغُمَرُ

يا مُورِدينَ المنايا صَفوَ أنفُسِهِم
ما طُلَّ يوماً على أرضٍ دَمٌ هَدَرُ

لكنْ يَجرُّ الدَّمُ المسفوحُ أَلْفَ دَمٍ
وهكذا ثورةُ الإنسانِ تَنْتَصِرُ !

*

بغدادُ هذا جناحي ، مثلَ عهدك بي
مُخَضَّبٌ ، بِمَهَبِّ الريحِ مؤتَزِرُ

أعلو بهِ جُهْدَ ما تقوى قوادِمُهُ
فإن أسَفَّ فَمنْ عُقبانِكِ العُذُرُ

*

# منابت الضوء

١٩٥٢

يا غيومْ
تَلبَّدي ما شئتِ فوقَ البشرْ
وعندما تعتصرين المَطَرْ
فوق سطوح البيوتْ
تَذَّكري أنّ السَّنا لا يموتْ
وأنَّ كلَّ النجومْ
قد نبَتَتْ فيكِ ،
وأنَّ القَمَرْ
يَشقُّ في قلبكِ مجرى حنينْ
ليبعثَ الدفءَ إلى المتعبَينْ

# في اعقاب العاصفة

١٩٥٤

الضَّوء ،
والظلالْ
والناسُ يعبرونْ
الناسُ يعبرون في سكونْ
فَتَرْجفُ الظلالْ ،
والضــوءُ
لا همسَ
ولا سؤالْ
والمأتمُ الكبيرْ
يجْثمُ في صمتٍ وفي جَلالْ
على الحوانيتِ ،
على ملامحِ الرجالْ
وهم يَمرُّونْ

بلا صوتٍ ،
بلا سؤالْ
فَتَرْجِفُ الظلالْ
والضَّوءُ في الدروب ،
في أكثرَ من سكونْ . .

# حين يأكل الملح كل شيء

١٩٥٥

يا أنيسَ الخريفِ ماذا جَنَينا
ورواءُ الشبابِ هذا ربيعُهُ

خصبَةٌ أرضُنا ، ودَفقٌ سَواقينا ،
ولكنْ بذورُنا لا تُطيعُهُ

لَكأَنّا ونحنُ في وَضَحِ الفَجرِ
بليلٍ لا يُستبانُ هزيعُهْ

عُمُرٌ كلَّما تَرقرَقَ ضوءٌ
بين عينيهِ أطفأتْهُ دموعُهْ

يا أخي ، يا أخي الذي هَجَرَ المحراثَ
ثمَّ انزوى وجفَّتْ ضلوعُهْ

أيَّ شيءٍ يُهديك فلاّحُ أرضٍ
كَفَرَتْ
فانتهى
وماتَتْ زرُوعُهْ

# لحظة انكسار

١٩٥٤

كَـمْ نَضَحْنا من دِماءٍ
كَـمْ كَتَمْنا رغابْ
كَـمْ بَنَيْنا ،
كَـمْ فَدَيْنا ،
كَـمْ حَلُمْنا أن نُثابْ
يا بَنَينا للترابْ
يا سَقَينا من سَرابْ
يا ذَوَينا
يا تَبعثَرنا
هَوانٌ في هوانْ
كلٌ ما عشنا
وأمَّلْنا ، وأوقَدْنا . . دُخانْ

# من ظلمة العراق

١٩٥٤

لو اسْتطاعَتْ أنْ تَفرَّ هذهِ السّطورْ
مِن ظُلمةِ العراقْ
فأوصِلوها ،
أوصِلُوها أيُّها الرِّفاق
لأهْلِكم ،
لأصدقائِكُم ،
لكلِّ دارْ
ليُبصِرَ الصغارْ
إخوانَهم كيفَ يجوعون ويُهْزَلونْ
وكيفَ يَذْبلونْ
في ظُلمةِ العراقْ

لِيسْمَعوا أنَّ القبورَ تَملأُ القفارْ

وكلُّها صِغارْ
وأنَّ مَن يعيشُ من أطفالِنا صُوَرْ
ليس بها إلاّ القليلُ من دِمِ البَشَرْ
وَمِسْحةِ البَشَرْ
أمّا سَنى العيونْ
أما براءةُ الصِّغارِ يضحكونْ
وحينَ يلعبونْ
فليسَ في صغارِنا منها سوى الوجومْ
والصَّمْتِ ،
والهُزالْ
وَنَظرةٍ ما انفَكَّ في انكسارِها سؤالْ

لكنَّنا نعوِّدُ الصِّغارَ في العراقْ
في ظُلمةِ العراقْ
بأنْ يُحبُّوا الوَردَ والغَمامْ
ويُطْعِمُوا الحمَامْ
بأنْ يُحبوا الشَّمسَ والقَمَرْ

نَروي عن الضِّياءِ والظلامْ
حكايةً يفْهَمُها الصِّغارُ في العراقْ

حينَ تُزَفُّ الشَّمسُ للقَمَرْ
سَيشْهدُ البَشَرْ
ميلادَ طفلٍ رائعٍ يُحبُّهُ الصِّغارْ
عَيناهُ نجمتانْ
من أُمِّهِ الشَّمسِ لهُ وَضاءةُ النهارْ
ومِن أبيهِ رَوعةُ الهدوءِ والأمانْ
وعندَما يمتَزِجُ الضِّياءُ بالظلامْ
تُرفْرفُ الحَمائِمُ البيضُ على البَشَرْ
حامِلةً أرجوحةَ ابن الشَّمسِ والقَمَرْ
حِبالُها غصونْ
مِن شَجرِ الزيتون ،
والمُتكأُ الصَّغيرْ
وَرِدُ وزَيزفونْ
تَحوطُها مَواكبُ الصِّغارْ

آلافُ آلافِ الأراجيحِ
تَغْرَقُ في الرِّيحِ
تطيــرْ
تَسبحُ في مَجاهلِ العبيرْ
تَتْبَعُها
تَسْبقُها
تحضنُها العيونْ

لو استطاعَتْ أنْ تفرَّ هذهِ السطورْ
من ظُلْمةِ العراقْ
فأَدْخِلوها ،
أدْخِلوها أيُّها الرِّفاقْ
بيوتَكُم ،
وَلْتقْرأوا منها لِأُمَّهاتْ
أطفالِكُم ،
ثمَّ سَلوهُنَّ عن العَذابْ

عذابِ أمٍّ طفلُها في حضنِها يموتْ
وتَقرعُ البيوتْ
تَسأَلْ عن شيءٍ لطفلٍ بائسٍ يموتْ

فلا تَرى فيها سوى تأفُّفِ البَشر
البَشَرِ الكِبارْ
والضيق والضَّجَرْ
من فَأْلِها البغيضِ في بدايةِ النَّهارْ

قولُوا لأُمَّهاتْ
أطفالِكم ،
هل بينَهُنَّ مَنْ لَها صَغيرْ
وَدَّتْ لو انَّهُ لفرطِ قسوةِ الحياةْ
أراحَها فَماتْ !
قولوا لَهنَّ إنَّ فيَ العراقِ ،
في دُجاه
في كلِّ يومٍ ألفَ صوتٍ يُقلقُ الإلَـهْ

إنْ كُنتُ لا تقيتْ
فَفِيمَ تُعْطي
فِيمَ تُبْقي
فِيمَ لا تُميتْ ؟!

لكنَّ أمَّهاتِنا في ظُلْمةِ العراقْ
يَعبُدنَ رغمَ سُخْطِهنَّ أيُّها الرِّفاقْ
أطفالَهُنَّ حينَ يَنْطِقُونَ كالكِبارْ
حينَ يُقلِّدونْ
آباءَهُم ،
يَعْبدنَهم حينَ يحاولونْ
أنْ يُصْبحوا كِبارْ
فأمَّهاتُنا يَرَيْنَ أنَّ في الصَّغيرْ
في عَبْثِهِ الغريرِ
حيْنَ يَقتَفي أباهْ

يَرَيْنَ شيئاً من حياتِهنَّ في الكِبَرْ
تَضمَنُهُ يَداه
حين تُحاولانِ ،
تَعبثانِ باهتمامْ
لِتَصْنعا شيئاً يَلوحُ أنَّه كبيرْ
شيئاً بلا نِظام
لكنَّه كبيرْ !

وَلْيَقرأ الآباءُ منكم أيُّها الرِّفاقْ
إنْ استطاعَ أن يَجوزَ ظُلْمةَ العراقْ
شيءٌ عن العراقِ بينَ هذهِ السّطورْ

لِيَقرأ الآباءُ مِنكم حينَ يَجلسونْ
بينَ صِغارِهم بليلٍ آمنٍ سعيدْ
لِيَقرأوا ،
وإنْ يَكُنْ يُجمِّدُ السّرورْ
هُنَيهةً فوقَ الوجوهِ ما يردِّدونْ

اليوم يومُ عيدْ
في ظُلمةِ العراقِ يُدعى اليومُ يومَ عيدْ
وحيثُما تَكُنْ
واليومُ يومُ عيدْ
تُشاهد الصِّغارَ في الصباحِ يركُضونْ
لِيملأوا مداخل السّجونْ
فَيلْمَحوا آباءهم في السِّجنِ من بِعيدْ
فاليوم يومُ عيدْ
وقد تَعَوَّدْنا بأن يحتضنَ الصَّغيرْ
في العيدِ والداهْ
وأنْ يُقَبِّلاهْ
لكنَّهم في ظُلمةِ العراقِ يَكتَفونْ
أنْ تَقَعَ العيونْ
على صِغارِهمْ ،
ولو في الدَّربِ مِن بَعيدْ

ثِقوا جميعاً أيُّها الرِّفاقْ
بأنَّ من أنبَلِ ما في ظلمةِ العراقْ
أنبَلِ ما بينَ بيوتِ القَصَبِ الرُّخاصْ
أنبلِ ما أستُغِلَّ ثم اغتيلَ بالرَّصاصْ
أنبلِ ما انحنى على المحراثِ من عِظامْ
أنبلِ ما حَنَّ الى السَّلامْ
هذي الشُّعورَ البِيض ،
هذا الشَّيبَ والغضونْ
وهذهِ العيونْ
عيونُ آباءِ العراقِ أيُّها الرِّفاقْ

هـــلْ ،
هلْ سمعتُم أيُّها الرِّفاقْ
بطفلة تخضَبَتْ في ظُلْمةِ العراقْ
بما يُغَطِّي كلَّ عامَيها من الدِّماءْ ؟

ثَغرُ أبٍ سجينْ
ثَغْرُ أبٍ ممتليءٍ الضّلوعِ بالرَّصاصْ
كانَ أعزَّ ما تمنّى قبلَ أنْ يموتْ
أنْ يُبْصِرَ ابنتَهْ
وعندَما دَنَتْ إليهِ لَحظةُ السّكوتْ
جَرَّ إلى أقربِ طِفْلةٍ بَقيَّتَهْ
فأسْلَمَتْها أُمُّها إليه
قَبَّلَ فيها كلَّ ما أحَبَّ في الحياة
قَبَّلَها وماتْ
وكانَ إذْ يَزُولْ
يَرْوي لها وَكَفُّهُ في شَعْرِها تَجولْ
أنَّ الحياةَ كلَّها فَرَحْ
وأنَّه أفْرَطَ في البُكاءِ فانْجَرَحْ
وسالَتْ الدِماءْ
مِن صَدْرِهِ ،
ولنْ يَعودَ بَعدُ للبكاءْ !

حدَّثَها عنِ بَيتِهِ الصَّغيرْ
عِنَ طِفلةٍ تَملأهُ بِعَبْثِها الغَريرْ
تُشبِهُها ،
فَشَعْرُها كَشعْرِها حَريرْ
وَوَجهُها ،
كوَجهِها مورَّدٌ خَجُولْ
إذا رأتْ كفَّ غريبٍ هكذا تجولْ
في شَعْرِها الغَزيرْ

رَوى لها أينَ يَكونُ بيتُهُ الصَّغيرْ
ناشَدَ أُمَّها بأنْ تأخذَها إليه
تَلعَبُ وابنتَهْ
ثمَّ تَراخى فَمُهُ ،
وَسَدَّ مُقْلتَيهْ
فانتزَعَتْها أمُّها مِن بينِ ساعِدَيه
وكلُّها دِماءْ . .

لو استطاعَتْ أن تَفرَّ هذهِ السّطورْ
من ظُلمةِ العراقْ
فَلْتقَرأوها ،
إقرأوها أيُّها الرِّفاقْ . .

# حنين الى الأحجار المنسية

١٩٥٢

سَأعودُ لها وَحْدي
تلكَ الأحجـارُ الملتهِبـهْ
وثقوبُ الجدرانِ الخَرِبَهْ
مَـنْ يؤنِسُها بَعْدي

سأعودُ وأُحصيها
وأُريقُ دَمي فيها
سأرى قَلَمي
يمتصُّ دَمي
ويَجفُّ ويُرويها

ومَقابـرُ أهليـهـا
سأسـدُّ بها سَمعي
وأُميتُ بها دَمْعي

وسأبقى ألفظُ أنفاسي

بفم قاسي

سأُحَجّرُها نَفَساً نَفَسَا

وسأُطفئُها قَبَساً قَبَساً

وأعودُ فأَبْكيها

أبكي نفسي فيها

سأعودُ لها وَحدي

تلكَ الأحجارُ الملتَهِبَة

مَنْ يُؤنِسُها بَعْدي

وأخي وأُخَيَّاتي

وَبقايا مِن ذاتي

ستَظلُّ هناكَ بأوراقي

بحطامِ هَواي ، بأشواقي

في مأوانا أمسِ

نائيةً عن بؤسي

سـأعـودُ بَقـاهُم في بُعـدي
سـأعـودُ ولـو تَـدمي كَبـدي
وسـأحمـلُ تـابـوتي وَحـدي
وسـأدْفنُ وَجـدي في وَجْـدي
وألوبُ هنا
وأهيـمُ هنا
وسـتُنكرني عينـايَ أنـا . .

# النار والطيبة الصامدة

نَحنُ لا نَزْرَعُ حِقداً
نَحنُ لا نَسْقي دِماءْ
نَحنُ لا نَحرثُ بالنارِ صدورَ الأبرياءْ
نَحنُ قومٌ بُسَطاءْ

عنْدَما يُقْسِمُ كلٌّ بِبَنيهْ
أنَّنا لا نَسْتفِزُّ الشَّرَّ ،
أنّـا نَتَّقيه
نَحنُ قومٌ بُسَطاءْ

عندَما نُبْصِرُ آلافَ البَنادِقْ
تَتَجَمَّعْ
في الدُّجى مثلَ نذيرِ الموتِ ،

يحصي بالدقائق
أهلَنا ،
أطفالَنا ،
كـمْ سَيعيشُونَ . .
وَنَقْنَعْ
انَّها لنْ تتجاسَرْ
فَلَها دُنيا ودينْ
ولها عِبْرَةُ ما كانَ مصيرُ الآخرينْ
نَحنُ قومُ بُسَطاءْ

غيْرَ أنّا
عنْدَما تَنْتَزِعُ النيرانُ منّا
كلَّ نُبلِ البُسَطاءْ
لَـنْ تَرانا
لَـنْ تَرانا
لَـنْ تَرانا جُبَناءْ . .

# أمومة

١٩٥٥

عاني مِخاضَكِ يا غَريْبه  مَحْرومةً مِن كلِّ طيبَهْ
عـاني مخاضَـكِ واحمِلي آلامَ وَحـدتِـكِ الـرَّهيبَـهْ
عاني مخاضَكِ واسمَعي شكواكِ وَحـدَكِ يا جَـديبهْ
يـا طـالَمـا طُـوَيتْ على بَلْواكِ أضلُعُـكِ الـرَّحيبَــهْ
ذوبـي مِن الآلامِ وابـتَسِـمي لأوجُـهِـنـا الـكئيبَــهْ
إنّـا نَـريـحُ بـراحَـةِ المـوتى ضمـائِـرَنـا المُـريبَــهْ

عاني مخاضَكِ وادْفني  موتاكِ وحدَكِ يا فَقيْرَهْ
يـا ليتَ ثَدْيَـكِ ما غَـذّا  هذي الملايينَ الغَفيـرهْ

عـاني مخاضَـكِ فـالصِّغـارُ تَفـرَّقُـوا في كـلِّ دِيْـرَهْ
كـلٌّ يَئِـنُّ على أسَـاهْ خِــلال أنّـتِــكِ الكَـبيــرَهْ
هُم يَسمعونَكِ ،

يُبْصِرونَكِ ،
غيرَ أجنحةٍ كسيرَه
يَتَطايرون بها إليكِ تَشدُّها هِمَمُ صَغيره ..

# موعد اللقاء

١٩٥٩

عِندَما تُنْشَرُ كالرَّاياتِ أعوادُ المَشانِقْ
فوقَها هامُ ضَحاياكِ مُطِلَّهْ
كالأهِلَّه
في نِهاياتِ البَيارِقْ

عِندَما تَشْهَقُ بالنِيرانِ أفواهُ البَنادِقْ
ويُرَوِّي دَمُكِ الدّافيءُ حِرمانَكِ كُلَّهْ

عِندَما تُوصَدُ أبوابُكِ دونَ الشَّرقِ أجمَعْ
ويَظلُّ الطَبْلُ يُقْرَعْ
في حَناياكِ مِن الأعماقِ في صَمتٍ ورَهْبَهْ
عِندَما تَلْهَثُ أنيابُ الضِّلالْ
عِندَما تُهْرَسُ في الظُلْمَةِ أضلاعُ الرِّجالْ

## في سجُونِكْ

عِندَما تَلْتَمِعُ الماساتُ في تاجِكِ ،
تَعْوي
مِثلَ أحداقِ الأفاعي
فاعْلَمي أنَّ المَراعي
والعَصافيرَ الصَّغيره
وهُتافاتِ التَّلاقي
كلّها ترنو إلى تَمّوز يا أُختَ عراقي

# وقفة حب للجواهري

في حفل عودته الى العراق

١٩٦٨

شَـدُّوا إليـكَ نيـاطَ القلبِ والعَصبَـا
وَوَطَّأوا خـطوَكَ الأجفـانَ والهُـدُبـا

وسَمَّـروا كـلَّ ضلعٍ من أضـالعِهم
في كـلِّ مُنْعَـطَفٍ جـاوَزْتَـهُ نُصُبـا

وفَتَّحـوا لـكَ أبـوابَ الصّـدورِ وقـد
كـانَتْ تلوحُ كـأنْ قـد أُوصِـدَتْ حِقَبـا

لـو استطاعـوا أضـاءوا مِن مَحاجِرِهم
على طـريقِـكَ في تلكَ الـدُّجى شُهُبـا

وسَيَّروا الـرِّيـحَ مِن أنفـاسِهِم شَـرَفـاً
أنْ يحْمِـلُوكَ على أنـفـاسِهِـم حُـدُبـا

أنْ يَلْمِسُـوا مِنـكَ كفّـاً بـاللّظى غُمِسَتْ
ويَلْثِمُـوا مِنـكَ وَجْهـاً بـالسَّنى عُصِبـا

ويَحْضِنـوا ذلكَ الصَّـدْرَ الـذي حضَنَتْ
عـظامُـهُ الكونَ كـلَّ الكـونِ مـا رَحُبا !

أسبـابُ أهلِكَ يـا أوفـاهُـمُ رَحِـمـاً
أقـاطِـعٌ أنتَ مِن أسبـابِهم سَبَبـا ؟!

*

أنـظُرْ تَجِدْ في عُيـونِ النّاسِ أيَّ هـوَىً
جـذلانَ تَهتِـكُ عنـهُ النَّظرةُ الحُجُبـا

يـكـادُ مَـنْ يَشْـهَـدُ الأعنـاقَ مُـتلَعَـةً
إليـك يُبْـصِـرُ منـهـا منـظراً عَـجَبـا

أَكُلُّ قَلْبٍ لهُ فيما شَدَوتَ بِهِ
شأنٌ ، فكلٌّ بشيءٍ مِنكَ قد جُذِبا ؟

أمْ أنَّها هالةُ المجدِ التي سَكَبَتْ
على الجبينِ مِن الأضواءِ ما خَلَبا

وأروعُ المجدِ مَرمىً هامةٍ زَحَمَتْ
ذُرىٰ السَّماءِ ، وخَطْوٍ لم يَزَلْ تَرِبا !

*

ما كانَ مجدُكَ مِزماراً تُرَنِّمُهُ
وقَينةً تتلوَّى حَولَهُ طَرَبا

ولا رَنينَ كؤوسٍ كلَّما امتلأتْ
طَفَتْ حُلومُ ذَويها فوقَها حَبَبا

ولا حَدَوتَ رِكابَ الأرْذَلينَ بِما
يُوحى إليكَ ، ولم تَمسَحْ لهم ذَنَبا

بلى ، رأيتُـك حَتفـاً والـجـاً أبـداً
بيـوتَهم ، مُكْفَهِراً ، عـاصِفـاً ، غَضِبـا

لم تَخْشَ إذْ كُنتَ صِـلَّ الرَّمْـلِ مُنْتَصِباً
أنْ يَسْلبُـوكَ ، وهلْ مِن مُـرمِلٍ سُلِبـا ؟

حتى إذا عـجَمُـوا صُـلْبَ القـنَـاةِ فلم
يُلفـوا كمـا وَهِمُـوا بـانـاً ولا قَصَبـا

جَـرَتْ نُهَيْـراتُهم مِـن حـولِ رَمْلَتِها
تُشَعْشِـعُ المالَ ، والألقـابَ ، والـرُّتَبا

تَـوَهَّمُـوا هـامـةَ العِمْـلاقِ تُثْـقِلُهـا
تلكَ الثمـارُ فتَحني جِـذْعَهـا الصَّلِبـا

لـكنْ أبَـتْ كـلُّ ذراتِ الـرِّمـالِ فلمْ
تَشْـربْ ، وظـلَّ مَهيبُ العـودِ مُنْتَصِبا !

وهــلْ يَــقَــرُّ جَــنــاحٌ أنــتَ ناشرُهُ
إلّا على مُــرتقىً أو يَفْــرَعُ السُّحُبــا !

*

أبــا فــراتٍ ولــنْ يَــنْــفَــكَّ مُــرْتَــقِبــاً
شــوقُ الجُمــوعِ ، ولنْ تَنْفَكَّ مُــرتَقَبــا

خمســونَ عــامــاً صَــواريهم يَجيشُ بِهــا
خِضَمُّ شِعْــرِكَ مــا لانَتْ ، ولا نَضَبــا

أولاءِ والــلّهِ لــو خَيــلُ الفُراتِ كَبــا
طــوفــانُهــا عَــذَروا أنَّ الفــراتَ كَبــا

إلّاكَ يــا حــاديَ الــطُّوفــان ، لا عُــذُرٌ
ولا شَفــاعــةَ إن لمْ تَنْــطَلِقْ خَبَبــا !

هــذا هــو المجــدُ سَبّــاقــاً يُقصِّرُ عن
أدنى مَــرامِيهِ سَعيُ المجــدِ مــا وَثَبــا

ذا المجدُ يا قاصِداً أعراقَهُ جَذِلاً
أن يَشْرَبَ الناسُ منها عَلْقَماً عَذِبا !

ذا المجدُ يا مُطعِماً من لَحمِ صِبيَتِهِ
جوعَ الجياعِ وهم أشجى الوَرى سَغَبا !

تَجفُّ كلُّ بحارِ الأرض غيرَ دَمٍ
وَهبْتَ للنّاسِ يبقى دافئاً رَطِباً

وخَيرُه ، وأُحَيلاهُ ، وأَلصَقُهُ
بالرُّوحِ والفِكْرِ والخفَّاقِ ما وَجَبا

أَنّا إذا لُحْتَ أومأْنا بألفِ يَدٍ
مُنَبِّهينَ بها أفراخَنا الزُّغُبا !

*

أولاءِ أهلُكَ يا حادي مَواكِبِهم
كمْ أُجهِدوا فحَدَوتَ الموكبَ التَّعِبا

تَـرمـي بـِـهِ الــوَعــرَ لا يَلْوي أعـنَّتَـهُ
وتَـــزحـمُ المــوتَ لا يَـثْـنـي لـــهُ رُكَبـا

وأيـنَ تلقـى عــظيمــاً قــالَ قــافيـةً
فقــادَ في كــلِّ بيتٍ جحْفَــلاً لَجِبــا !

*

يــا خــالَ عــوفٍ وأكـرِمْ بــالّتي وَهَبَتْ
مُـخَـلَّدَ الـشِّـعْـرِ أنْــقـى دُرَّةٍ وُهِــبــا

سـلْ عنِ أُهَيلِكَ هـل غَصَّتْ محافِلُهم
ولم تَــكُ القَلْبَ مِمّــا قيــلَ أو كُتِبــا

هــلْ ارتقى مِنبَــراً لــلشِّـعْــرِ مُـلْهَـمُـهُم
إلاّ وكُـنـتَ خَيــالاً دُونَــهُ انْـتَـصَـبَـا

حتـى لَـتَـنْـفَـتـحِ الأَجـفــانُ مُـثْـقَـلَـةً
ويُنصِتَ السَّمْـعُ لا نَبْـعــاً ولا غَــربَــا

لقــدْ قَـرَعْـتَ نَـواقـيـســاً مُـدَوِّيــةً
تَـرَكْتَ كـلَّ قــريضٍ بَعْـدَهــا لَغَبـا !

*

قــالـوا اغْتَــرَبْتَ ، ألا فُضَّتْ مَقـاوِلُهم
متى رأيتَ الأديبَ الفَــرْدَ مُغْتَــرِبـا ؟

متى سَيَفْـهـمُ هــذا الـخَـلْقُ أنَّ لَـنــا
فـي كـــلِّ آهِلَةٍ مِـن شِـعْــرِنـا نَـسَبـا

لقــدْ رَحَلْتَ عــزيــزاً إذْ تَــركْـتَ لنــا
أشقى غــريبَينِ فينـا الفِكْــرَ والأَدَبــا !

سَـلِ العـراقَ الـذي غَنَّيتَ ، مـا وُصِبـا
وما تَحدّى ، وما استَعدى ، ومـا غَضِبا

ألــمْ يَـكُــنْ مــنــهُ أفــواهٌ مُــمــزَّقــةٌ
تمــجُّ والــدَّمَ بيتــاً منــكَ مُلْتَهِبـا ؟!

تــاللّهِ مـا بــارَكتْ شـمسٌ مــرابِعَــهُ
ولا تَــدلّـى بــهِ غَـيـمٌ ، ولا سَـكَـبـا

ولا سَــرى أيُّ ســارٍ مِــن كــواكــبِـهِ
ولا جَــرَتْ جَـرَيــانً المـاءِ فيــهِ صَبـا

علىٍ سُعَيْفةِ نَخْلٍ في الفَلاةِ ، على الـ
شَطّينِ ، والمُنْحنىٰ ، والجُرفِ مُضْطَرِبا

إلّا سَمِعـنــا سَــلامــاً منــكَ تُــرْسِـلُهُ
عَبْـرَ البحـورِ ، وتَـرجيعـاً لـهُ طَـرِبــا !

*

يــا واهبَ الشِّعـر مِن عَينَيـهِ ضَـوءَهمــا
ومِـن جــراحٍ يُعــانيهــا دَمــاً سَــرِبــا

ومِــن مَـصــائِـرِ أطــفــالٍ تُــطالـبُـهُ
عيــونُهُــم دونَ أَن يُــدني لــهم طَـلَبــا

يُقلِّبونَ على شَعواءَ يُطعِمُها
مِن لحمِ جَنْبَيهِ تلكَ الأوجُهَ النُّجُبا

مؤمِّلاً أن تَهيضَ الرِّيحُ جَذْوَتَها
فتَسْتَحيلَ لخيرٍ دائمٍ سَبَبا

آمَنْتُ أنَّكَ أنقى الحاطِبينَ يَداً
أنْ رُحْتَ طَوعاً لنارٍ هجِتَها حَطَبا !

*

يا خالَ عوفٍ وقد أضرَيْتَ جَذوتَها
واحسرَتا إنْ أحِدْ عنها وواحَرَبا !

نارٌ نَذَرنا لها الأضلاعَ مُضْطَرِباً
حتى تَضرَّتْ على أفراخِنا لَهَبا

ولم يَزَلْ نحْوَها يَسعى بنا خَبَباً
رغمَ الأذى كَونُها أُمّاً لنا وأبا !

*

يـا خـالَ عـوفٍ ولم نَفْـزَعْ لِقـافيـةٍ
مِمّـا نُعـانيـهِ سُلوانـاً ولا هَـرَبـا

وَيْـلُمِّ كَـفّـيَ مِـن حَـرفٍ أُسـطِّرُهُ
فـلا أرى بعضَ عمـري فـوقَـهُ صُلِبـا !

فـإن تَـمـزَّقـتُ عـن آهٍ يُـغـالِـبُـهـا
صَبري ، فكُنْ عاذِرَ الصَّبر الذي غُلِبا !

*

يـا خـالَ عـوفٍ أأوراقٌ مُـبَـعْـثَـرةٌ
هذي القلوبُ نَأتْ عن بعضِها عُصبَا ؟

تَعَـرَّتْ الـدَّوحـةُ المِعـطاءُ مُعـوِلَـةً
وأذبـلَ الخُلْفُ ذاكَ المـرتَـعَ الأشِبـا

وقـطَّعَ الشَّـكُّ أسبـابـاً نَـلوذُ بـهـا
في عـاصِفٍ لم يَـدعْ مِن خَيمـةٍ طُنُبـا

يـا خـالَ عـوفٍ وأشجى مـا يؤرِّقُنـا
أنَّ المصـائِبَ تُـذكي بيننـا الـرِّيَبا

في كـلِّ يـومٍ لنـا جُـرحٌ نُفَتِّقُـهُ
لِنلعَقَ الـدَّمَ يـوري الحقـدَ ما شَخَبـا

قـد يُسْفَحُ الـدَّمُ ، جُذَّتْ كَفُّ سـافِحِـهِ
لكنْ أمـرُّ مِن السَّفَّـاحِ مَـنْ شَـربـا !

أمسَتْ ظَـلاماً قلوبٌ كـانَ يَعْمُـرُهـا
من المـحبَّـةِ نـورٌ ، لا أقـولُ خَبـا

لكنْ أرى زَمْهـريـرَ الحِقْـدِ يَصْفَعُـهُ
ولا أرى شـاجبـاً مِن بـينِنـا شَجَبـا

*

يـا خـالَ عـوفٍ أَقِلْني إنْ عَثَـرْتُ فقـدْ
ينبـو الصَّقيلُ وإن لم يَنْبُ مَـنْ ضَـرَبا !

أورَيتَ أنتَ زنــادي فــاحتــرَقْتُ بــهِ
عشرينَ عاماً صَبُوراً ، شامخاً ، شَجِبا

وإنّـني مِنــكَ فَــرْخُ النَّســرِ يحـمِـلُهُ
عـلى جَنـاحَيــهِ جبَّــارَيـنِ إن تَعِبــا

# باريس وجنين الثورة

١٩٥٦

الضوءُ في النّجومْ
والضَّوءُ في القَمَرْ
في الحَطَبِ اليابسِ ،
في الرَّمادِ ،
في الغيومْ
والضوءُ كلُّ الضوءِ بينَ أضْلُعِ البَشَرْ
فَلْتنتَصِبْ في قَلبِ باريسَ التي تدوسْ
معابِرَ الشموسْ
لِتَنتصِبْ في قَلبِ باريسَ التي تَرومْ
أن تُطْفيءَ النّجومْ
وَتَقْتُلَ القَمَرْ
لِتَنْتَصِبْ مَشانِقٌ في عَدَدِ البَشَرْ

فالضَّوءُ في كلِّ مكانٍ يُنْبِتُ البَشَرْ

باريسُ

يا باريس . : يا مَوتي ويا ضَلالْ
يا سُبَّةً يُخْجِلُ أن تُقالْ
حُرّيةُ الرِّجالْ
كالرِّيحِ يا باريس لا تَني ولا تُنالْ
كالرِّيحِ يا باريس ، لا حَدَّ ولا مَجالْ
لا مَنبعٌ لَها
كالرِّيحِ يا باريس ،
كالرِّيحِ لَعلَّها
تَهبُّ يَوماً في سمائِكِ التي تَموتْ
تَقْتَحِمُ البيوتْ
تبحَثُ عن جَذْوَتكَ القَتيلَهْ
تُوقِظُ روبسبير مِن رَقْدَتِهِ الطَّويلَهْ
تنثرُ عن أحطابِكِ الرَّمادْ

فَربَّما فَهمتِ شيئاً مخلصاً أرادْ
خمسةُ أنبياءْ
أن تَفْهمِيهِ قبلَ أن يَقْتُلَكِ الضِّياءْ

تِيهي على البَشَرْ
تِيهي على لِداتِكِ الأُخَـرْ
تِيهِي عليهم أنَّ كلَّ جيشِكِ العظيمْ
تَمكَّنَتْ قوّاتُهُ تَمكُّنَ اللئيمْ
مِن خمسةٍ مِن شُهُبِ الثَّورةِ فانْتَصَرْ

تِيهي على البَشَرْ
تِيهي بهذا الغَدْرِ ، والجُبنِ الذي أَسَرْ

لكنَّ لِي رَجاءْ
وأنتِ ترَوينَ لهذا البائسِ الكبيرْ
هذا الذي يحلُمُ بالجَنّةِ في السَّعيرِ
شَعْبُكِ يا باريسُ يا ثَكْلىٰ

وأنتِ تَروينَ له نَصْرَكِ . . لا خَجْلىٰ
ولا بكِ انكسارْ
تَروينَ عن قَرْصَنَةٍ سَمَّيتِها انتصارْ

باريسُ لي رَجاءْ
وأنتِ تَسْتَجْدِينَ مِن بائسِكِ الدِّماءْ
لا تُسْمِعيهِ أنَّ ساعةً من الزَّمنْ
في ذلكَ السَّعيرْ
تَنْسُجُ ما يَكفي من الكَفَنْ
تَحْفُرُ ما يكفي من القبورْ
لِيُدْفَنَ المئاتُ مِن أبنائِهِ القَتْلىٰ
باريسُ يا ثَكْلىٰ
لا تُسْمِعي الصِّغارْ
لا تُسْمِعي الأمَّ التي تَقْبَعُ في انْتِظارْ
بأنَّ مَوتاً شامِلاً يَهيمْ
في ذلكَ الجَحِيمْ

سَتُشْرِقُ الشُّموسْ
وأنتِ تَغْرَقينْ
في هذهِ المنابعِ التي تُفَجِّرينْ
سَتُشْرِقُ الشّموسْ
مُضيئةً
مضيئةً كأنَّها النّفوسْ
نفوسُ خَمْسةٍ مِنَ البَشَرْ
نُفوسُ كلِّ مَـنْ أحَسُّوا أنَّهم بَشَرْ

# ثاعور الدم

١٩٦٠

ألا أيُّ حَـرْثٍ مِـن قـبـورِكِ أوجَـعُ
وأيُّ حَـصـادٍ مِن ضَـحـايـاكِ أفْـجَـعُ

وأيُّ دَم دِيـفَـتْ بـهِ الأرضُ مـثـلَمـا
يُـدافُ بِـبَـحـرٍ مـنـكِ واديـكِ أجـمَـعُ

وهـل تُـربـةٌ مُـذْ أينَـعَ الـزَّرْعُ غـرسُـهـا
كَـغَـرْسِـكِ أعـنـاقٌ وهَـامٌ وأضْـلُـعُ

وَلِـلـدَّمِ نـاعـورٌ تَـسُـحُّ دِلاؤهُ
ولِـلـنـارِ مِـحـراثٌ عـلـيـهـا يُـلَـعْـلِـعُ

وأيُّ الـذرى إلّا ذُراكِ سـفـوحُـهـا
جَـداوِلُ نـارٍ مِـن فـمِ الـصَّـخْـرِ تَـنْـبَـعُ

تَسيلُ جَحيمَاً يُعشِبُ الصَّخْرُ تَحْتَهُ
وتَندى الثرى مِن سَحِّهِ وهي بَلْقَعُ

فَحَبّاتُها رَيّا ، ودَيجورُ جَوفِها
يَغوصُ لهُ ضوءٌ مِن الضَّوءِ أسْطَعُ

تَغَوَّرَ حتى ضاءَ في كلِّ ذرَّةٍ
مِنَ الطِّينِ قِنديلٌ نَديٌّ مُشَعْشِعُ

يَمدُّ لجذرٍ بَلَّةً ، ولآخر
غِذاءً ، وللتاريخِ عِطْراً يُضَوِّعُ

❊

ألا إنَّ زَرْعاً هائلاً فيكِ يُزْرَعُ
رَنا بَصَرُ الدُّنيا لهُ وهو يُمرِعُ

تُصلِّبُ عُوداً منهُ كلُّ ضَحيَّةٍ
ويُطْعِمُ غُصْناً كلُّ جُرحٍ فيُفْرِعُ

ويـجـمَـعُـهُ جَـمْـعَ الـبَـيـادرِ خـازِنٌ
مِـن الـوَعـي لا يَـبْـلىٰ ولا يـتَـزَعْـزَعُ

وبينَ الـتِـحـامِ الـخيـرِ والـشَّـرِّ مِـديَـةٌ
تـحـزُّ كِـلا الـلّحمَينِ حَـزّاً وتَـكْـرَعُ

ولـكنَّهـا مَـهـمـا تَـطُلْ نَـزْفَـةُ الـدِّمـا
عـلى عُنُـقِ الـبـاغـيـنَ يـا أُمِّ أقْـطَـعُ !

*

أريـقـي دَمـاً فـالـنَّـصْـرُ ظُـلـمٌ فِـطـامُـهُ
إذا كـانَ فـي عَيْـنَيـهِ لـلمَـجْـدِ مـطْمَـعُ

ومـا يَـفْـطِمُ النَّـصْـرَ المُـظَـفَّرَ جـائـعـاً
إلـى الـتَّـمِّ إلاّ رِيـبـةٌ مـنـهُ أجـوَعُ

فـلا تَـمْـنَـعي عن ثَـغْـرِهِ الـثَّـديَ إنَّـهُ
إلـى رَيـعَـانٍ وارِفِ الـظِّلِّ يُـسْـرِعُ

جزائرُ عمري ما دَعوتُ إلى دَمٍ
وإني أبٌ يحنو ، وطِفلٌ يُرَعْرَعُ

وأمٌ يكادُ المَهدُ بينَ ضلوعِها
يُهَدهَدُ.. بيتٌ بينَ جنبيَّ مُودَعُ

وَرُبَّ دِماءٍ مِن دِمائي مَسيلُها
ورُبَّ حياةٍ مِن حياتيَ تُقْطَعُ

وكيفَ ، وإنّي ما أزالُ ٱبنَ مِحْنَةٍ
أُغنّي جِراباً فوقَها اللَّحمُ يَضْرَعُ

وها أنذا لا أكتمُ النّاسَ أنّني
على لَثْغَةٍ تغتالُها النّارُ أهْلَعُ

وكَرْكَرةٍ تذوي ، وتَغْشى خَواثِرٌ
مِنَ الدَّمِ ثَغراً كانَ بالأمسِ يَرْضَعُ

لَتُرعِدُني رُعباً وما بي تَهَيُّبٌ
ولكنْ دَمُ الأطفالِ يا أمِّ يُفزِعُ !

*

أُجِلُّكِ ملأىٰ بالجراحِ مُغيرَةً
وليسَ لجرحٍ آخرٍ فيكِ مَوضِعُ !

تَرَينَ نَثيرَ الشَّيبِ يُذرى ، وهالَةً
مِنَ الطُّهرِ في أغلىٰ عذاراكِ تُصْرَعُ

وَمَنْثَرَ لحمٍ مِن بَنيكِ عليهِ مِن
وحوشِ الفَلا ، والطيرِ ، والدُّودِ مَجْمَعُ

فَيطْفَحُ في جَنْبَيكِ أعنَفَ موجَةً
شعورُكِ أنَّ الموتَ للنَّصرِ مَهْيَعُ

وأنَّ الرَّدىٰ بالثائرينَ على الرَّدىٰ
أبرُّ مِنَ الأَغْلالِ ، والتُّربَ أشْفَعُ !

ثِـقـي أنَّـنـا يـا أُمُّ لا نـوقِـدُ الـلّظىٰ
ولـكـنَّـنـا ، إنْ أوقِـدَتْ ، لا نُـرَوَّعُ

عـرَفْـنـا نـضـالاً دامـيـاً راحَ وَقْـدَهُ
جبـاهٌ تـكـادُ الـشَّـمسُ مِـنهـنَّ تَـطْلَعُ !

عَـرَفْـنـا محـاريثَ اللّظىٰ كيفَ حَـرْثُـهـا
ويـذْرَ الـرَّصـاصِ الـبِكْـرِ أيّـانَ يُـزْرَعُ

عـرَفْـنـا لـهـيـبـاً كـلَّ يـومٍ ولـيـلةٍ
يـطوفُ علـيـنـا حـاصِـدَاً ثـمَّ يَـهْـجَـعُ

وتـبـقـى ضـحـايـانـا وهـامُ صـغـارِنـا
بـأيـدي الخَنىٰ جَمْـعَ القُمـامـةِ تُجْمَـعُ

عـرَفـنـا ، عـرَفـنـا بعضَ مـا تعـرفـينَـهُ
ولـكنْ عـرَفـنـا الـنَّصـرَ والـنَّصْـرُ أروَعُ

وربَّ حـصـادٍ شـامـلٍ نـلتـقـي غـداً
عـليـهِ وتـمـوزُ بـعـيـنـيـكِ يَـلْمَـعُ !

# ما يعقد اللسان*

كـذا تَلِدُ الأرضُ التي شَهِقَتْ عُسـرا
وكـلُّ مِخاضٍ قَـدْرَ نـاتجِـهِ قَـدْرا

كـذا تَـلِدُ الأرضُ التـي تُنْبِتُ السَّنـا
ويَـدفُقُ أنهـاراً بهـا دَمُهـا المُجـرى

كـذا تَـلِدُ الـدُّنيـا وتُـتْئِـمُ لـلذي
يَشـدُّ على محراثـهِ اليَـدَ والـظهـرا

ويغـرزُ في الـطّينِ المبـارَكِ أرجُـلاً
تُخلِّفُ فـي أعقـابِـهـا بُقَـعـاً حُمـرا

---

( * ) كُتِبَتْ ليلة انتصار الثورة الجزائرية.

ويـمْسَـحُ بـالأجـفـانِ غُبْـرَةَ أرضِـهِ
لعـلَّ بهـا عن سـاقِ نبْـتَتِـهِ فَـطْرا !

فـإمّـا اشرأبّتْ . . يـا أضـالـعُ سَيِّجي
ويـا دمُ فتّتْ دونَ مَنْبتِهـا الـصَّخـرا !

ويـا ضَـوءَ كـلِّ الكـونِ مُـدَّ لهـا السَّنـا
ويـا مُقْلَةَ الفـلاّحِ يقـظَتَـكِ الكبـرى !

كـذا تَلِدُ الـدُّنيـا ، ومـا زَهـوُ مَـولِـدٍ
إذا لم تُـرفـرِفْ حَـولَـهُ كَبـدٌ حَـرَّى

إذا لم يُخلِّفْ قَبْلَهُ الجَـذْبُ في الحَشـا
حَريقاً ، وفي الأضْلاعِ من غُصَصٍ نَغْرا

وَضَعْتِ غداً حُرّاً جزائرُ فاشمَخي
لقـد عَـظُمَتْ مَـنْ أنجَبَتْ رَجُـلاً حُـرّا

لأهلي ، لأطفالي ، ولي ولكِ البُشرى
وللنّاسِ كلِّ الناسِ فَرحتُكِ الكبرى

لكلِّ فَمٍ نادىٰ ، وكلِّ دَمٍ جرىٰ
وكلِّ يدٍ شَدَّتْ رِحالاً إلى مَسْرىٰ

وهَبتِ انتصاراً واعتزازاً ومَنعَةً
ومفخرةُ الإنسانِ أن يَهَبَ الفخْرا

لقدْ كُنتِ للإنسانِ مَنْ كانَ ثورةً
وكانَ لها نَصْراً ، فكُنتِ لَهُ النَصْرا

وقدْ يَلِدُ الدَهْرُ الرجالَ وإنَّما
رأيتُ رجالاً ههنا تَلِدُ الدَّهْرا !

# حلم طفل

١٩٥٥

في وادٍ مَسحورٍ ناءٍ
في الظّلماءِ
وُلِدَتْ نَجْمَهْ
كالماسَةِ في جوفِ الظُلْمَهْ

كانتْ تَتَسلَّلُ كاللِّصَّه
مِن أبويَها كلَّ مساءِ
وَتَهيمُ
تَهيمُ على القريَهْ
تَخْتالُ عليها في رِقْصَهْ
ثمَّ تعودُ مع الأضواءِ

وعلى الدُّورِ
يَتَجمَّعُ أطفالُ القريَهْ
رأسٌ ينضَمُّ إلي رأسٍ

وتَهيمُ كَعبّادِ الشمسِ
بالنَّجمِ النائي المقرورِ

وعلى سَطحٍ ناءٍ ناءِ
غافٍ في جوفِ الظَلْماءِ
كانتْ عَينانِ على الفَرقَدْ
عَينا طفلٍ يُدعى أحمدْ
تَمتَصَّانِ ليالي القريَهْ
ليلَه
ليلَه
وتَهيمانِ على اللألاءِ
والفَصُّ الماسيُّ التائي
طولَ الليلِ
يتراقَصُ في وجهِ الطِفلِ
يغْرَقْ
يَطْفو
لا يبرَحُهُ حتى يَغْفو

ليلةُ قدْرِ
وصغارُ القريَة لا تَدْري
هَبَطَ الفَرقَدْ
فِي السَّطْحِ المُنعَزِلِ النائي
فتصاعَدَ هَمْسُ اللألاءِ
أحمَدْ
أحمَدْ

رَفْرَفَ جفنُ الطِّفلِ النائمْ
فَرأى الكَوكبْ
بخيوطِ وسادَتِهِ يَلعَبْ
فَغَفا مبْتَسِماً كالحالِم !

أحمَدْ
أحمَدْ

وأحَسَّ بِدَغْدَغَةٍ حُلْوَهْ
عَبَرَتْ جِسمَهْ

فأفاقَ
أفاقَ
رأى النَّجمهْ !
فطواها في يَدِهِ الطِّفلَهْ
وغَفَا يحضنُها في نَشْوَه
ويقبِّلُها
قُبلَه
قُبلَه
والضَّوءُ يُشَعْشِعُ في جَفْنِهْ
والنَّجْمَةُ تَكبرُ في حُضنِهْ
تَنْمو
تَنْمو
تَنْمو
تَنْمو
وأفاقَ لِصوتٍ يَدعوهُ
كانَ أبوهُ
فرأى كفَّيهِ على فِيهِ
وضياءَ الشَّمسِ يُغَطّيهِ . . !

# مقدمة قصيدة

١٩٥٦

كُتِبَتْ هذه الأبيات لتكون مقدمة
لقصيدة طويلة عن معركة بورسعيد

الأرضُ أبقىٰ ، وباقٍ يَنْحَتُ البَشَرُ
تأريخَهُم فوقَها نَحتاً بما بَذَروا

الخيرُ يُعْشِبُ فيها فهو مؤتَلَفٌ
والشَّرُّ يلظىٰ عليها فهوَ مُشْتَجَرُ

والزَّارِعونَ بها عَدلاً مَزارِعُهُم
تَزهو ، وينضجُ في أعوادِها الثَّمَرُ

والزَّارِعونَ بها شَوكاً تَرُدُّ لَهم
شوكاً تجمَّدَ في أعراقِهِ المطَرُ !

والجامِعونَ قلوبَ النّاسِ آمنةً
والناثِرونَ قلوبَ النّاسِ تَسْتَعرُ

هذي تَسيلُ يَنابيعاً مُرَوِّيةً
وتلكَ تصَخبُ طوفاناً فلا تَذَرُ

والحادبون على الدُّنيا وأضلعُهُم
تكادُ من أنَّةِ المَكْلومِ تَنْفَطِرُ

والحادبون على صَرعى خناجرِهم
والحقدُ يَعْصُرُ منهم فوقَ ما عَصَروا

والأرضُ تَنمو فيَنمو فوق جَبهتِها
بعضُ الغضونِ ، وشيءٌ مورِقٌ نَضِرُ !

*

الأرضُ أبقى ، وباقٍ يَنحتُ البَشَرُ
تأريخَهُم فوقَها نَحتاً ، فتَدَّخِرُ

مِن عهـدِ آدمَ تُحصىٰ كـلَّ مـا وَضَعـوا
فيهـا ، وما أخَـذوا منهـا ، ومـا نَـذَروا

مـا زالَ من نـارِ رومـا فـوقَهـا نَصَبٌ
يـذرو الـرَّمـادَ عليهـا وهـوَ يَنْـدَثِـرُ

ومـا يـزال زَفيـرُ النّـاسِ يَلْهَثُ في
مَـدَارجِ الـطّاقِ والأهـرامِ . . والحُجَـرُ

بـاقٍ جَبـابِـرُهـا لكـنْ ضَحيَّتُـهُـم
طالَتْ فضجَّتْ بها الـدُّنيا وهم صَغُـروا !

وقلبُ بـاريس مـا انفَكَّتْ تَـدفُّ بـهِ
سَحـابـةٌ من لُهـاثِ النّـاسِ تعتَكِـرُ

تَنْشَقُّ عن صَـرْخَـةٍ ثَكْلى ويَـتبَعُهـا
عُـواءُ ذِئـبٍ مِن الـبستيـلِ يَـنْـحَـدِرُ

ومـا تَـزالُ عـلى بَغـدادَ نـائِـحـةً
تلكَ المَـواويل ، مـلأى بالـذي زَفَـروا

مِن ألفِ عـام بُكـاءً مـا تَـزالُ بـهِ
تَلْهـو ، وتَشْحَـذُ من أسيـافِهـا التَّتـرُ !

وَقـادَةُ القاتِـلِ المجنونِ ، هـلْ سَطَرتْ
كَفٌّ امريءٍ في أديمِ الأرضِ ماسَطَروا؟

تَـوقيـعُ هِتلرَ يكفي أن تَنـوحَ بـهِ
مِن مَشرقِ الأرضِ حتى المَغربِ الأُسَرُ

عَفَّى مِـدادُ التَّـواقيـعِ التي هَـدَرَتْ
تلكَ الـدِّمـاء ، ولكنْ ظَلَّتْ الحُفَـرُ !

الأرضُ أبقى ، هي الأحـداثُ والـذِّكَـرُ
هيَ الأمينُ على مـا يَـصْنَـعُ الـبَشَـرُ

هي التي حضَنَتْ سقــراطَ حينَ هــوىٰ
والسُّمُّ في فَمِــهِ المَــزْمُــوم يعتــذِرُ !

وهي التي أمسَكَتْ جِـذعَ الصَّليبِ وقد
ألــوى بــهِ ثِقْــلُ عيسى وهــوَ يَنْهَمِــرُ

وهي التي شَهِدَتْ جسمَ الحسين على
تُــرابِهـا شـائِهـاً من فَــرطِ مـا بَتَــروا

أقــداسُهـا هكــذا تَهوي ، وصــامتَـةً
تبقى ، ولكنَّهــا هـيهــاتَ تَـغْتَـفِـرُ . .

الأرضُ لا تَذَرُ
لا تَسْتَكينُ ولا يَغْفو لها بَصَرُ

كانت مَحانيها
قِدْراً تعرَّتْ بهِ روما وما فيها
تغلي ونيرونُ يَعْوي في فَيافِيها
يَعْوي وتَعرى ،
ويَعْوي ،
وهي تَسْتَعِرُ
حتى تَشَظَّتْ ،
فألْقَتْ كلَّ مَوتاها
في وجهِ تأريخِها الدَّامي ،
فواراها
وازَّحزَحَ الحَجَرُ
وانْشَقَّ تأريخُ كلِّ الأرض ،
وابتلَعَتْ
أغواره قاتلي روما وقتلاها !

لكنَّهم نُشِروا
الأرضُ أخصَبُ ما ينمو بها البَشَرُ !

روما التي قَبَروا
كانتْ سَماداً لروما سوفَ تزدَهِرُ
لكنَّ مَغناها
من فرطِ ما ازدَحَمَتْ أجسادُ صَرعاها
ما عادَ يَنفَطِرُ
عن رأسِ أفعىً لها في وَردِ آذارِ
عَينانِ مِن نارِ
تَسْتَعجلانِ اصفرارَ الجدولِ الجاري
كي تَشْرَئِبّا على كُومٍ مِنَ الحَطَبِ
فَصّينِ مِن لَهبِ
لنْ يُبقيا مرَّةً أخرى على دارِ

الأرضُ والبَشَرُ
الأرضُ والنارُ
الأرضُ أقسى إذا شبَّتْ بها النارُ
تكبو وَتَخْتَنِقُ
لكنْ بأسْرَعَ ممَّا تَنهَضُ الحُرَقُ

فِي جسمِها العاري
تَقْسو ،
تُلَمْلِمُ بُقياها
وتَنْطَلِقُ . .

الأرضُ أقسى أديمـاً حيـن تَحْتَـرِقُ
يَخبـو اللّظى ، ثمَّ يَبقى فـوقَهـا الألَقُ

مُسْتَمـطِرُ النارِ فيهـا لا يَـرى حـطَباً
وصـانِـعُ اللّيـلِ يَغْشـاهـا فَيختَنِقُ

والسّـارِقـون صِغـاراً من بِـراعِمـهـا
تَنشَقُّ أضـواؤهـا عنهم ومـا سَـرَقـوا

حتى يــرى بعضُهم بَعْضــاً ، فَيُنْكِــرَهُ
من عُرْيِهِ ، وهــو أعرى ، يَلْهَث الفَـرَقُ

في عُـريٍ هذا وهـذا . . والضِّيـاءُ وَهُم
مثـلُ الخَفافيشِ تَعمى حيثُ تَنْـطَلِقُ !

*

الأرضُ أقسى أديمــاً حيـن تحْـتَـرِقُ
أقسى بها العُودُ ، أنـدى فوقَـهُ الوَرَقُ !

أقسى بهــا كـلُّ مــا ضُمَّتْ بــراعمُــهُ
عـلى حيـاةٍ ، وأنــدى حينَ تـنـفَـتِقُ

أقسى علىَ كـلِّ مــا يُـدمى أَجِنَّتَـهــا
أنــدى لـكــلِّ جنيـنٍ عُـرْيُـهُ عَـبِقُ

تَبقى الثَّعابينُ تُشوَى تحتَ صَخْرَتِها
حتى تُجَنَّ ، ولا خَرْمٌ ، ولا نَفَقُ

حتي إذا امتلأتْ يأساً وموجِدَةً
زَمَّتْ ملاسِعَها واستاقَها الحَنَقُ

تَنْسابُ ما انسابَ رَخوُ الأرضِ كاتمةً
أنفاسَها ، أيُّ صَدعٍ منهُ تَنْزَلِقُ

لم يَأْلُ يَلْهَثُ ألفٌ مِن مَفاوِزها
عن شَفْرَتَي سيفِ هولاكو.. فتَمَّحِقُ

طَراوةُ الطِّينِ رُعباً.. ثمَّ تَنْغَلِقُ
ويَلْمَعُ السَّيفُ ، من غَمْدَيْه يُمتَشَقُ

حتي إذا حَزَّها قامَتْ خَرائِبُها
قَبراً يُمَجِّدُ ما غالوا ، وما فَسَقوا

تَسْتَنْكِرُ الأرضُ لا عاشَتْ ، ولا وَضَعَتْ
هــذا الجنين ، ويَستعــطي ، ويَلْتَصِقُ

يَمتَصُّهـا عَلَقـاً ، يَــطغى ، فتفتَـحُ في
أحشـــائِهـــا قَبــرَهُ الثــاني وتنــطَبِـقُ !

*

تَعــالَتْ الأرضُ عَــرَّافـاً بمــا سَبَقُــوا
خَيـراً وشـرَّاً ، ووَهّـابـاً بمــا صَـدَقُـوا

تُعــطي الحيـاةَ لِمَنْ يحيــا ، وَتَسْلُبها
مِــمَّنْ يـمــوتُ فــلا يَبـقى بـهــا خَلَقُ

والخُلدُ في جَـوهَـرِ الأشيــاءِ ، ممتليءُ
ضــوءاً . . وممتليءُ ليــلاً . . ومُـخْتَـنِقُ

هــذا يَعيشُ ، وذا يَفنـي ، وذاك بـمــا
يَسعى ، ولــلأرضِ آذانٌ لمـا نَــطَقـوا

ومـا أضاءوا ، ومـا غـامـوا ، فتمْـلأُهم
كـلاً بمـا فيــه ، إنْ فجـرٌ وإن غَسَقُ !

*

تَعـالَت الأرضُ ، كم تَعفـو ، وكم تَثِقُ
وكم تجــودُ ومــا فـي صــدرِهــا رَمَقُ

وكـم تَـحَـمَّـلُـنـا ، حـتـى إذا رُزِئَـتْ
مِنّـا بنـا ، وتـلاقَتْ فـوقهـا الحُـرَقُ

هِيضَتْ فهـاضَتْ فشبَّتْ كـلُّ جـارحـةٍ
فيهـا ، فتَـدمى وتُـدمي وهي تَنْصَعِقُ !

يا بذرَةَ الخيرِ في أهلي وفي وطني
أفْديكِ لا تَهِني
صارَعْتِ خَمسةَ أجيالٍ مِن المِحَنِ

حتى ارتوَتْ فيكِ
هذي الورَيقاتُ مِن آلامِ أهليكِ

أدري بأنَّكِ لم تَبرَحْ على فيكِ
تَهويمةُ اللَّبَنِ
وأنَّ جذرَكِ ما امتدَّتْ يَـدُ الساقي
إليهِ إلّا بشيءٍ بعضُهُ باقي
لم تَشْرَب التُّربُ

لم تَشْرَب الأرضُ إلّا بعضَ ما وَهَبوا
والشَّوكُ والحَطَبُ

يا نبلُ يا وطَني
يا طِفلَ خيرٍ نما في شَرٍّ مُمتَحَنِ

# تطلع في المرآة

١٩٥١

قَبَسٌ شَــعَّ في دَيــاجــي حيــاتــي
فــاضَ عنّي وســالَ فــي خُــطُواتــي

نَــغَمٌ مــا وَعَــتْ خَــفــايــاهُ روحــي
خَــفَتَتْ في سَــمــائِــهِ نَــغَــمــاتــي

حُــلُمٌ فــوقَ مــا تُــصَــوِّرُ أوهــا
مــي ، ومــا تَسْتثيــرُ بــي أُمنيــاتــي

أنــتِ روحٌ عَبَــدتُــهُ راهــبَ العَيــنيــنِ
أتــلو فــي قُــدسِــهِ صَــلَواتــي

وَتَجرّأتُ فاستَرَقْتُ إليهِ
نَظرةً لَجْلَجَتْ صَدى كلماتي

أنتِ يا مَنْ صَوَّرتُها قَبَساً أسمى
يُشيعُ الضِّياءَ في ظُلُماتي

أنتِ يا مَنْ توَهَّمَتْ أُذُني الصَّماءُ
فيها لَحناً سَبى أُغنياتي

أنتِ يا حُلْميَ المنوَّرَ يا طَيفَ
ابتسامي ، ويا بَقايا شَكاتي

لم تكوني إلّا خيالاتِ حِرماني
وطيشي ، سَجَدْتُ فيها لِذاتي !

# أغنية حزينة

١٩٥٠

سَحَقتَني.. اللّهَ ما أظلَمَكْ !
مَنْ كانَ للأرضِ فَلَنْ يَفْهَمَكْ

يا حُبُّ ، يا أقتَلَ ما في دمي
ما أضْعَفَ القلبَ ، وما أجْرَمَكْ

أغرَيتَني بالقيدِ حتى إذا
قيَّدتَني تقولُ مَنْ أرْغَمَكْ ؟!

يا قلبُ ، يا قلبي الذَّليلَ استَفِقْ
ويحكَ إنّي عُدتُ أُسقى دَمَكْ

رَضِيتَ حرماني ، رَضِيت الأسى
رَضِيتَ ذُلّيَ مع مَنْ حَطَّمَك

فكيفَ ترضى بهواني مع النّاس ،
معَ الأغراب ، ما أيْتَمَك

كَرَّهْتَني نفسي فيا لَيتَ مَنْ
هَدَّمَني يا قلبُ قد هَدَّمَك !

# النعاس الأبدي

١٩٤٩

يا مُنى قلبيَ المعَذَّبِ ،
يا دُنيا رَجائي في وحدَتي واغْترابي
يا عزائي والداءُ يعصِرُ أنفاسي ،
ويَغْتالُ ذاوياً مِن شَبابي
عَلّليني ، فقد دَجا كلُّ ما حولي ،
ورانَ النُعاسُ في أهدابي
عَلّليني فقد يَئِستُ مِن الدُّنيا
ومالي مِن مأمَلٍ بالإيابِ
يا أَعَزَّ الآمال ،
مَـنْ لي بأن أغرَقَ في مُقْلَتَيكِ قبلَ غيابي

هاجسٌ بالذَّهابِ يَهجسُ في نفسي ،
فَهلاّ أراكِ قبل ذهابي
مَـنْ شَفيعي إليكِ يا كلُّ آمالي ،
إذا لم يَكنْ شَفيعاً عذابي

مَـنْ شَفيعي وقد نأى كلُّ مَـنْ حولي ،
فلا إخوَتي
ولا أصحابي . .

# بعد الصحو

١٩٥٠

يَكــادُ يُقتَـل يَـأسـاً ، لا تَـزيـديـهِ
يـكـفـيـهِ أنَّ لَـهُ قـلبـاً لـتَـبـكـيـهِ !

وأنَّ وَخْـزَ ضَـمـيـرٍ فـي جَـوانـحِـهِ
مـا انفَـكَّ يـطفـو دمـوعـاً في مـآقيـهِ

مـا كانَ يَهـواكِ كي يَلْهـو ، ولا شَـرَقَتْ
عينـاهُ بـالـدَّمـعِ كي تُـروى قَـوافيـهِ

لـكنَّـهُ كـانَ يَـهـوَى فيـكِ طِـفْـلَتَـه
وبـيـتَـهُ ، وسَـرابـاً مِـن أمـانـيـهِ

حُلمٌ تَلاشى ، وماتَتْ طفلةٌ ، وَصَحا
فعادَ يخبطُ في دُنيا مآسيهِ

لا تَظْلِمي حُبَّهُ ، لو شِئتِ أنتِ لَهُ
ضَحَّى لِنَيلكِ بالماضي وما فيهِ!

وعاشَ يَهفو إلى آتٍ يُقدِّسُهُ
مِن أجلِ عينَيكِ لكنْ.. ضاعَ آتيهِ

أنتِ التي شِئتِ أن يهوى فكان هَوىً
وشئتِ أن ينتهي
واليوم يُنهيهِ !

# الخطيئة الأولى

١٩٥٠

رَبَّاهُ غُفرانَكَ فالجاني أنا يا رَبّي
إغْفِرْ لها فكلُّ ذَنْبٍ كانَ منها ذَنبي
أحبَبتُها وكانَ أوَّلَ الخَطايا حُبّي
وقلبُها كانَ بَريءَ الخَفْقِ.. لكنْ قلبي
قلبي أنا.. رَبّاهُ خُذْ منّي أنا يا رَبّي

# ولكن...

١٩٥٠

قلتُ يا قَلب سوفَ ننسى هواها
فاتَّئِدْ رُبَّما عَشِقْنا سِواها

كلَّما خِلْتُ أنَّني كِدْتُ أنأى
بكَ عنها لَجَجْتَ في ذِكراها

دونَ جدوى أشقَيْتَ نفسَك يا قلبي
وأشقيتَني ومَنْ تَهواها

دونَ جدوى ، وكنتَ تملكُ أن تَنسى
ولكنْ أبَيْتَ أنْ تَنساها !

# النسغ

١٩٥٠

لقـد عُدتُ أهـوى فيكِ يـأسي وحَيْـرَتي
وأهْـــواكِ إعـــراضـــاً بـــهِ طَيفُ مُلتقى

عَشِقْتُــكِ سِـــرّاً مُبْهَمـــاً لـــو عـــرَفتُـــهُ
لمـــا كـــانَ شَيءٌ بـين عَـينيـك يُتّـقى

ومـا كنتُ ظمـآنـاً فـأروي بـك الـظّمـا
ولا كنتُ أرجـــو فيـــكِ للوَحي مُـــرتَقى

ولكنَّني قَـــدَّستُ فيكِ الهـــوَى الـــذي
يَـمُـــدُّ لـــزرعي أيَّ نـــارٍ إذا سَقــى !

# يـومـاً ما ..

١٩٥٢

وعَينَيكِ يا سَلْوى أُحِسُّ دَمي يَجري
وأبسِمُ للدُّنيا كأنيَ لا أدري

طَعينٌ وكفّي فوقَ جُرحي تَشُدُّهُ
وأضحَكُ حتى لا يَرى أَلَمي غيري

وأعلَمُ يا سَلْوى بأنَّ هَواجِسي
ثِقالٌ على كلِّ الصُّدورِ سوى صَدري

فأُودِعُها في أضلُعي كلَّما قَسَتْ
تَمَلْمَلَ في الأوراقِ حَرفٌ على سَطرِ

سأضْحَكُ يا سَلْوى وإن كانَ في دَمي
سَعيرٌ أقاسي منهُ فوقَ مدى صَبْري

وماذا تَبقَّى لي لأسفَ بعدَما
رأيتُ أعزَّ النّاسِ أدنى إلى غَدْري !

# على حافة الصحو

١٩٥٠

شَبابُكَ سوفَ يعصرُهُ الذُّبولُ
وَشِعرُكَ قد يَحولُ كما تَحولُ

فإن يَكُ شَعَّ في عَينَيكِ ضَوءٌ
فقد يأتي عليهِ غَداً أُفولُ

وأنتَ على الشَّبابَ تَنوحُ يأساً
فَمنْ يدري غداً ماذا تقولُ !

تُحدِّقُ في العيونِ كأنَّ سِرّاً
تُحاوِلُهُ فيُغرِقُكَ الذُّهولُ

على شفَتَيـك يَـرجُفُ صَـوتُ نـاعِ
وفـي عَـيـنَـيـكَ فـاجـعـةٌ تَـجـولُ

فــإن تَــكُ عِشْتَ فـي حُلُمٍ جـمـيـلٍ
يُـلوِّنُ لـيـلَهُ ضَـوءٌ ضَئيـلٌ

فــإنَّكَ قــد صَحـوتَ فمـاتَ ضَـوءٌ
حبـيـبٌ وانـطوى حُلُمٌ جَـمـيـلُ !

# تأسية

١٩٥٢

وعَينَيـكِ مـا في الكـونِ أقلَقُ مِن قلبي
وأقتـلُ مِن صَبْـري ، وأطـوَلُ مِن دَربي

رأيـتُ مِن الأيـامِ مـا لـو شَكَـوتُـهُ
لكـانَتْ شَكـاتي منهُ أثْقَـلَ مِن كَرْبي !

ومـاذا أُرَجّي مِـن شكـاتي وإنَّـني
أرى صَفْوَ شُربِ النّاسِ أكدَرَ من شُرْبي

# لن ترجعي ما كان

١٩٥٢

عينانِ تَنْطَفئانِ ، تَنزَعُ فيهما الأحلامْ
وَهَوىً تناءى ، ثمَّ غابَ . . كأنَّهُ أوهامْ
وَوَجيبُ قلبٍ نامْ
لا تَبْحَثي فيَ مُقْلَتيهِ فليسَ ما تَرجينْ
هوَ لا يُريدُكِ أنْ تَرَي في وجهِهِ مِسكينْ
أحلامُهُ مِن طينْ

لا تُتعِبي جَفْنَيكِ ، غَلَّفَ يأسُهُ جَفْنَيهْ
هوَ لن يراكِ وإن تَكُنْ عَيناكِ في عَينَيهْ !
لنْ تُرجِعي ما كانَ مِن إيمانْ
بالحُبِّ ، بالوجدانْ
لنْ تُرجِعي ما كانْ

عَيناكِ يَطفحُ فيهما أَلَقُ الهوى المَحمومْ
هوَ حبُّكِ المزعومْ
أمسِ استقرَّ بجانحَيهِ كخِنْجَرٍ مَسمومْ
واليوم ، عُدْتِ لِتَسألي عَينيه عمّا فاتْ
هل غيرَ حُبٍّ ماتْ ؟!
يا خيبةَ الوجدانْ
لنْ تَبعثي إلّا الأسى في ذلكَ الإنسانْ
لنْ تُرجِعي ما كانْ . .

# مراجعة لخطأ قديم

١٩٥٤

يا طِفلَتي لا تَعتِبي ،
أنا ما وَهَبْتُ سِواكِ شِعري
إنْ كنت قد أبصَرتِني أناى ويَدنو مِنكِ غَيري
فلأنَّني أحسَسْتُ أنّي ما ضَمَمْتُكِ نحوَ صدري
إلّا لأني كنتُ غِرّاً ،
لستُ أعبدُ مِن حياتي
إلّايَ ،
إلّا ما يُلامُسني ،
ويوقِظُ فيَّ ذاتي

إلّا لأني كنتُ أعمى
ما كنتُ أُبْصِرُ غيرَ ما يحتَكُّ بي جِلداً وعَظمْاً

يا طِفْلَتي
أنا ما وَهَبْتُ سِواك نفسيَ ،
غيرَ أني
أصبَحْتُ أملِكُ أن أَراكِ وإن نَأتْ شَفَتاكِ عنّي !

# رسالة حب من موسكو

١٩٥٩

حبيبتي
مِن قلبِ هذا العالمِ الكبيرْ
حيثُ الشّتاءُ يَنْثرُ القُطْنَ على البَشَرْ
ويحملُ الشَّجَرْ
شموعَهُ مثلَ الشّمعداناتِ في الدروبْ

حيثُ الزُّلاقاتُ تَجُرُّها على الثّلوجْ
أجنِحَةُ الأطفالِ ،
يا حمائِماً تموجْ

تَنضحُ بالعبيرْ
تَكاد أن تَطيرْ
تركضُ كالكُراتِ ،
كالبلّلورِ ،
كالضّياءْ

مثلَ الأرانبَ الصغارِ
كلُّها فِراءْ
أوَدُّ لو ،
أحِنُّ لو أضمُّها إلَيّ
أملأ أنفاسي ومقلَتيّ
بدفئِها ، لكنَّها تُفلِتُ من يَدَيّ
فتملأ الفَضاءْ
بكركَراتِها ، وأبقى مُرهَفَ الحنينْ
أُنصِتُ للرَّنينْ
ينأى بها وهي تَجرُّ عِبأها الثَّمينْ

حبيبتي ،
أيُّ جَناحٍ سَكِرٍ مَشوقْ
أطلَقَهُ في قلبيَ الخَفوقْ
إليكِ يا حبيبتي ،
لطفْلِنا البَعيدْ
أطفالُ هذا العالم السَّعيدْ !

اللّه
لو وسَّدْتُ قلبي مَوجةً في نهرِ دَجله !

**موسكو**
**١٩٥٩**



# رسالة حب من تاجيكستان

١٩٥٩

حبيبتي
مِن هذهِ الدُّنا
مِن بَلَدِ الشَّمسِ ومِن مَضارب السَّنا
حيثُ تَلاشى ضَوءُ عينيَ « رودَكي » هُنا
لِيُبْصِرَ التاجيكُ أجمَعينْ

حبيبتي
حيثُ التقى برودَكي لنين
في هذهِ الدُّنا

مِن وَهَجِ الشَّرقِ ومِن ذُراه
مِن كلِ وَجهٍ تُشرِقُ الحَياه
في صَوتِهِ المُرَنّمِ
في ثَغْرِهِ المُبْتَسِمِ
في كَفِّهِ تَشُدُّ كفِّي وَتُحيّي مَقدَمي

أُحسُّ أنَّ في دَمي
شيئاً إليه يَنتمي
شَيئاً هوَ الحياه !

مِن وَجهِ طفلةٍ تمنَّيتُ لها السّلامْ
حبيبتي لأنَّها شيءٌ مِن السَّلامْ

مِن هذهِ الدُّنا
وكنتُ أدري أنَّ فيها إخوةً لَنا
للنّاسِ أجمَعينْ
لكنَّني لم أَكُ أدري أنَّ للحَنينْ

عُمقاً كهذا ،
أنَّ للنَّظرَةِ في العُيونْ
دِفئاً كهذا ،
أنَّ في تَشابُكِ اليَدَيْنْ
شَيئاً يكادُ يَنْطِقُ
شيئاً يَكادُ أن ،
يَكادُ . .
يا لِساناً يَغْرَقُ !
إن كنتَ في بَحرٍ عميقٍ فَبحاري أعمَقُ
حَمَلتُ للشّرقِ سَنىً ملءَ ضلوعي يُشْرِقُ
حَمَلتُ قلبي يَخفِقُ
وكنتُ غَنَّيتُ لكلِّ هذهِ القلوبْ
كانَ فمي يَحترِقُ
وأضلُعي تَذوبْ
كان العراقُ في ليالي سُهْدِهِ الرَّهيبْ
كنتُ أُغنّي للعراقِ والظلامُ فيهْ

يكادُ ساري ليلهِ يَتيهْ :
الشَّمسُ لا تموتْ
الشَّمسُ لا تُطفأ ،
لا تُقْتَلُ ،
لا تموتْ
كنتُ أغنّي للعراقِ ،
أقرَعُ البيوتْ
أوقِظُ فيها الشَّمسْ

لها على عُيونِنا الأَنجُمُ والأَهِلَّه
وفي قلوبِنا لها
نوافِذٌ مُطِلَّهْ

الشَّمسُ في قلوبِنا
والشَّرقُ ينشرُ السَّنا
وفي غَدٍ نلقاهُ في مَرابعِ الضَّوءِ هُنا

هذا هو الشَّرقُ وهذا موعِدُ اللقاءْ
إنّا لَقيناهُ وفي عيونِنا الضياءْ !

حبيبتي
إنَّ بقلبي هالَتَيْ سَنا
مِن العراقِ هالَةً
وهالةٌ هُنا
وفي غَدٍ سَنَلْتَقي
أسْكبُ في سَلْسَلِ عَينَيكِ الذي يُراق
أسْكُبُ كلَّ ما جَمَعْتُ من ضِياءِ المَشْرِقِ
ومِن سَنا العراقْ !

# المغضبة

١٩٦٩

بَلَىٰ غَضَبي نَـزْرٌ ، وإنِّي لَغاضِبُ
ألـوكُ حَصاةَ الصَّبْرِ والصَّبْرُ عازِبُ

بَلَىٰ خَـطَبٌ هذي الضّلوعُ عَـدِمتُها
يَصُـولُ عليها مِن لَـظى الغَيظِ حاطِبُ

بَلَىٰ رئتي تَنْشَقُّ عن أيِّ جاحِمٍ
لـهُ ألَقٌ ما بيـنَ جَفنَيَّ راعِبُ

لُعِنْتُنَّ نيرانـاً تَشَظّىٰ شُواظُها
يَـني لاهِبٌ منها فَيوريهِ لاهِبُ

لُعِنْتَ دَمـاً لَـزَّ العـروقَ ، وخـافقـاً
تَـضُـجُّ بـهِ الأنيـاطُ مـمّـا يـجـاذبُ

*

ثَـكَلْتُـكَ دَهـراً دارِعـاً سـاقَ خيـلَهُ
إلـيَّ ، وسـاقَتني إليـه المَعـاطِبُ

يَـطيـحُ بِـرَكبي حيثُ سِـرْتُ عِثـارُهُ
وَتَـنْشِـبُ بـي أنيـابُـهُ والـمَخـالِبُ

وأُخفي جِـراحـاتي . وأرفَـعُ هـامتي
وما غيرَ فَيضِ الجُرْحِ للجُرحِ عاصِبُ !

ثَكَلْتُـكَ إنّـي مِنـذُ عِشـرينَ نـاذرٌ
دَمي ، فـأنـا مِمّـا أُزَكّيـهِ شـاحبُ !

لِبيتيَ شَيءٌ منهُ ، والنّاسِ جُلُّهُ
ولي منهُ خَفْقُ القلبِ والقَلبُ لاغِبُ

ولا غُرْمَ أنّي باذِلٌ منهُ خَيْرَهُ
ولكنَّ غُرماً أنَّ مثلَكَ شارِبُ

وأنَّ دَبيَ جَيَّشتَها وَلِغَتْ بِهِ
عناكبُها مَسعورَةً والعقارِبُ

وأفدحُ ما يَشجي الكريمَ قتالُهُ
صِغارَ ذُنابى جَرّأتها النَّوائِبُ !

تَرَبَّصُ حتى يَلتقي اللَّحمُ بالمِدى
فتُغرَزَ حيثُ الجرحُ والجرحُ شاخِبُ

*

وقَومٍ ذَخَرناهم على الدَّهرِ واثِباً
سَعى بِهِمُ غُنْمٌ معَ الدَّهرِ واثِبُ !

وكانوا الذي نهوى إذْ الجَدُّ مُقْبِلُ
فصاروا الذي نخشى إذ الجَدُّ ذاهِبُ !

لَئِنْ أخطأتْنا الأبعَدون فلم تَزَلْ
مَقاتلُنا أدرى بِهِنَّ الأقارِبُ !

ولم نَدْرِ إذْ كانَتْ تَسحُّ دماؤنا
لهم أنَّ شأنَيْنا حَلوبٌ وحالِبُ

كَبِرْنا ، وضَاءَ الشَّيبُ في ليلِ شَعْرِنا
فهَلْ ضَوَّأَتْ لَيلَ الحياةِ التَّجارِبُ !

*

بَلَى غَضَبي نَزْرٌ ، وإنِّي لَغاضِبُ
ألوكُ حَصاةَ الصَّبْرِ والصَّبرُ عازِبُ

تَـزمَّلْتُ مَحْمـومـاً بغَيْـظي فلم يَلُحْ
لِـراءٍ كَـمِثْـلَينـا مَـنُـوبٌ ونـائِبُ

نُغـالِبُ بَـعْـضـاً تـارةً ، ويَـفيئُـنـا
إلـى هَـدأةٍ أنَّ الـزَّمـانَ الـمُـغـالِـبُ!

وأنّــا نَـرى مِـن أَمْـرِهِ كـلَّ سـاعـةٍ
عَجيبـاً. ومـا تَفنى لـديـهِ العَجـائِبُ

*

رأيْـتُ مَـوازينَ الـمـواهِـبِ أُتْـخِـمَـتْ
وأنــدَرُ مـا في كِفَّتَيـهـا الـمـواهِـبُ !

ومُـشْـتَـجَـراً لـلفَنِّ طـاحَ بِـسُـوحِـهِ
مِـنَ الفَـنِّ مَـخْـذولاً سَـنـامٌ وغـارِبُ

إذا جَـذَمَتْ أسيافُهُم منـهُ جـذمَـةً
أُقيمَتْ عليهـا للنّبـوغِ المـآدِبُ !

رأيْتُ مـعـايـيـرَ الأديبِ مَـنُـوطـةً
بـأفْئِـدَةٍ مِـعـيـارُهُـنَّ الـمـآرِب !

فَـذو بِطْنـةٍ لا يُحسِنُ السَّجـعَ شـاعِرٌ!
وذو لبـدَةٍ لا يَقـرأ الـسَّـطرَ كـاتِبُ !

وحـاملُ سيفَ النَّقْـدِ مَـنْ مـلءَ جَـوفِـهِ
مَعـاجِمُ ثَلْبٍ أحْكَمَتْـهُ المَكـاسِـبُ !

إذا ذادَ عـن قـومٍ لأمـرٍ فـمـانـعٌ
وإن جـالَ في قـومٍ لأمـرٍ فعـاطِبُ

فَـنـاءَتْ بـهِ حَـدَّ العَيـاءِ الضَّـرائِـبُ
وَحَفَّتْ بـهِ حَـدَّ اللُّصـوقِ الحَبـائِبُ

فهُم حشوُ سوقٍ ، لا عكاظَ فتَحْتَمي
بنابغَةٍ فيها ، ولا مَنْ تُخاطِبُ

ولكنْ كَسوقٍ في الرّصافةِ تَلتَقي
على هَرَجٍ أوساطُها والجوانِبُ !

فإنْ كنتُ ذا قَولٍ فأينَ أقولُهُ
وإن كنتُ ذا عَتْبٍ فمَنْ ذا أعاتِبُ !

*

بَلَىٰ يا جَهاماً يَمنعُ العَينَ أن تَرى
ضياءً ، فلا تَسري ، ولا أنتَ ساكِبُ

أَخِلْتَ السَّما غِيضَتْ وظهرُكَ مُلْهَبٌ
بما تَتَلظّى شمسُها والكواكِبُ

أَخِلْتَ بحاراً بين يومٍ وليلةٍ
تَجِفُّ بما أرجَفْتَ إذْ أنتَ ناضِبُ

بَعيدُ مَنالٍ عنكَ ضَوءُ حَجَبْتَهُ
وأبعَدُ منهُ شأوُهُ لا العواقِبُ !

*

عَجيبةُ أمرِ هذهِ الأرضُ لا تَني
مَراهبُها مِعيارُها والرَّغائِبُ

رأيتُ مُروءاتِ الرِّجالِ مقيسةً
بمقدارِ ما تُحصى عليها المثالِبُ !

وخيرَ عبادِ اللّهِ مَنْ لا يَشوبُهُ
لدَى النّاسِ ممَّا يَشغلُ النّاسَ شائِبُ !

فلا هوَ في عُزْمٍ يؤدُّون عازِمٌ
ولا هوَ في كَسْبٍ يُرجُّون كاسِبُ

رأيتُ جسوماً عُمِّرَتْ فهيَ فِتْنَةٌ
وهُدِّمَتْ الأرواحُ فهيَ خرائِبُ !

يُزَغرِدُ باديهِنَّ تِيهاً وبَهْجَةً
وتُسْمَعُ مِن أعماقِهِنَّ النَّوادِبُ

ولو مَضَغَتْ أنيابُها مَحضَ روحِها
إذن هَلكَتْ والشَّرُّ للشَّرِّ قاضِبُ

ولكنَّ صَيداً أتقَنَتْهُ يَرُبُّها
كما أتقَنَتْ صَيدَ الذُّبابِ العَناكِبُ

لَئِنْ كانَ صَيدٌ والتَّسَتُّرُ دائِبٌ
فهل ثَمَّ صَيدٌ والتَّرصُّدُ دائِبُ ؟!

*

بَلى غضَبي نَزرٌ ، وإنّي لغاضِبُ
ومَركبُهُ وَعرٌ ، وإنّي لَراكِبُ

وأعلَمُ أنّي ليسَ لي مَنْ يُقيلُني
إذا عَثرَتْ بالرّاكبينَ الرَّكائِبُ

ولو لم يَكُنْ لي ما أَرِيشُ سِهامَهُ
سَكَتُّ وغَيظي بين جَنبَيَّ ناشِبُ

وكيفَ ، وَحَدّي في يدي قد خبرتُهُ
وموغَرُ أحشائي ، ودَهرٌ مُناصِبُ

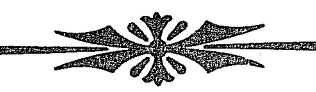
وإنْ هيَ إلّا لَحظَةُ الحَزمِ بينَنا
يُرى بعدَها منّا خَضيبٌ وخاضِبُ

تَوَقَّ شَباتي لا أبالَكَ مَضرَباً
فإني لَمُنقَضٌ ، وإنّي لَضارِبُ !

إذا لم تَكـوني يـا قَـوافيَّ عـاصِفـاً
إذا لم تَكُنْ منـكِ الـرُّجـومُ الـلواهِبُ

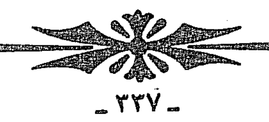
إذا لم يُجَـرَّدْ منكِ ، مِن كـلِّ لَفـظَةٍ
شِهـابٌ مـدى مـا تُبْصِـرُ العينُ ثـاقِبُ

فَفِيـمَ ادِّعـائي الـشِّعـرَ أحـمـلُ وِزْرَهُ
ويحمِـلُ منّي وِزْرَ مَـنْ لا يُـحـارِبُ !



# خيمة على مشارف الأربعين

١٩٧١



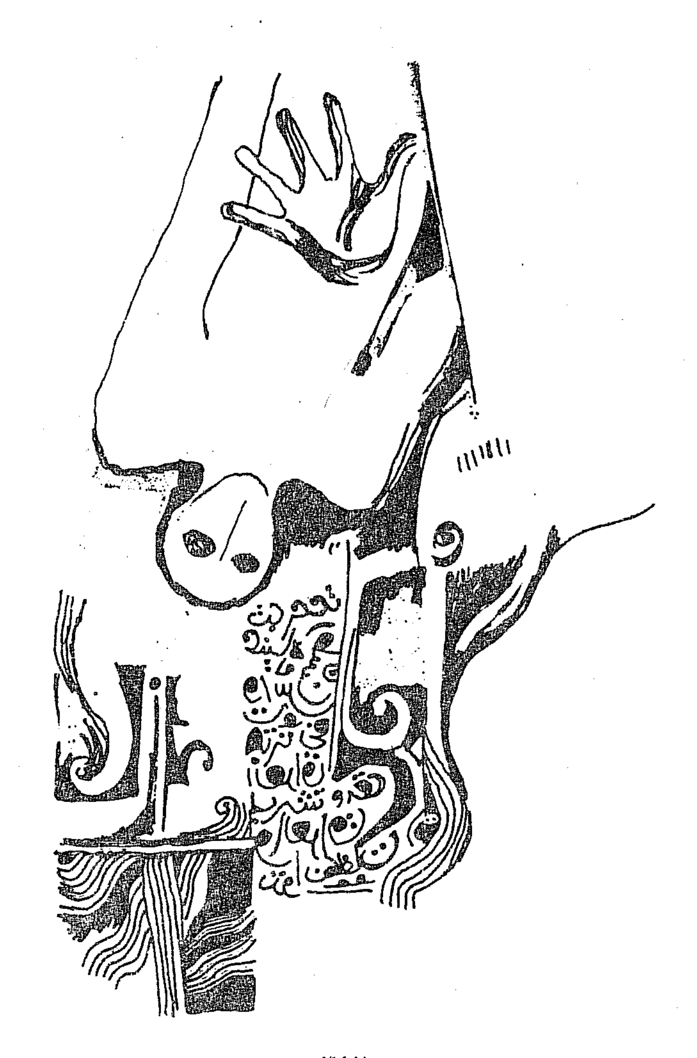
# قطرة حزن

وطنٌ لمخاوِف هذا العالم قلبي
مَـنْ يعرفُ أين حدودُكَ يا عصفورَ الخوفْ ؟
يا مملكة الخوفْ
وطنٌ للآلامِ ،
ويحملني حبي
أرحَلُ منكَ
وأرحَلُ فيك
أيُّ صليبٍ يمتدُّ إلى أطرافِ الأرضِ رحيلي
يا قلبي
يا طيراً أنهكَهُ الطَّوف

ولم يبرح يسحبُ في كلٍّ جهاتِ الأرضِ جناحَيْهِ المَسْحُوقَيْنْ
يا كنزَ الخوفْ
يا قطرةَ حزنٍ
تنبضُ فوق صليبِ العالمِ
يا قلبي . .

# غرق الطوفان

شهقة على جثمان العالِم العراقي الكبير
الدكتور عبدالجبار عبدالله



وانسابَ في صمتٍ وفي جلالْ
تَلَفَّتَتْ تسألُ عن مَنْبَعِهِ الجبال
أيُّ ذراها ؟
رفعتْ رؤوسَها الأهوارْ
وابتسمتْ ،
رنَتْ إليهِ في اعتزازٍ
أجهَشَتْ
وظلَّ ينسابُ مهيبَ الموج
في صمتٍ ،
وفي جلالْ
معمِّقاً مجراهْ
مغالِبَاً مجراه
متَّسِعاً فاضَ على مجراه
ثم استقرَّ حيثُ لا تضطربُ المياهْ
وحيثُ لا تختلفُ المياه

ماءً ولا جفافْ
لم تَثِبِ العيونُ عبرَهُ إلى ضفاف
الأرضُ كلُّها غذَتهُ ،
احتضَنَتْ مَسارَهْ
ترصَّدَتْ مَدارَهْ
أعطتْهُ
لم يأخذْ ،
وأعطى كلَّ ما لديهْ
لم يَسْبِرُوا قرارَهْ
لكِنَّما روائحُ العماره. . .

حياتُـهُ . . كأنُّما ضياءْ
أنجبَهُ احتراقْ
أرضعَهُ احتراقْ
وَهَجَهُ احتراقْ
أطْفَأَهُ احتراقْ

أغفى
تعرَّتْ شهقَةٌ تملأُ عينيه
تلوبُ
تطرقُ الأبوابْ
تَسْتَصْرِخُ الوجوه ،
تَسْتَشْهِدُ ،
تبكي ،
تذبحُ الأهدابْ
وأفلتَتْ مروعةً تحملُ عينيهِ ،
تكادُ تشربُ العراقْ
تطوي المسافات ،
تذودُ الموت ،
تَعْدُو
تشربُ العراقْ
وانكَفأَتْ . .
تَدَحْرَجَتْ عيناهُ رطبتَينْ

واستقرّتا في تربةِ العراقْ . .

وطَأْطَأَتْ رؤوسَها الأهوارْ
وأجْهَشَتْ على ضِفافِها حناجِرُ القصبْ

تأمَّلَتهُ وهو ينسابُ بلا شطآنْ
يدفُّ حولَهُ ضبابٌ هائلُ الأكفانْ
وتابَعتْـهُ . .
غامَ في أحداقِها الأمس ،
خيوطُ الضوءِ تنسابُ ،
تَناءىٰ
تابَعَتْ أحداقُها المجرىٰ
همى الأمسُ رذاذاً . .
عينُها مشدودةٌ عبرَ رذاذ الأمس
ألمجرى ضبابٌ هائلُ الأكفانِ ينأى
انهمَـرَ الغيثُ عنيفاً

غرِقَتْ أحداقُها في الأمس ،
غامتْ
تابعَتْهُ
تابَعَتْهُ
تابَعَتْـ . . . ـهُ

جدولٌ صغير
يَوشوِشُ الأمواجَ في شواطيءِ العماره
مستَوحداً نحيلْ
منسَرِباً بين جذورِ العشبِ والنخيل
يؤنِسهُ خريرهُ
وتابعَتْهُ
تابعَتْهُ
تابَعَتْـ . . .

تذكرتْ طفلاً يتيماً حافيَ الأقدامْ
على يدَيها نام
يرتعشُ الشتاءُ كلهُ بركْبَتَيهْ
يندَسُّ في عظامِهِ
يجمدُ في يديه
فينحني عوداً على كتابِهِ الصغيرْ

وزَخَّتْ الأمطار

تذكَّرَتْهُ يافِعاً صامتةً خطاهْ
واسعةً خطاه
تذكرتْ كم شربَتْ عيونُها خطاهُ
حتى غابَ في الضياءْ
وحولها حناجرُ القصَبْ
تشهَقُ بالدعاء

وانسابَ نحوَها ينابيعَ من الضياءْ

عادَ إلى وِدْيانِها سماء
عادَ إلى شطْآنِها سماء

عادَ إلى أحضانِها بحراً من الضياء
وادعةً خطاهْ
ثابتةً خطاه
هائلةً خطاه



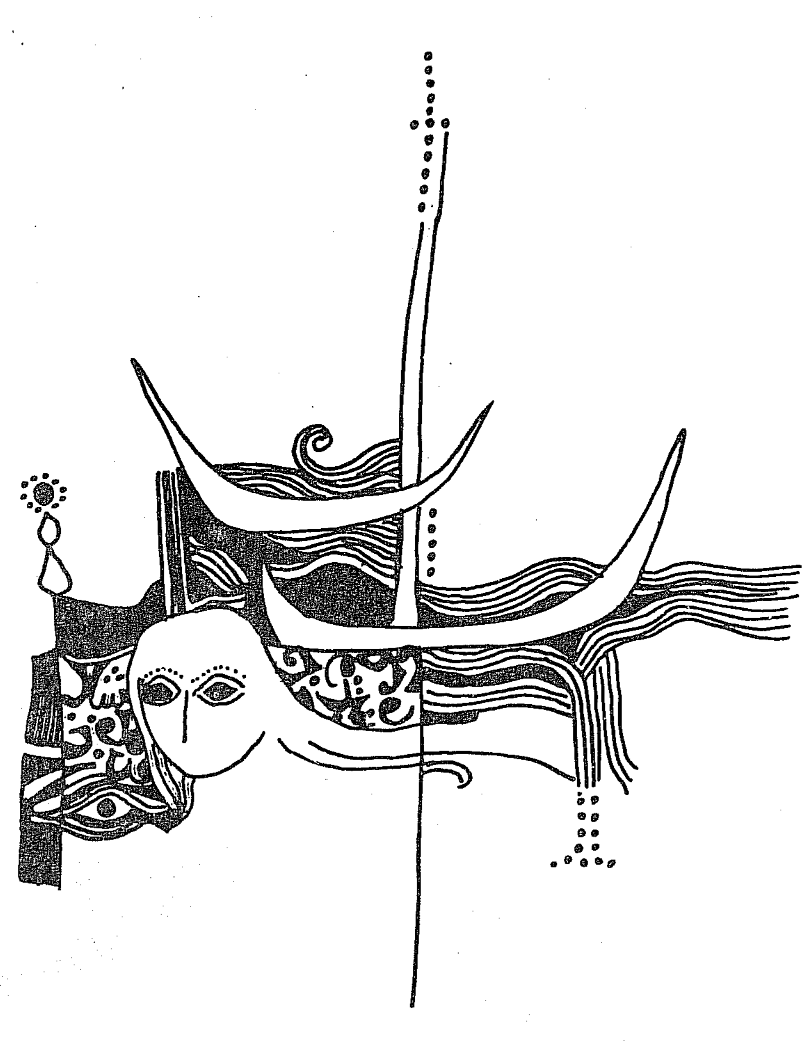
فزغردتْ كلُّ شفاهِ القصبْ
واحتضَنَتْهُ ،
قَبَّلَتْ خطاه

وَزَخَّتْ الأمطار
عنيفةً
ثم تلاشى الغيمُ
شَفَّ
اغرَورَقَتْ أحداقُها بالضوء
ذابَ الأمسُ
شفَّ
ابتلَعَتْ دموعَها الأهوارْ
ثم أفاقتْ . .
كان ينسابُ بلا شطآنْ
يَدفُّ حوله ضبابُ هائلُ الأكفان
أمواجُهُ تعثرُ بالضبابْ
أضواؤه يشربُها الضباب

ينسابُ في الضبابْ
ينسابُ . .
لا شيء سوى الضبابْ .

حينَ تمرُّ الريحُ في شواطيءِ العماره
يصعدُ من حناجِرِ القَصَبْ
ينثالُ من ذوائِبِ النخيلْ
صوتُ نداءٍ يشبهُ العويل :

أوَحَشْتَ عبدَالله
صوَّحتَ عبدَالله
يا والدَ الطوفانْ
قد غَرق الطوفان
لا نِمْتَ عيناً غرقَ الطوفان
لا نمتَ عبدالله
لا نمتَ عبدالله
لا نمتْ . . .



# المناحيف

تعرَّت الأهوارْ
صَعدتُ من أحضانِها غَيمَهْ
أرعَدتُ ،
أبرَقتُ ،
تبَعثَرتُ كما أشاءْ
وكلَّما لَمْلَمَ أطرافيَ بردُ الشتاء
عدتُ رذاذاً
مَطَراً
حالُوبْ
أنقُرُ في السقوفِ والأبوابْ

أركُضُ في الدروبْ

ألصقُ بالأوجهِ

بالشفاهِ

بالـ . . . .

اللّـهْ

يا دفءَ أحضانِ المَشاحيفِ!

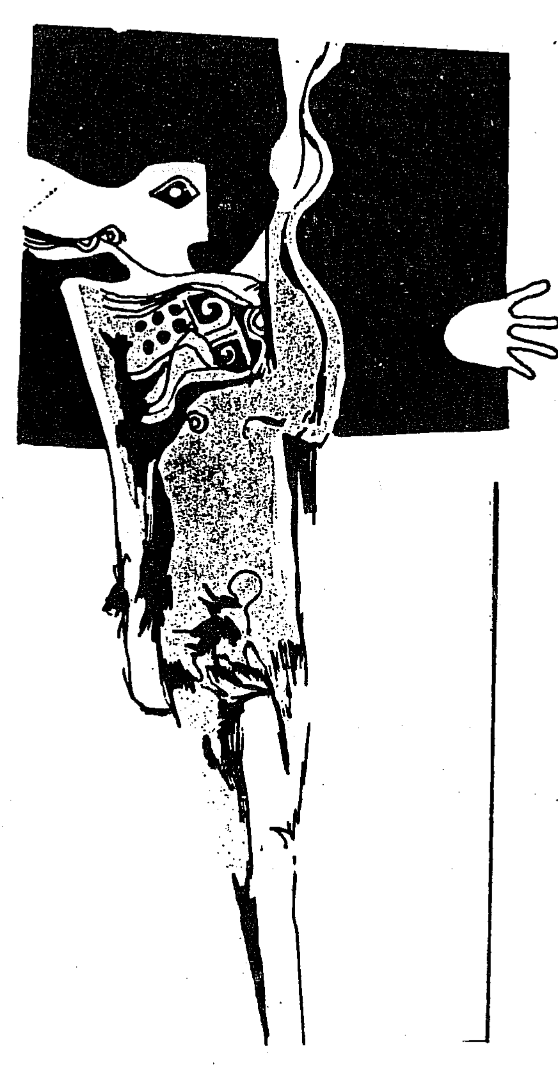
# فروسية في عصر صغير

لابساً جلدَ « أخيلْ »

لنْ أقاتِلْ

إنني أفرشُ من لَحْمي مَشاتِلْ

لنبالٍ مزَّقتْ جسمَ الحسينْ



## لحاق

أبْحَرْتُ في عيونِكم شراعْ
لُهاثُكُم يعدو ورائي ،
يَسْحَبُ الجراحْ
سَحْباً .
يكادُ . .
ثمَّ تطغَى ثورةُ الرياحْ

سَفَحْتُ صدري لزَّني الموجُ تشظَّيتُ صراخاً
صوتيَ استبسلَ في العبورْ
أدرَكتُكُم بكلِّ عُنفي ،
رئتي تُراقْ
قلبيَ يشرَئِبُّ

عينايَ تُقاتلانِ
صوتي يثقِبُ الإعصارْ
يَداي
أيديكم
يدي . .
يا خيبةَ اللِّحاقْ
جراحُكم تعلَقُ بالصخورْ
أقدامُكم تغوصُ في الموج ،
وأنا بيَ رايةَ انتصار
ما مسَّ من لهاثِكُم صاريَتي في صَخَبِ الريح
سوى الوداعْ
يا رَغوةَ الضياع

عَبْرَ دُجاكم انجرَدتُ شفْرَتَيْ شعاعْ
غطستُ في قلوبِكُم نصلاً إلى القرارْ
فَجّرتُ فيكم دُمَّلَ الحسرةِ والدوار

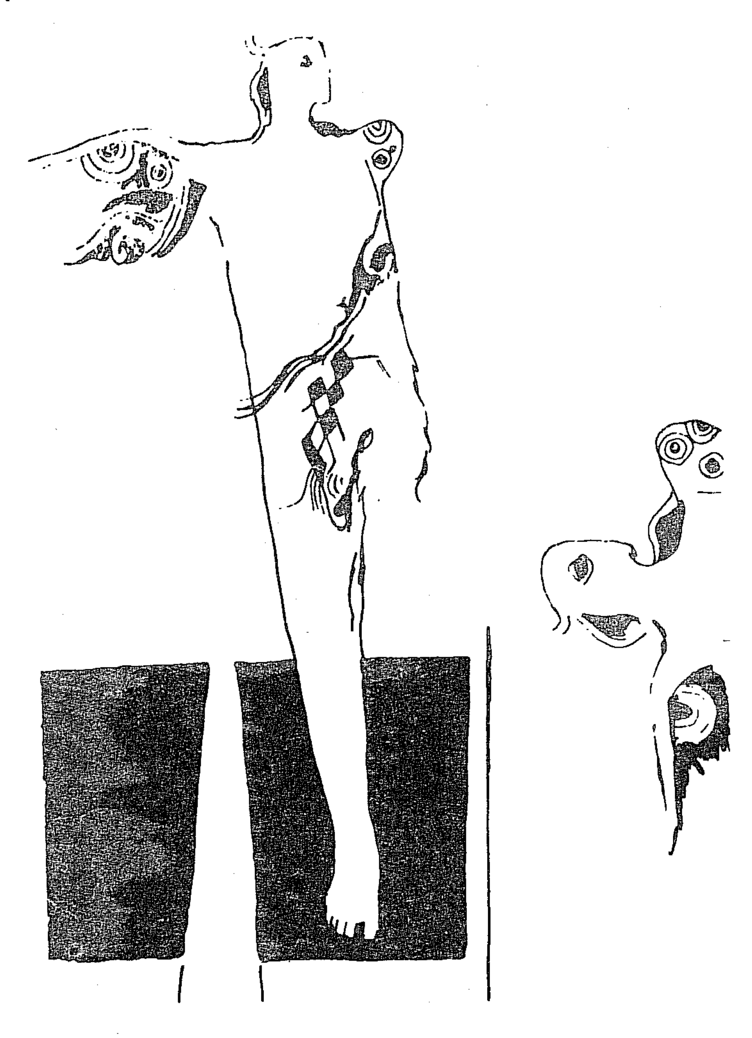
ها أنذا أصعدُ من قبورِكُم ذراعْ
أُكوِّرُ السماءْ
أعتصرُ الغيمَ على ترابِكُم دماءْ
يا أيُّها العطاشُ حدَّ الموتِ تَهلكونْ
يا أيُّها العطاشُ لا ماءَ تَشربونْ
في هذهِ المفازةِ الجرداءْ
الشمسُ فيها ماء
قبورُكم ينبعُ منها الماء
طوبىٰ لِمنْ فجّرَ بئرَ الشمسِ فاحترقْ
طوبىٰ لِمنْ شقَّ وريدَ الأرض ،
مَنْ أحسنَ في ترابِها الغرَقْ
طوبىٰ لِمنْ تنبعُ من سلاحِهِ المياه . .

# لعبة شطرنج مهداة الى شاعر

وكنْتَ كالملكْ
تحفُّهُ البيادقْ
باسلةً صغيره
تُقْتَلُ لكنْ أبداً تمضي إلى الأمامْ

وأنتَ كالملكْ
خطوتُكَ الصغيره
تجفلُ في كلٍّ اتجاهٍ وسَطَ الزحامْ

لو كُنْتَ يوماً قلعةً صارمةَ الوضوحْ
لو فرَساً جَموح
لو بيدَقاً يُقتَلُ في الأمامْ
يا أيُّها الباحثُ في الزِّحام



عن مَخبأٍ
ولو وراءَ بيدَقٍ صغيرْ
يا أيُّها الملكْ

باسلةً تعرَّت البيَادقْ
وأُكلتْ باسلةً أمام كلِّ الناسْ
نبيلةً كبَتْ على وجوهِها الأفراسْ
عاتيةً تهاوَتْ القلاعُ
قلعةً
قلعه
ولمْ تَزَلْ وحدَكَ في الرُّقعه
تُساقُ للمربَّعِ الأخيرْ
لكي تموتَ دونَما نأمهْ
. . . . . . . . . .
. . . . . . . . . .
كشْ أيُّها المهرِّجُ الكبيرْ

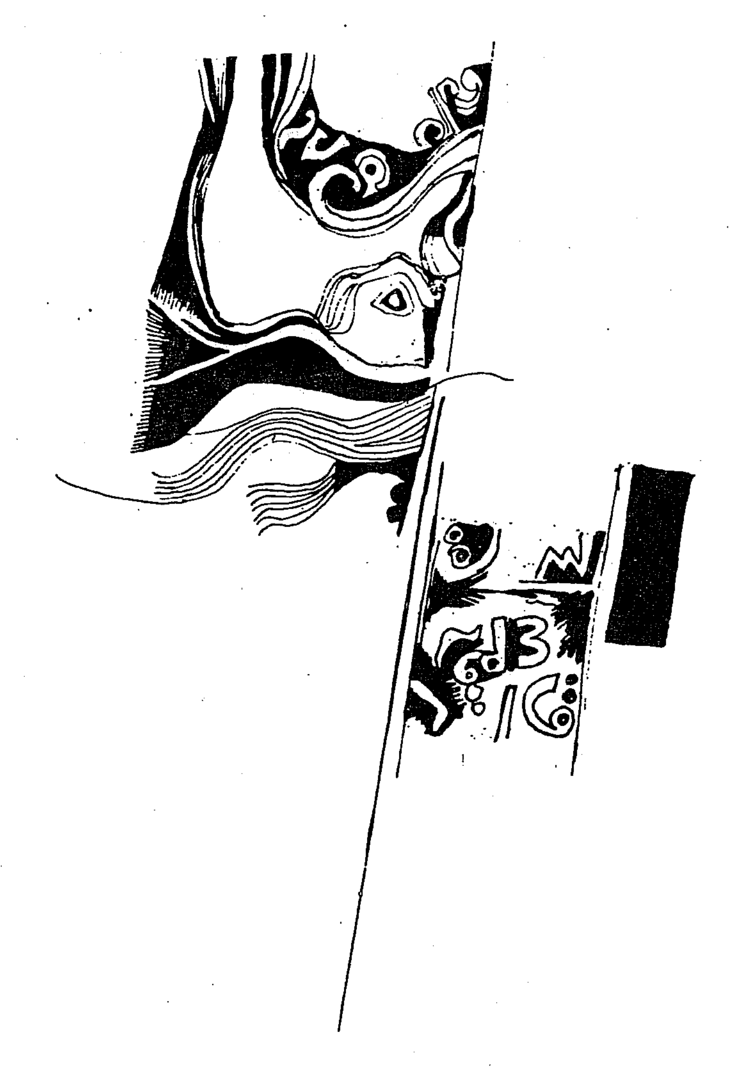
## الورد القاتل

فَرَشْنا تساؤلَنا لاهثاً
رفعنا الصّلاه
إلى الغيمِ
لم تَهمِ قطره

أنَخْنا الجباه
حفَرْنا الثرى بالأنوفْ
فلمْ تَنزُ قطره
عَصَرنا جميعَ الجباه
فلمْ تَجرِ قطره

فَصَدنا العيونْ
جرَتْ ألفَ مرَّه

فأورَدَ كلُّ ضميرَهْ
وأغفى
وشمسُ الظهيره
تُشَعْشِعُ نيرانها فوقَ قبرٍ مِنَ الملحِ
نامَ التّساؤلُ تَحْتَهْ



# مسائل في الإعراب

### مسألة رقم ١

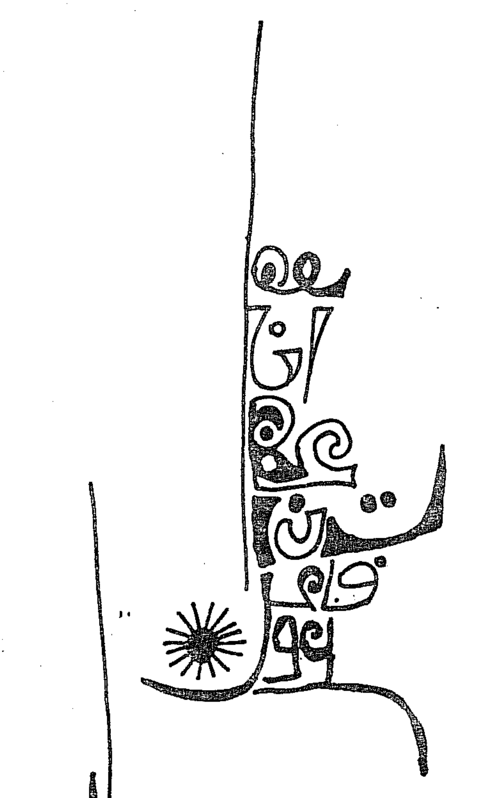
هذا عصرُ اللّحنْ
مَنْ يَجرؤ أن يُنصَبَ نعتاً مقطوعاً لمذابِ العالَم ؟

### مسألة رقم ٢

حضورُنا مبتدأْ
تجاوزُ انكسارِنا
مبتدأْ
مسألةُ انتصارِنا
مبتدأْ
وكلُّها تبحثُ عن خبرْ !

## مسألة رقم ٣

أنا فاعلْ
أنتَ فاعلْ
هو فاعلْ
كلُّنا في مهرجانِ الرَّفعِ يَزْهو في مَحلّ
فاعلاً
مِنْ دونِ فعلِ
ولِيُمزِّقْ سيبويه
بطنَه غيظاً . .



مسالة رقم ٤

إختبأ العصر ،
وأُوصِدَتْ الأقفالْ
بُنيَتْ للمجهولِ جميعُ الأفعال . . !



# مسامير الصمت

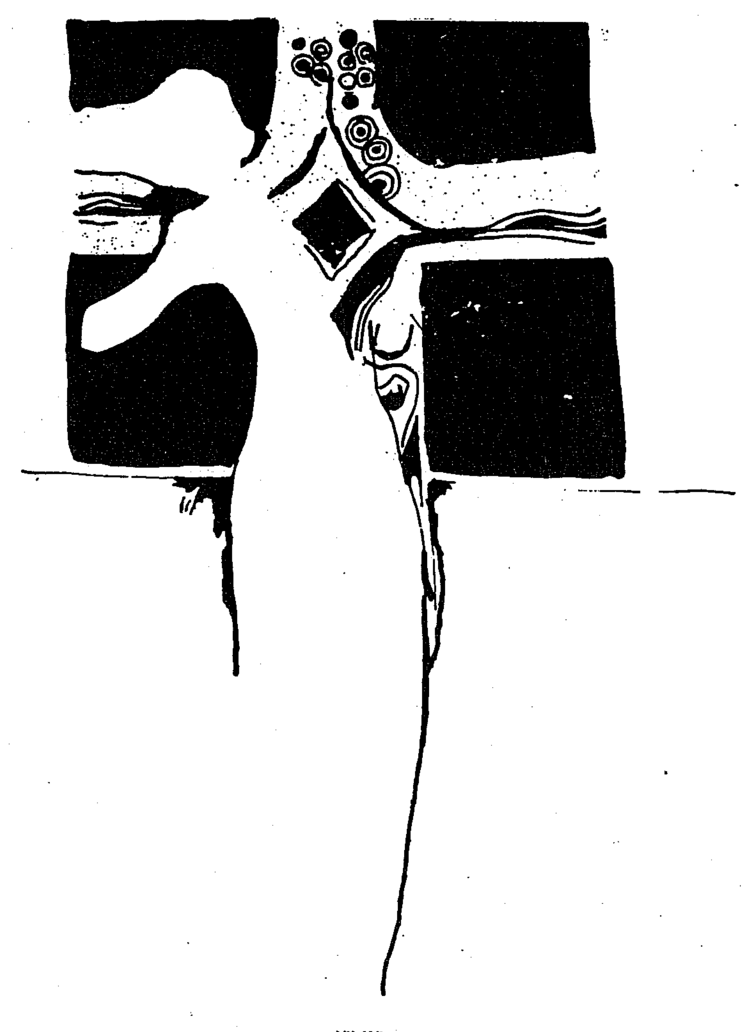
الصَّمتُ يُغلغلُ في الآذانِ مساميراً
يثْقبُها
يَنبتُ
يَندَقُّ
نُخاعُ الناسِ المُنخوبُ يَنزُّ
يَلفُّ
يَدور
يَصُكُّ الحيطانْ

الصَّمتُ يدغدغُ قَعْرَ المُخِّ
يُخدِّرُهُ
يَهوي
يَهوي
يَرسبُ في قاعِ القاعْ

انتَفضِي يا أصواتُ صراخاً
لُغواً
موسيقى
سدّي مُنخَرقاتِ الدَمِ
سدّي الدَمْ

ينسابُ الدمُ
ينسابُ بطيئاً . . ينسابُ بطيئاً
تَختلطُ الألوانُ
الكونُ الدائرُ يشحَبُ
يَصفَرُّ
مساميرُ الصَّمتِ تغوص
خيوطُ الدم تَنسلُّ من الآذانِ
الكونُ يجفُّ . . يجفُّ
يموتْ

انصَبّي يا أصواتُ رصاصاً
هَولاً
قرآناً
إستَلّي كلَّ مسامير الصَّمتِ
دَعي الدمَ ينصَبُّ من الآذانِ الأفواهِ الأعيُنِ
موتاً
يُسْمَعْ يُبصَرُ يُستبسَلُ فيهِ
يُعاش.





# حفلة صيد

## المشهد الأول

تصاعَدوا بَيارقْ

تهَندَسوا فيالق

وانطلَقوا للصَّيد

البنادقْ

مُتخَمةُ الأعناق

البيادقْ

تقدَّمَت ملوكَها

وأطلَقتْ

وأطبقَ السكونْ

## المشهد الثاني

البيادقْ
مبقورةُ الأعيُنِ والبطونْ
البنادقْ
يَلعقُها الذُّبابْ
الملوكْ
مَنفوخةُ الرِّقابْ
البيارقْ
ترفسُ في الترابْ
وكلُّها حرائقْ

## موقف جديد

بيرَقْ
يشقُّ في النيرانْ
درباً إلى النيران
مخضَّبَ الأجنحَه
تتبعُه غابَـهْ
قلوبُها تنبضُ في حَناجرِ الأسلحَه

# بيرق فوق هامة بيره مكرون

نَزفتَ ألفَ غيمةٍ من دمْ
شهَرْتَ في ليلِكَ ألفَ شَفرةٍ من بَرقْ
أرعَدتَ حتى قلبُ كلِّ الصَّخر فيكَ انشَقْ
أجنحَةً
أجنحَهْ
تساقَطتْ مِن حولِكَ النســورْ
ترفعُ موتَها إلى ذَوائبِ الصخورْ
يا بَيرقاً ظلَّ على هامةِ پيرهمگرون
منتفِضاً
ينشرُ عُنفَ الرَّشَبا جناحَهُ المطعونْ

اليوم ،
عالياً .. على ذروَتِكَ المَهيبه

يطلعُ قوسُ الشمسِ من صخورِكَ الخضيبه
أهدابُ بغدادَ تَرفُّ اليومَ في جناحِكْ
اليوم كلُّ نخلةٍ في الفاو
تنشرُ طلْعَها على جراحِكْ
يا بيرَقاً ظلَّ على هامة پيره‌مگرونْ
منتفضاً
ينشرُ عنفَ الرَّشبا جناحَهُ المطعونْ
خُذْ ألَقَ العيونْ
مَحبَّةً
نُخرجُ من أعماقِنا عَرائِسَ الجمّارْ
محبةً
نصعدُ دِفءَ نَفَسِ الأهوارْ
محبةً
ونلتقي بوجْهِكَ الحبيبْ
يا بيرَقاً
يَنشرُ مِلءَ الرَّشَبا جناحه المهيبْ

# محاولة لاختراق الموت

جَسَدي مُلقى
مَبهوراً كنتُ أُحَملِقُ فيه .
هذا المكتظُّ حياةً عُنفاً جُبرَوتاً
مبهوراً كنتُ أحملِقُ في كَمِّ الموتِ الهائلِ فيه .

فَمُهُ مملوءُ بالكلماتْ
تنسابُ إلى بئرَيْ أُذُنيهِ ملايينُ الأصواتْ
تترَسَّبُ أصداءً ،
تُلغى .
تنثالُ على عينيَهِ حشودُ من ألوانٍ أشكالٍ كُتَلٍ
تغطسُ في قاعِهما
تُلغى .



مملوءٌ بالنَّبضْ
منخرُهُ يَستنشِقُ حتى جذر الأرضْ
هذا المنفوخُ حياةً ،
يلصقُ بي لوناً
يلصقُ بي صوتاً
يلصقُ بي رائحةً
لحماً
عصَباً
**يَنصَبُّ دماً فيَّ**
يُكثِّفني
أثقُلُ
أسحبُهُ
أدفَعُهُ
يَتعلّقُ بي
يسحَقُني

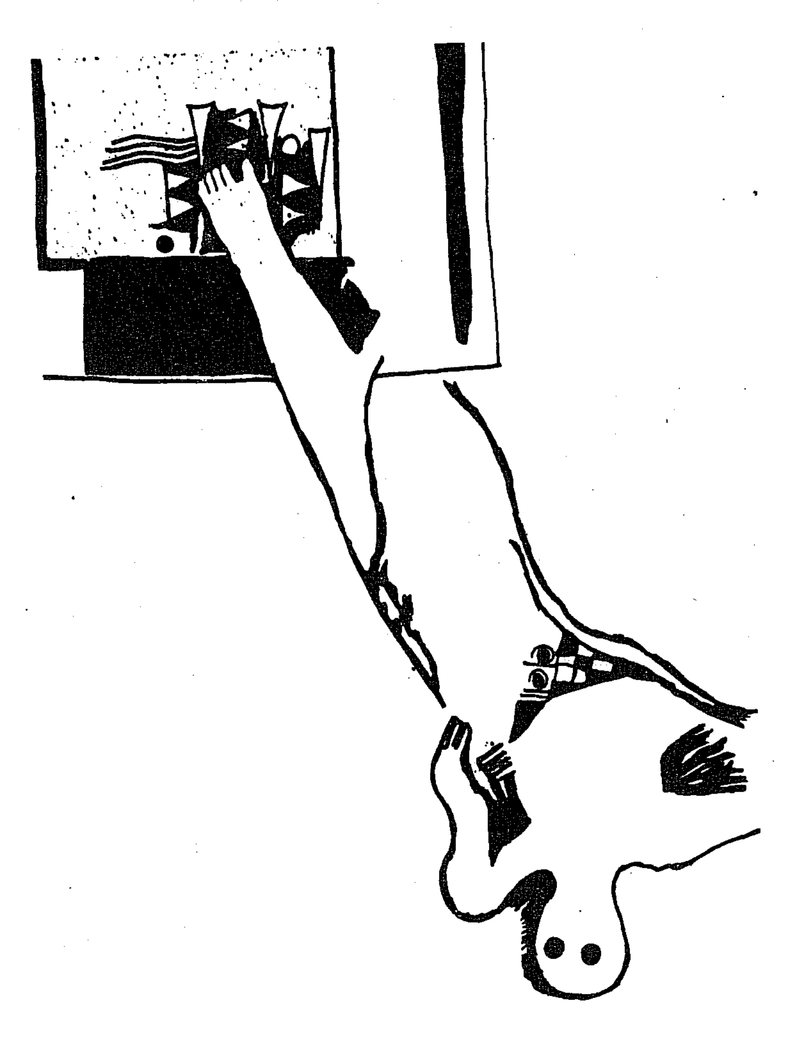
يطويني فيهِ
أموت .

هذا المُلتَفُّ عليَّ حياةً . . .

# في مواسم التعب

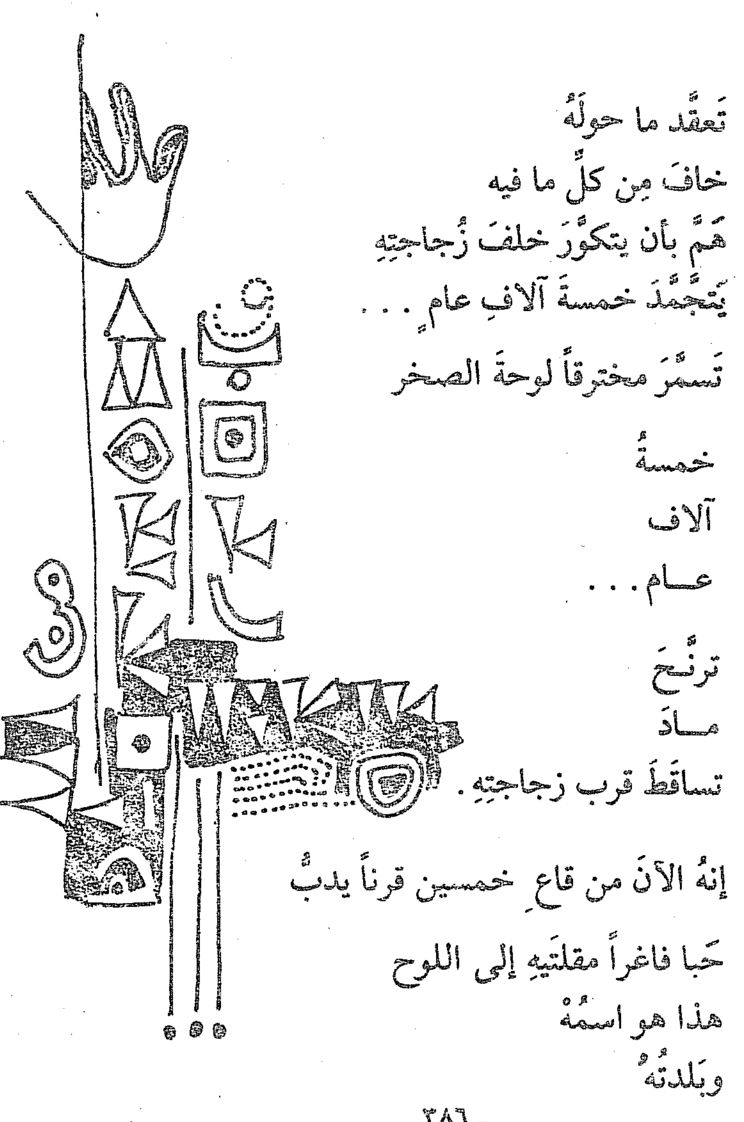
الله

لو فَصَّلتُ جِلدي مثلما أشاءْ
إذنْ تمدَّدتُ
استَظَلتُ فيه
أرخَيتُ شراييني
تُورِقُ ما تشاء . . .



# هارب من متحف الآثار

بِهَيْبَةِ خمسةِ آلافِ عامٍ ترابيٍّ ازَّحزَحتْ قدَماهُ
على سُلَّمِ المتحف
ارتدَّ منصعقاً
جسَّ عينَيهِ
كَفَّيهِ
صَوتَهْ
فعاوَدَ أُلْفَتَها
زالَ بعضُ غموضِ المسائلِ من حولِهِ
اصطكَّ رعباً
تذكّرَ أُذنَيه .
أنفَاسُهُ
قَلْبُهُ ذلكَ الصوت . .
أدركَ في قَلقٍ أنهُ يخرجُ الآن من صَمْتِهِ المَرمريِّ
إلى ضَجَّةِ اللّحمِ والدَمِ
يفقدُ صَمْتَهْ .



تَعقَّد ما حولَهُ

خافَ مِن كلٍّ ما فيه

هَمَّ بأنْ يتكوَّرَ خلفَ زُجاجتِهِ

يَتجَمَّدَ خمسةَ آلافِ عامٍ . . .

تَسمَّرَ مخترقاً لوحةَ الصخر

خمسةُ

آلاف

عــام . . .

ترنَّــحَ

مــادَ

تساقَطَ قرب زجاجتِهِ .

إنهُ الآنَ من قاعِ خمسين قرناً يدبُّ

حَبا فاغراً مقلتَيهِ إلى اللوح

هذا هو اسمُهْ

وبَلدتُهُ

إنهُ يَتذكّرُ . .

أولادُهُ
بيتُـهُ
كلُّ شيءٍ يلوحُ له واضحاً

وتضخَّمَ في اللوحِ تأريخُـهُ
فاقشعرَّ مِن الرُّعب

خمسةُ
آ
لا
فـ
عام . .

تحسّسَ أوصالَهُ

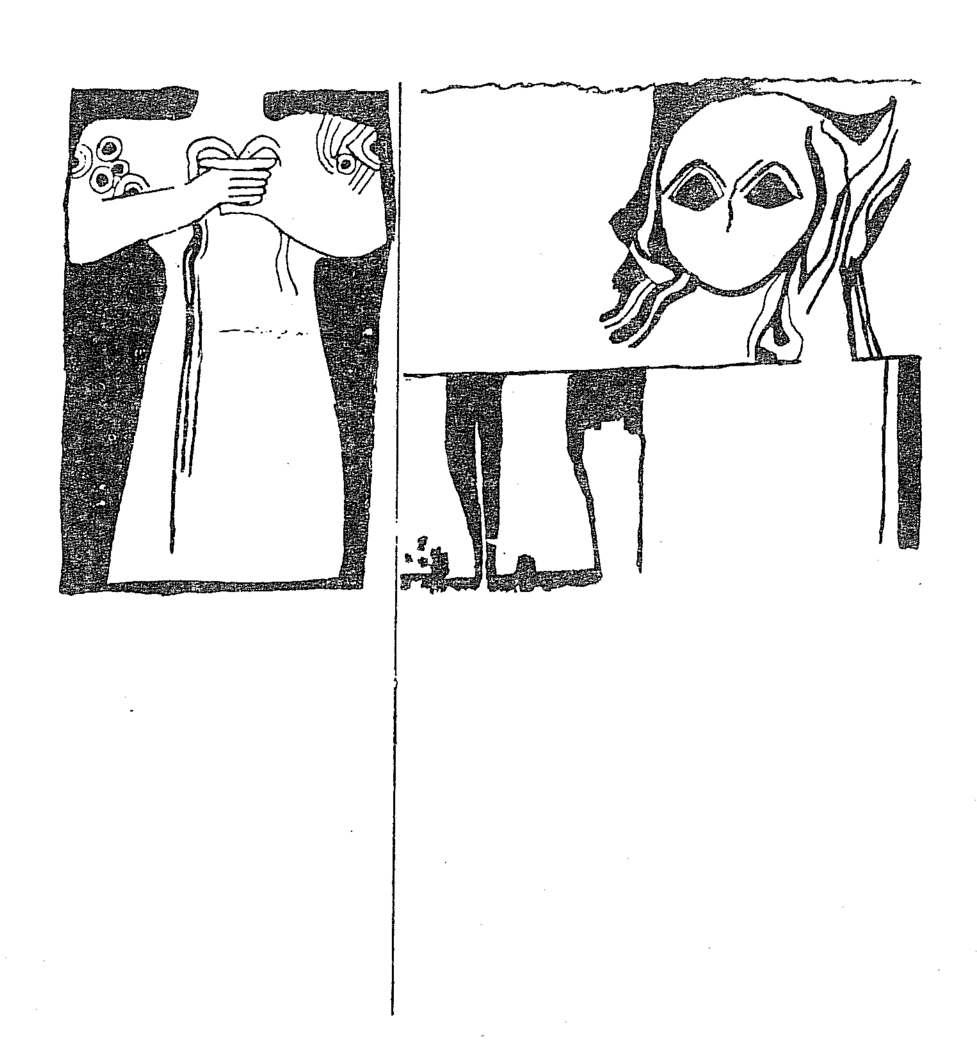
هالَهُ عُنفُها
ليس فيها طَواعيةُ الصَّخرِ
مَسْكَنةُ الصَّخر
كتمانُهُ
صَمْتُه المُعجزه.

هيَ الآنَ ريحٌ تَشظَّى
بحارُ قراراتُ أمواجها اشتعلَتْ

مَـنْ يُعيد لِقُمْقُمِهِ المارِدَ المتَفجِّرَ في جَوفِـهِ الآنِ ؟

غاصَ بعينَيهِ ملءَ زجاجتهِ

راعَهُ أنَّ خمسة آلافِ عامٍ وراءَ الزجاجةِ
تَثقبُها مُقلتاه
ولا شيءَ يمنعُ نظرَتَهُ أن تَمرّ
تُمزِّقَها . .



كان درعاً إذن . .
ثَقَبَتْهُ المَحاجِرُ خمسةَ آلافِ عامْ
نَبَتَتْ فيهِ خمسةُ آلافِ عام
نَبَشَتْهُ تُفتِّشُ عن نفْسِها . .

كانَ درعاً لخمسةِ آلافِ عام
تآكلَ من فرطِ ما صَدِئَتْ فوقَهُ الأعيُنْ
استنزفَتْ خوفَها
أنشَبَتْهُ بمرمرِهِ أرضةً
أنفذَتْ كلُّ عينٍ إلى عُريهِ ألفَ عينٍ تُنَقِّبُ
خمسةَ آلافِ عام . .

تشظَّى بهِ اللَّحمُ والدَمُ
ضَجَّتْ قراراتُـهُ
اشتعلَ الغيظُ في قاعِها

كانَ درعاً إذن . .

سارَ نحو زجاجتِهِ
لن يُبقّيَ شيئاً
ولا أثراً منهُ فيها .

تَذكّرَ أشياءَهُ
العريُ
والموت .
ألقى على كتْفِهِ عُريَهُ السرمديَّ
تأبَّط موتَهْ
تهادى بهيبةِ خمسةِ آلافِ عامٍ تُرابيٍّ
انْصَبَّ في الشارع
استيقظَتْ كلُّ أعمدة النور
دارَتْ مَصاريعُ كلِّ النوافذِ
سالَتْ عيوناً
تخطّى

# الهبوط الأول*

**الاشارة الأولى :**

نشَرَ الخرْدَلُ الأزليُّ جناحَيه فوقي

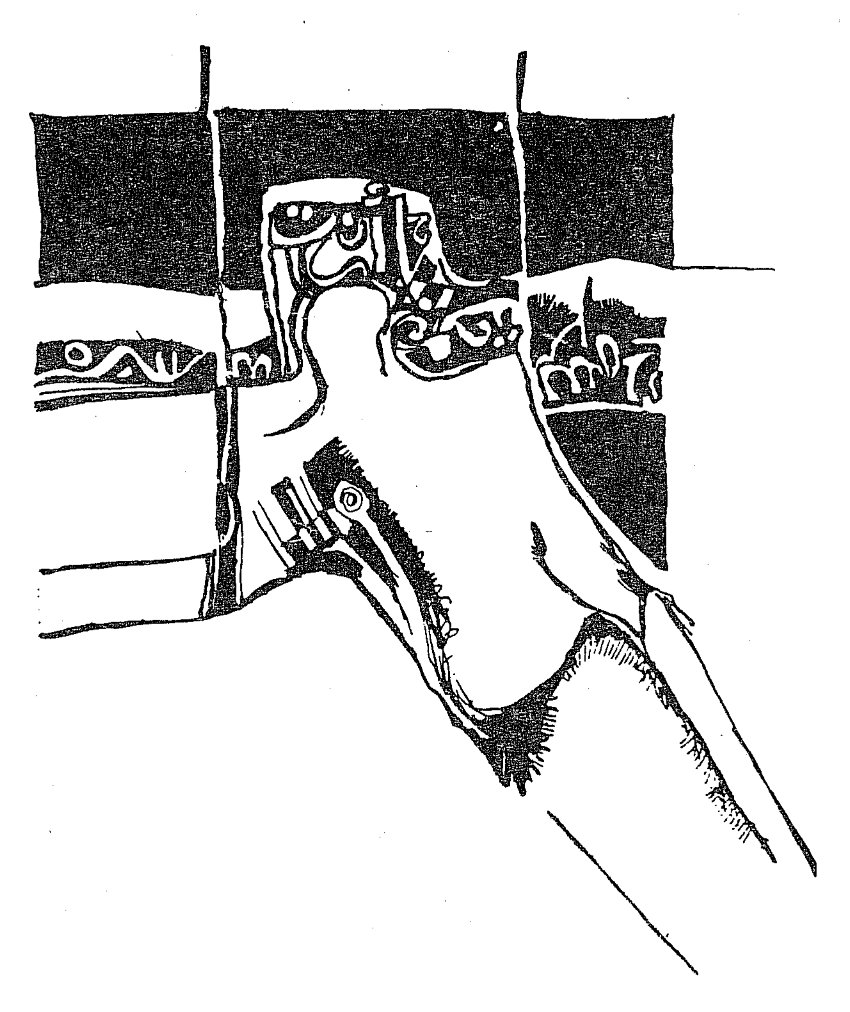
**لاشارة الثانية :**

نشوةٌ صاعقه
أن تُحسَّ سماءكَ أرضا

**الاشارة الثالثة :**

كالظنونْ
كالتوقُّعِ بحرُ السكون
موحشٌ

(*) كُتِبَتْ هذه القصيدة ليلة هبوط آرمنسترونغ على القمر



**الاشارة الرابعة :**

نتدلّى رويداً
كلُّ شيءٍ كحَدِّ القدَرْ
محكمٌ
مطمئنٌ
قدَرْ.

ـ وضعتُ على وجهِكَ المتكبِّرِ ثقلَ حذائي
أأنتَ سمائي ؟
أما كنتَها ؟؟

ـ لم أكنْها ،
ولكنَّني صرتُها الآن
ـ كنت الضياءْ
ـ وما زِلْتُهُ
ـ حُلُمٌ نامَ في أعيُنِ الشِّعر
أغفى طويلا
فقلنا أفيقوا
فصاحبُكم محضُ أرضٍ يبابْ
ـ هل أستيقظوا ؟
ـ ما يزالون تأكلُهم رعشةُ الرَّفض
أحلامُهم فقدَتْ صدْقَها
نهبَ الشكُّ كلَّ طمأنينةِ الحلم

لن يُصبحوا أنبياءْ

ـ وأينَ النبوَّةُ ؟

ـ الصِّدقُ

ـ والصِّدقُ ؟؟

ـ أنكَ لا ضوءَ

لا بهجةُ

محض أرضٍ يبابْ

ـ ولم تَرَ يوماً ضياءَ التراب . . .

أدِرْ نحوَ أرضِكَ عينيك

ماذا تراها ؟

ـ . . .

سرابْ

ـ بحارٌ مِن الضوءِ كنتم تدوسونها دونَ وعيٍ

ـ سرابْ

ـ فلم تبصروا ضوءكم

ـ ليس ضوءاً

سرابْ

ـ فلَنْ تحلمُوا
لنْ تَروا بئرَ أنفسِكُم تتفجَّر
لنْ تصبحُوا أنبياءْ

ـ وعُذْرَتُكَ انتُهِكَتْ
ـ كنتَ أكبرْ
ظننتُكَ تحلُم بالخصب
تطوي إليَّ مسافاتِ عُقمِكَ
تقتلُ عُقمي
ـ تثلَّمتَ
ـ روَّضْتُ صدري لوثْبَتِكَ البِكْر
بارَكتُها
ـ تَتخطّاكِ
ـ أمنحُها قوَّتي
ـ تَتَحداك

ـ بي تتحدّى
بثُقلي سماءً
بثقليَ أرضاً
بما امتزَجتْ بي سماؤكَ
أرضُكَ
ـ أسرَفتَ يا تابعَ الأرض
ـ الأرضُ تتبعني الآن
ـ تأسرُكَ الآن
ـ يأسرُني منكم الأنبياءْ
ـ ومَنْ أنبياؤكَ
ـ مَنْ أذهلتْ كلَّ وجدانِهم نشوةُ الحُلْم
حتى تلاشَوا
فكانوا ضياءْ
ـ بدأتَ تحيّرُني
ـ لا تكُنْ شاعراً
كنتَ تهزأ من غفلةِ الشعراء . . .



# مجابهة

هدمتُ أسواري
ثقبتُ عينيَّ بأظفارِي
حفرتُ لحمي كلَّهُ
مزّقتُني
خرجتُ من أغوارِ أغواري
يا ريحَ كلِّ الكونْ
يا نارَ كل الكونْ
تَسلَّقي جميعَ أشجاري
تجرَّأي
إنّي حسيرٌ
نازِفٌ
عاري
أشدُّ حدَّ الانتحار كلَّ أوتاري

بحرٌ من النيرانِ والرياحْ
صدريَ يعلو
تصعدُ النيران
يعلو
تصعدُ الرياح
ألقَيتُ سِهامي
انْشَقَّ صدري هائلَ الجناحِ
وانْسَدَّ . .
لا نارُ
ولا رياحْ
الضوءُ يهمي منهُ
يهمي الضوء
يهمي . .

# مزارع الخوف

نعامه

تركضُ خلفَها بحارُ دَمْ

تدفِنُ رأسَها إلى الأضلاعِ في الرمالْ

عشرونَ عاماً وخيولُ الدَمْ

تضربُ في الصحراءْ

حوافراً ،

تزحفُ أوردَهْ

تنخرُ في الرملِ ،

تصكُّ رأسَها الحَبيسْ

تغورُ نحوَ أمنِها القابعِ في الترابْ

تخلَعهُ خَلْعاً ،

تُريها لَمعةَ الأنيابْ

تُسمعُها قرقعةَ الرِّمامْ
تُشبعُها رعباً إلى مَنابتِ العظامْ

عشرونَ عاماً رأسُها مزروعةٌ
والدَمْ
يُخثِّر الرمالَ حولَ عُنْقِها جدارْ
ينشرُ فوقها جناحاً مرعبَ المدارْ
ينبُتُ في قرارِها قرارْ

وانْشَقَّت الصحراءْ
جذعٌ بلونِ الدَمْ
تمزَّقتْ عنهُ جلودُ الدَمْ
يصعدُ من رَملَتها الجرداءْ
يُطلُّ هائلاً على مَنْبَتِهِ المذعورْ

يسحقهُ بثقلِهِ الرهيبِ سَحقاً
يصلبُ الرّعدةَ في حناجرِ الرملِ ،
يَمجُّ الدَمَ ،
تَشرئبُّ كلُّ ذرّةٍ من ثُقبِ خوفِها
بذور الرملِ تنمو
يَحْطمُ الغِمدَ
صخورُ الرملِ تنمو
يَشهرَ الموتَ ،
يُغطّي بالدَّمِ الدَمْ .

# نبع النار

رَصاصٌ ملءَ جوفي
أيُّها النَّبعُ الجَحيميُّ انسيابُكَ شقَّ حنجرَتي
تشظّى بي نِصالاً سلسَبيلُكَ ألفُ حَدٍّ فيه
أطفأَ فيَّ إلاّ شهقةَ الملدوغ
يُلعقُ جُرْحَهُ ويصيحْ
يَحضنُ عُريَهُ ويصيحْ
يشربُ كلَّ ما في الكونِ من ماءٍ ولا يبردْ

رصاصٌ ملءَ جوفي
ألفُ كأسٍ كانَ في شفَتَيكِ إلاّ الماءْ
يا بِئْراً خرَقتُ الأرضَ أتبعُ قعرَها والماءْ
أتبعُ وعدَها بالماءْ

أمضغُ رملَها
أهوي
ويهوي قعرُها والماءْ .



# استشهاد على عتبة الأربعين

كلُّ شرايينِكَ تَصفِرُ فيها الريحْ
كلُّ غصونِكَ تتهدَّلُ بين حناياك
صوَّحَت السِّدرةُ في أعماقِكَ
زوبعةٌ جاشَتْ في كهْفِكَ فاقتلعتْ حتى اللحم الحيّ

كابِرْ بأنابيبِ عظامِكَ
إرفَعْها حتى الموتِ صَواري
أنشرْ رئتيكَ مهلهَلتَين عليها أشرعةً
أبحِرْ في صحرائِكَ
قُدْ شلوَ سفينِكَ للموتِ
تَعجَّلْ
إصرَخْ بالريحْ ..

يا صاعدَ نخلةِ عُمْرِكَ تُحطبُها
وصَليلُ حنينِكَ للطَّلعِ يصُكُّ عظامَكَ
شاخَتْ نخلَتُكَ العَجفاءُ
اربَدَّتْ
كُرَبٌ
كرَبٌ كلُّ ضلوعِكَ
أغمدْ فأُسَكَ
أحكِمْها
حتى تتقصَّمَ كلُّ صواريكَ رقاباً
تَـتَـقَـطَّـعَ كلُّ شراييِنكَ
تُعْولُ فيها الريحُ . .

أغمدْ فأسك
أعمَقَ
أعمقَ ..
يا دفءَ الدَمِ
فأسُكَ تُغرَزُ في اللحمِ الحيّ

## الـــدوار

سيّداً كنتُ
رَبّاً ثقيلَ السلاسلِ
عبـــداً
إلهاً
ذبيحاً إلى الجذرِ أنزفُ كلَّ دمي
قاتـــلاً
غائبـــاً
حاضـــراً
دارَ بي الكون
درتُ بـهِ
كنتُ أغرقُ أغرقُ في شَفَـتَيكِ
انطفأتُ

اشتعلتُ
يدايَ على كتِفَيكِ تَشدّانِ عُريَهما
مُفعَماً كنتُ
تملأُ كلَّ فمي شفتاكِ
شربتُ الجحيمَ بأجمعِهِ
دُختُ حتى قراري
تَرنَّح حتى دمي
امْتَلأتْ مقلتايَ دُخاناً
تَعثَّرت مشتعلاً
كنتِ تنأَينَ . .
تنأَين . .
زوبعةُ النارِ تأكلُني
انهمَرَتْ سُحُبي كلُّها
انطفأتْ جذوَتي
أخلدَتْ .

عُدتُ ربّاً ثقيلَ السلاسلِ
منجرداً
حاضراً
قاتلاً
درتُ بالكون
ألقَيتُ ظلّي عليه
تَعملقتُ
عُدتُ لنفسيَ
ألفيتُني حَطباً حائلَ اللون
أرنو إلى نبعِ نارِكِ
ألتمسُ الدفء
أفزعُ من بردِ أياميَ الآتيه



## انكسارة جرح

في جذَلِ الطفلِ حمَلتُ جرحي
وضعتُهُ بين يديكِ غافياً
تحنو على سريرِهِ كلُّ ابتهالاتي

كانَ نقيّاً ،
كلُّ أفراحي
كلُّ كآباتي
لم تَطَلَّعْ عليهْ

شفرةُ ضوءٍ تركَتهُ منذُ ألفِ عامْ
بين ضلوعي ،
ومضَتْ . .

ومنذُ ألفِ عامْ
أحملهُ
نَسيتُـهُ جرحا
نَسيتُ أنَّ خنجراً أحدَثَـهُ يوماً من الأيامْ
عادَ سميري ،
كنزيَ الخافي عن الأبصارْ
صارَتْ لنا أسرار
أخفَيتُها حتى على حزني وأفراحي

في جذَلِ الطفلِ حَمَلْتُهُ على يدَيّ
وضعتُـهُ بين يديكِ
مثلما تُرفَعُ في كنيسةٍ صلاه
ومثلَ قاتلٍ أصيلْ
غرَزْتِ فيهِ عَطفَكِ المرهَفَ حتى الجذرْ
طَعَنْتِهِ حتى قرارِ القبر

عذراً إذا شَجاكِ
أَما أنا ،
فعلَّمِيني النَّدمْ

وعندَما أحملُ من بينِ يَدَيْكِ جرحي
منكسراً ،
لا تسأَلِيني أيَّ شيءٍ
إنني أنزفُ حدَّ الموتْ
لهذهِ الجثَّة في يدَيّ
هذا الذي اسْتُبيحَ مرَّتينْ . .



# الصور

يدي جرحُ
ختَمتُ بهِ على الأفواهْ
مَـنْ يملكْ نقاءَ الله
صوتاً ماحياً
يَمحُ

بَرَزتُ إليكَ من كفَني
بأوسَعَ مِنَ مَدى الصحراءِ جئتُكَ يا مَدى الصحراءْ
أنا العازرْ
أنا الموتُ المؤجَّلُ بينكم
لا بـدءْ
لا آخِـرْ

أجوبُ مزارعَ الأسماءْ

فتَحتُ يدي على مصراعِها ،

فانداحَ غارُ حِراء

جُرحاً زاخراً بالوحي والدَمِ ،

أيُّها الغرباءْ

صوتُ اللّهِ هذا

انفَخوا في الصُورْ

شُقُّوا سُجفةَ الدَيجورْ

وانتَشِروا

فصوتُ اللّـهْ

هذا الجرح

يُغرقُكم

ويحملُ بينَكم قَتلاهْ

تساقطَ جحفلُ الأسماءْ
كومَةَ أحرُفٍ مذعورةٍ بَكماءْ
خَتَمتُ على حروفِ الخوفِ جرحي ،
ميسَمي جرحُ
ومَنْ يملكْ ثباتَ الله نصلاً ماحياً
يَمحُ

سمعتُ بلالاً الحَبَشيَّ في ساحاتِكُم يصدَحْ
رأيتُ سطوحَكم راياتْ
وقيلَ بشارةٌ كَيَدي على أبوابِكُم تُلمَحْ
فتحتُ يَديَّ
ألهثُ جئتُكم يا معشَرَ الأنصارْ
أحملُ جنَّتي والنارْ
مليئاً بالنبوءةِ جئتُ ، كلُّ ملامحي تنضَحْ
ذُهِلتُ

فلا صلاةٌ ،
لا مؤذِّنَ قام ،
لا محرابْ
رأيتُ بلالاً الحبَشيَّ منكفِئاً على الأبوابْ
سرْتُ تنوشُني الأحجارْ
مَسيحاً ، كلُّ بابٍ عندَها أُذبَحْ
حُسَيناً كنتُ
مثلي أمس ،
مثلي كلَّ يومٍ آتْ
وكلُّ سطوحِكم راياتْ
ركضاً يا بني أسدِ
غداً تَصِلون
لكنْ ، لن ترَوا في الأرضِ من أحَدِ

لِيَذكرْ كلُّ رامٍ بينَكم حَجَرَهْ

أنا المرجوم
أحملُكم معي حتى يسيلَ السَّيلْ
ستنتشِرون أذرعةً من الأجداثِ مستعِرَهْ
فيُنكرُ كلُّكم كفَّيهْ

لِيذكُرْ كُلُّكُم سَيْفَهْ
لِيذكرْ كلُكُم وتَرَهْ
أنا الطَوّافْ
على أبوابِكُم ،
لا رأس ،
لا أطرافْ
أحملُكم معي تُهَمَهْ

سمعتُ صَلاتَكم تتوَسَّل الأقفال لا تُفتَحْ
وكفِّي لم تزلْ حِرزاً على أبوابِكُم يَنضحْ

خَلعتُ يدي

ختَمتُ بها

نظرتُ فلم أجدْ رايه

شمَختُ بعُنْقيَ المقطوع عُمقَ الجوِّ صاريةً

نَشَرْتُ مُكبِّراً كَفَني

وأترككم عُراةً تطفَحون على دَمِ البَيعه

رؤوساً دونَما أعلامْ

دموعاً ما تزال تسيل ،

تَسقي تُربةَ البَيعه

وتحني رأسَها وتنامْ

أتركُ زيفَكم لِيَنام

وختمُ يدي يظلُّ دَماً على أبوابِكُم يصحو

ومَنْ يَملكْ صفاءَ اللّهِ صدقاً ماحياً

يَمحُ

أنا المَسجونُ في أعماقِكُم ،
الشاهدُ الأبكمْ
أنا الحَدسُ الذي تَخشَونْ
الرَّصدُ الذي قِيعانُكم بعيونـهِ تُختَمْ
أنا الزَّرقاء فيكم يا يَمامةُ فافقأوا عَينَيّ .

نشَرتُ يدي أمامي ،
مِن هنا المَعبرْ
هنا جرحي ،
هنا أَبَديَّتي تُنشَرْ
تَعرَّ الآنَ يا ثمرَ الخطايا ،
إنــه المطهَرْ
وثَبْتُ ،
سقطتُ في جرحي

عميقٌ غَورُكَ المَنقوعْ
ينزُّ الدمعَ والدَمَ يا ممَـرَّ الحزن ،
بئرُكَ مُرّةُ الينبوعْ
تجهشُ مِلأها الأرحامْ
تُعولُ ملأها الجُثثُ
لقد ماتوا وما بُعثوا
فظلوا يجأرون . .
غطَستُ فيهم عُمقَ ألفَي عامْ
وارتطمَتْ يَدي بالقاعْ

## مَـمَـرُّكَ ههنا يوصَـدْ

أفقتُ ،
وكانت الصحراءْ
شفاهي الرملُ ،
وجهي الرمل ،
الصحراءُ في جسَدي

رفعتُ يَدي إلى عينَيَّ كانت صفحةً بيضاءْ

ودوّى ملءَ آذاني صُراخُ وليدةٍ تُوأدُ

همَتْ ياقوتةٌ في الرمل ،
وانطفأتْ . .
وجَدتُ على يدي نُدْبَهْ
هوَيتُ كنخلةٍ عجفاء

حُمِلْتُ على الرُّغاء ،
على الثُّغاء ،
على صَهيلِ الخيلِ حولي يَمضغُ الأرسانْ
رأيتُ يدَ البَسوس تَجوسُ في الأرحامْ
تشدُّ رقابَها قِرَباً

على غِلمانَ أشأمَ كلُّهم مُتكاملُ الأضراس
يأكلُ ثديَ مُرضعتِهْ . .

ضَمَمْتُ أصابعي كي أمنعَ الدَمَ أن يسيل
تَعالت الأصواتْ
بُجَيْرُ مات
بِشِسْعٍ مِن نعالِ كلَيبٍ
انتشَروا انتشارَ الصوتْ
وقرَّبَت النَّعامةُ منكَ مربطَها فقُمْ يا موتُ قُم يا موتُ
قُمْ يا موتْ
شدَدتُ يدَيَّ . .
كانَ الجرحُ يفتحُ بابَهُ للريحْ

ألا لا يجهَلَنْ أحدٌ علينا . .

تجهلُ الأصنامْ
تأكلُ خيلَنا ، ورماحَنا ،
تجترُّنا وتنام . .

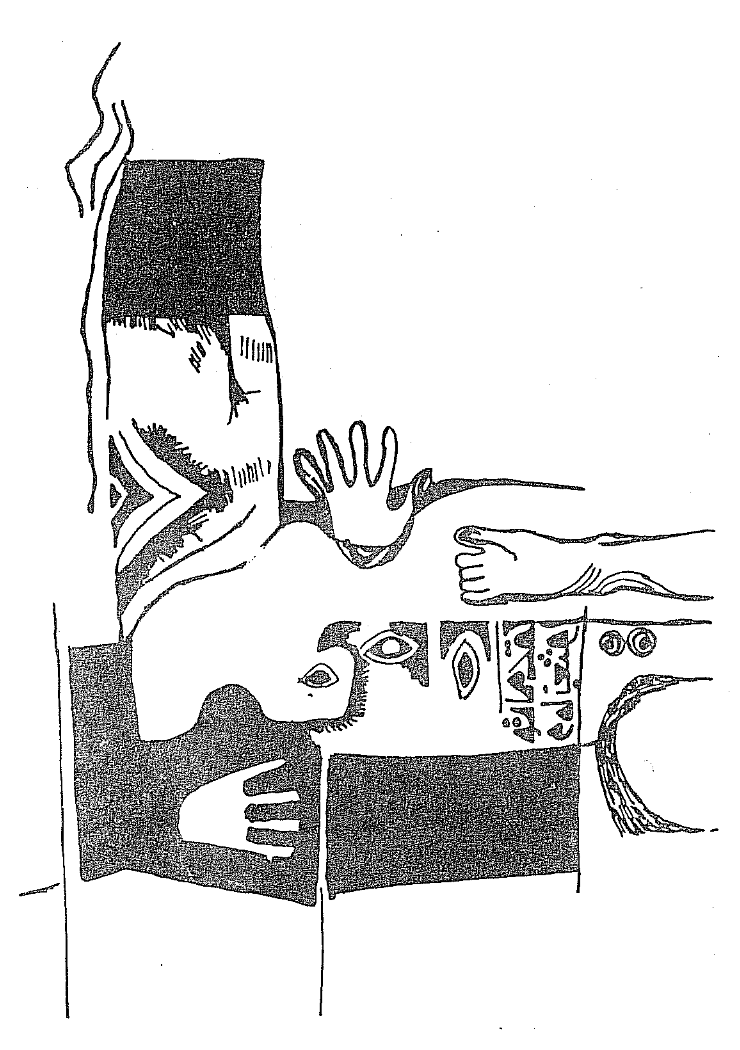
سقَطتُ وراحَتي مُرخاة
على هُبلٍ تغَطّي وجهَـهُ ودماؤها تنضَحْ

طريقُكَ مِن هنا تَبدأْ
تسَلَّقْ ،
جرحُكَ المعراج ،
أنتَ الحيّ .

عميقٌ غورُكَ المنقوعْ
ينزُّ الدمعَ والدَمَ يا مَمرّ الحُزن ،
بئرُكَ مُـرَّةُ الينبوع
ظُلْمتُها تَشلُّ خُطاي ،
ترشَح مثلَ ذَوبِ القارْ
تلصَقُ بي فأحملها معي طَوداً من الأوزارْ
أهوي كلَّما أبدأْ

تسَلَّقْ ،
جُرحُـكَ المعراج ،
لا تَعلَـقْ بثدي الموت ،
كُـنْ موتاً.

نشرتُ يَدي غريقاً



أيُّها المَذعورْ
لا تُطفيءْ مَهَبَّ النور
أنتَ الحَصدُ والحاصِدْ
المرصودُ والراصِدْ
وأنتَ القادِمُ الموعودْ

وضاءَ بغوريَ المُطْفأُ
شعاعٌ كاندلاعِ البرق ، غاصَ بجرحيَ المنشورْ
وانطبقَتْ يدي فصعدتُ يحملني رشاءُ النورْ
كانَ محمدٌ يقرأْ

لمِحتُ أطيرُ في جُرحي،
وكانَ محمدٌ والسيف
يسبقُني

وكانَ محمدُ القرآن
يلمعُ فوقنا كغمامةٍ بيضاء

## ألا مَــنْ كانَ يَعبدُ . .

لا تَقلْ شيئاً.

## ألا مَــنْ كانَ يَعبدُ . .

ليتَ هذا الصوتَ يسكتُ
ليتني أرتدُّ نَسياً تعصفُ الصحراءُ في جسَدي
انهمرتُ
نزفتُ
دارَ الكونُ بي

## مَـنْ كانَ يَعبدُ . .

غامَتْ الأصداءُ في رأسي فأنَّ محمداً قد ماتْ
إن محمداً قد مات . .
وانكفأتْ يَدي فهَـوَيت .

أنا الشاهدْ
لقد بلَّغتَ ،
أشهدُ أنكَ الموعود
أشهدُ أنكَ الواعدْ
ولكنْ مَـنْ لهذا الليل . . ؟

تَنزّتْ تحتيَ الأعماق
سالَ السَّيلْ

أورِدَتي بلونِ القارْ
تُرضِعُني نَزيفَ القارْ
تختمُ خطوَتي بالقارْ

جَذَبتُ خُطايَ لم أُفلِتْ
نزَعتُ اللحمَ عن قَدَميَّ حتى العظم
لم أُفلتْ
نشَرتُ يَدي على لَوحي
محَوتُ
رَقَمتُ
ذا سَطري
أنا قدَري
ختَمتُ يدي
نهَضتُ بكلِّ أجنحَتي أصبُّ دَماً.

هذا أنا الصاعدُ مِن مَنابتِ الظُلمةِ في حَفيريَ القاتمْ
رقَمتُ لوحي
فأنا العارفُ غَيبي
جسَدي تأريخكُم
جُرحيَ مئذنه
أحملُ في كهوفِها أذانيَ القادمْ
فلتَفتحُوا منافذاً للصوتْ

ها أنذا أُطلُّ مِن شُرفَةِ جُرحي مَشتَلاً للموتْ
فَلْتَفتح الموتى قبورَها
لِيَعرفَ كلُّ ميتٍ موتَـهُ في جسَدي
فيحتَملْ مَوتَـهْ

أعيُنكُم ترحلُ مِن وجوهِها
فأدركوا عيونَكم

هذا أوانُ السيلْ

تبيَّنوا أحجارَكم يا أيُّها الراجِمُون

تعرَّفوا على سيوفِكُم

نِبالِكُم

فقد عَادَ بها المَرجومْ

أسعى إليكم عنُقاً دونَ رأسْ

أتبعُكم جذعاً على صليبْ

أفتحُ في قيعانِكم عيناً كعينِ الله

تبقى شاهداً أبكَمْ

وجوهُكم وَشمٌ على جلدي

نِصالِكُم في جسَدي تحجَّرتْ

فجرِّدُوها

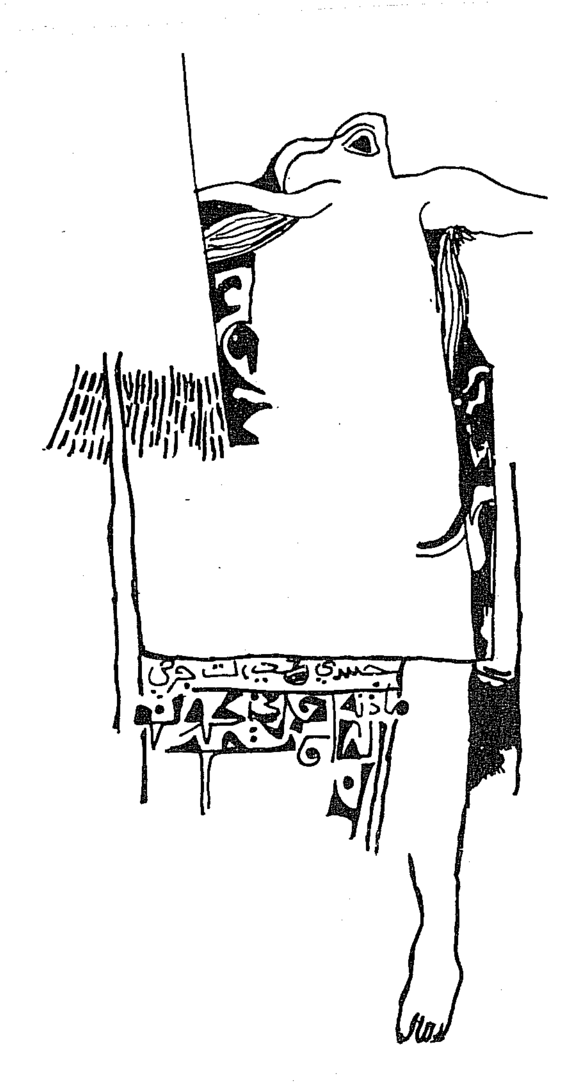
ليُحدِّدْ كلُّكم رُتبةَ موتهِ

ويصعدْ موجةَ الشهاده

إليكِ أسماءكِ يا مزرعةَ الأسماءْ
تحمَّليها
أو تهاوَي أحرُفاً تبحثُ عن ثقبٍ لتختفي

أنتَ الذي تغوصُ في خاصِرتي
تفْلعُها
انجَرِدْ لهؤلاء
هل تُبصِرُ رأسَ ابنِ أبي طالبْ ؟
خاصِرتي غمدُكَ حتى تراه

مَـنْ قالَ إني مصعَبُ
فَـلْـيَـتَـقَـدَّمْ حاسراً
يَسْتلّ نَصْلاً مِن جبيني ثم يسْتَشهِد .



في جسَدي مزرعةٌ للموتْ
يحصدُها ذو عنقٍ مقطوعةٍ
ينثرُها بيدرَ ثورةٍ لألفِ جيلْ

لا تَلْمِسوا أعناقَكم
صاحبُها يعرفُها دونَ لمسْ .

يا حاملي شهادةَ الحلاّجْ
تَحمَّلوا حدودَكم عنّي
أنا خارطةُ الحجّاج

مَـنْ يَنتصِبْ مِنْكُم أبا ذرٍّ فَيحضنْ موتَـهُ يُقدِمْ
لكِنَّكُم لا تَرصِدونَ الموت

يا أيُّها الكُـهَّانْ

عروقُكم مرئيَّـةٌ
يَزِخُّ تحتَ جِلْدِها كلُّ دَمِ الأوثانْ
ألقُوا مسوحَكُم ،
وجهِّزوا لغزوِ الله . .

يا أيُّها الحَشدُ مِنَ الأنبياءْ
لَيَنْتَفِضْ منكم نبيٌّ واحدٌ بوَحيِهِ
يُنطقْـهُ شيئاً
أيُّها المستشهدون خُرسا

مدّوا أكفَّكُم إلى جيوبِكُم
وأخرِجوا منها يَداً واحدةً بيضاءَ مِن غيرِ سوءْ

أساُتُم الموتَ كما أسأتُم الولاده

تقدموا نحوي
لكم في جَسَدي شيءٌ سِوى الشهاده

أحمِلُ في الأجفانْ
بُحيرَه
شطآنُها الحشيشُ واللؤلؤ والمرجانْ
أمواجُها الغلمان والجواري
فلتُغرقوا أنفسَكم سلالةَ السلاطين

أشهدُ أنَّ موجَها مَرايا
أشهدُ أنكم ستُبصِرون فيها أوجُهَ العبيدِ والسَّبايا
أشهدُ أنكم ستغرقون فيها
تَتَحطَّمْ

تَتبعثرْ في شظاياها وجوهُكم

فينبُتْ موتُها في جسَدي

خارطةً جديده

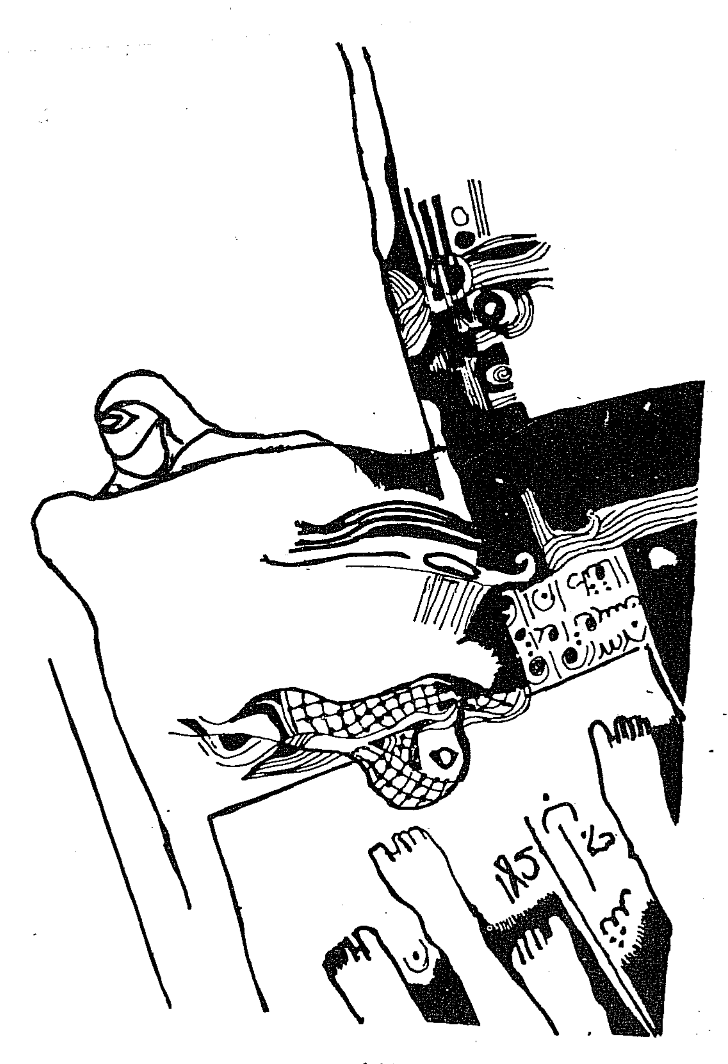
أحملُها

أطوفُ في المَزارِعِ الوليده

أخْتمُ جُرحي فوق كلِّ فَـمْ

حتى يصيحَ ضائحٌ

يَكسرُ ختمَ الدَّمْ



## عبور في نهر الموت

هبطَ العطَشْ
ملأَ البحرَ الميّتْ
عَلِقَتْ في أطرافِ محاجرِها الأحداقْ
سقطتْ أحداقْ
ركبَتْ أحداقٌ صَهَواتِ الريحْ
هرَبتْ كلُّ الأنهارِ وأدركَها الزئبقُ
فامتــلأتْ
وسَمعنا الشُّطآن تُزَنخرُ لا تَشربْ
واحدودَبَ ظَهرُ النخلِ وأوشكَ
لكنْ ضجَّ بشعْفَتِهِ الكبرُ فلم يهربْ

قال الأحياءُ سَننتظرُ الموتى
الموتى قالتْ
نتَظِرُ الأحياءْ
واصْفَرَّ الماء
احمَرَّ الماء
اسوَدَّ الماء
لم تعبرْ قدَمٌ نهرَ الموتْ

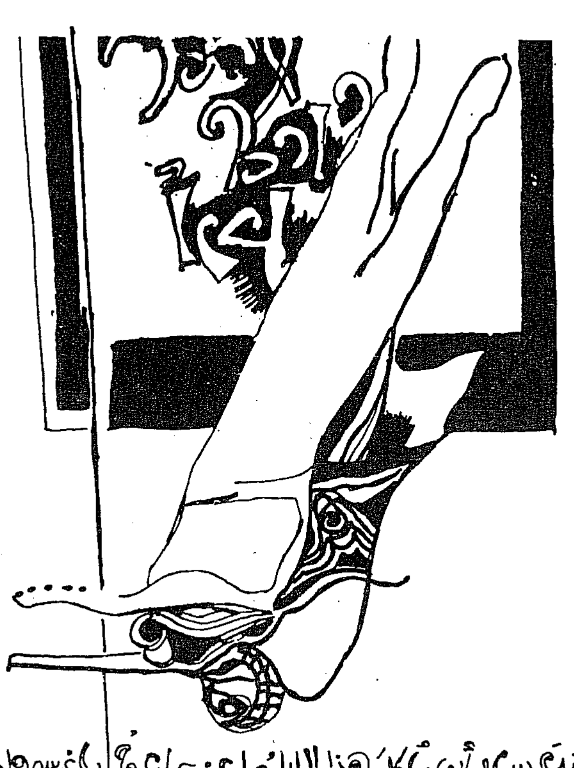
سودٌ أفواهُ الرملِ
تَفَطَّرَتْ الأرحامُ وشاخَتْ فيها كلُّ أجِنَّتِها
ويقاتلُ عن وردَتِهِ الجذرُ
يصكُّ عليهِ الرملُ بَراطمَهُ
عريانَ وحيداً
يحملُ وردتَـهُ فوق الماءِ الأسوَدْ

قالوا لا ترحلْ

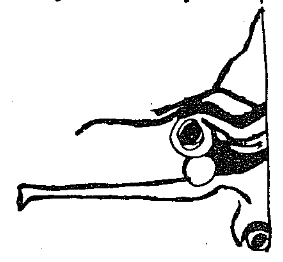
كلُّ طريقٍ ملغومٌ هذي الساعةَ بالصمت
وآجالٍ أخرى تجهلُها
نحن هنا نضحكُ
نبكي
نقرأ شعراً
ونسافر . .
نركبُ أجنحةَ الأصواتْ

قلْ ما شِئْتَ ولكنْ لا ترحلْ
تغــرقْ
فالصمتُ حديدٌ أزرقْ
ينشقُّ عليه اللحمُ
وتنزلقُ الكلماتْ

والجذرُ يقاتلُ عن وردَتِهِ
وتَفَطَّرَتْ الأرحامُ وشاخَتْ كلُّ أجنّتِها



هل يأمن ساهر أن يأكل هذا الليل أعنابه | يا عرسي وآه من ليل تؤكل فيه



مَـنْ يُمطرُ عنّي ؟

نقرأ شعراً
إزرَعْ عينَيكَ هنا
معنــا
واقرأْ ماءً
تغسلْ عنكَ جفافَكْ

والرملُ اللاصقُ بالروحِ براطِمَهُ ؟

مَنْ يقرأ عني مطراً يغسلُ رملَ الروحِ
ويدرأ عن جذرٍ راحَ يقاتلُ عن وَرْدَتِهِ
عريانَ وحيداً في الماءِ الأسودْ ؟

أتَسلّلُ معكم ؟

نسرقُ أقدامَ القتلى ؟
ننزعُ عنهم شاراتِ الموتِ ونلبسُها ؟
نَتَبَختَرُ أبطالاً في الطُرقات ؟ . .

نستجدي لقصائدِنا جُرحاً ؟
أو نسرُقهُ ؟
والنهرُ مقيمٌ
والمنتظرون على شطِّيهِ الأحياءُ الموتى
ما برحوا ينتظرون . . ؟
أرحلُ

## لا ترحلْ

أرحلُ

## لا يأمنُ سارٍ أن يأكلَ هذا الليلُ أعزَّ براعمِهِ :



يا غَرسي
واهٍ من ليلٍ تؤكلُ فيهِ
وآهٍ من ليلٍ في نفسي
أيُّهما أقتَلُ ؟

يأكلها

وأغوصُ الى أعماقِ الماءْ
للرَّهبةِ في أعماقِ الماءْ
لأجنحَةِ الخوفِ الرَّحبةِ

يـأكـلُـها

ينبتُ للآن على جِلْدِي زَغَبُ الخوفِ ويصْطَكُّ حنيني
تَدمى

آهٍ لو يَرْشَحُ خوفي
تدمى

مَنْ يَفقأُ عينيَّ ويعطيني ضوءاً ؟

تَشربُـهُ ؟

أشربهُ
أستلقي فيهِ
أُمرّغُ وجهي
أُقتادُ بـهِ أعمى

أرحلُ

أيَّ طريقٍ تسلكُ

أوجهَكُم . .

أوراقَ دفاترِ أطفالي التَّذبُـلُ

أتبعُ جذراً راحَ يقاتلُ عن وردَتِهِ عريانَ وحيداً

أعبرُ نهرَ الموتْ

أعبرُ نهرَ الموتْ

أعبرُ نهرَ الموتْ

# أصابع الخوف

موحِشٌ أيُّها الجِلْدُ ، مَنْ ذا يُبرّيء لَوْنَكْ ؟
! مَـنْ يُصدِّق لَوْنَكْ ؟
إنه عالمٌ رسَّمَ الصِّدقَ أبيضْ
رسَّمَ الحقَّ أبيضْ
رسَّم العفَّة البِكْرَ بيضاءَ والطُّهرَ أبيضَ والحُبَّ أبيضَ والله أبـ . .
مَـنْ يُبرّيءُ دعواكَ مِن لونها ؟ ؟
أنتَ أسوَدُ أسودُ أسودْ
مثلَ لونِ الخيانةِ أسود
كالخوفِ أسودْ . .

مَـنْ رأى الخوف ؟

إني تنشَّقتُ حتى قراري
رأيتُ أصابعَـهُ فانتفضتْ جميعي عيوناً

وقد كانَ أبيضَ أبيضَ كالثلجِ
أبيضَّ كالثلجِ
أبيضْ

أيَّتُها الأمّ أيتها الأمُّ لا تهجرُ الطَّيرُ أعشاشَها
كيفَ أخليتِ عشَّكِ ؟

مَنْ أبصرَ الخوف ؟

إني تفرَّستُ في قاعِ عينَيهِ حَدَّ التَّيبُّسِ
عيناي وحدَهما ضجَّتا بالصراخِ
ولم تُحسني الخوفَ أيَّتُها الأمُّ
كلُّ صَغائرِ بيتِكِ أحسَنتِها
دونَ أن تُحْسني الخوف . .

عامَين أرقبهُ
لم يَزل صامتاً
قلتُ لا تهجرُ الطيرُ أولادَها
غيرَ أنكِ أسرَفتِ أيَّتُها الأمُّ
أسرَفتِ أيَّتُها الأمُّ
أسرَفتِ

أسمعُ أصواتَهم عندَ مدخلِ بيتي

أنتِ أيَّتُها الأمُّ لم تُخْطئي فَهمَ عينيَّ يوماً
وطفلُكِ غافٍ فلا توقظيهِ لهم . .

كُسِرَ الباب . .

أبتهِلُ الآن
أضرَعُ



لا تصرَخي بسوى مقلتَيكِ
صغيرٌ إذا استيقَـظَ الآنَ
تنهضُ فيـهِ الجريمةُ مبهَمةَ الرُّعب
إياكِ أن . .

## دخلَ الخوف

قَلَّبَ عينَيهِ فيَّ
سمعتُ صَليلَ ارتطامِ عظامي بنَظرتِهِ
فنضَحتُ مِنَ البردَ

لا
أتوسَّـلُ لا
وتجَمَّعتُ كلِّي بعينَيَّ

أجنحَتي كلُّها عندَ صدركِ
كلُّ طُمأنينَتي عندَ صدركِ ترقدُ

أبتهلُ الآنَ أن تَصمتي لحظةً
لحظــةً
كلُّ شيءٍ سَينـ . . .

صرَختْ .

كفَناً أبيَضاً أبيَضاً صارَ جِلْدِي مِنَ الخَوف

مَــنْ عرفَ الخَوف ؟

عامانِ أيَّــتُها الأمُّ . .
أمسح عن وجهيَ الدَمَ
أسمَــعُ صرخَتهُ
ثمَّ أبصِرُ عينَيكِ . .
أوَّاه
كمْ أَحسنَتْ عينُكِ الخوف . !

عـــامـــانِ

أسمعُهم يضحكون لأنّ حليبَكِ أبيض .

عـــامـــانِ

أبصِرُ لونَ أصابعِهم تتناهَبُ صدرَكِ

تعصِرُ منهُ الحليبَ على وجهِهِ الطفلِ كي يضحكو

إنهُ صامتٌ منذُ عامَين يلعبُ قربي .

يُخيَّلُ أيَّـتُها الأمُّ لي أنه اختصرَ القول

جمَّعَ في صرخةٍ كلَّ أصواتِهِ ،

ثمَّ أخلَدَ للصَمْت . .

أيَّـتُها الأمُّ أيتها الأمُّ لا تَهجر الطيرُ أعشاشَها

غيرَ أنكِ لم تُحسني الخوف

للمرةِ الثانيهْ . .

٨١١,٩٢
ع ٤٥٢ عبدالرزاق عبدالواحد
الاعمال الشعرية / عبدالرزاق عبد
الواحد ط ٢ .. بغداد : دار الشؤون الثقافية
العامة ، ٢٠٠٠
٤٦٠ ص مج ١ ؛ ٢٣ سم
١ ـ الشعر العربي ـ العراق أ ـ العنوان
م . و
٢٠٠٠/١٣٩

المكتبة الوطنية ( الفهرسة اثناء النشر )

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ( ١٣٩ )
لسنة ٢٠٠٠



طبع في دار الشؤون الثقافية العامة ـ ( شركة عامة )



# فهرست المجلد الأول


لعنة الشيطان ........ ٥

طيبة ........ ٢٦

اهداء ........ ٣١

طيبة ........ ٣٣

أقرباء ........ ٣٥

لا بد أن نعيش ........ ٣٩

دم الآخرين وحق الحياة ........ ٤٣

بشير ........ ٤٦

رد على رسالة ........ ٤٨

الطفولة الخائفة ........ ٥٠

سطوح ........ ٥٣

سل ........ ٥٨

من حياتنا ........ ٦٠

ميلاد في الموت ........ ٦٥

في مندلي ........ ٦٧

صانع الأحذية ........ ٧٤

الحصاد ........ ٨٣

عبدالرزاق عبدالواحد الشاعر الانساني ........ ٩٥

الحرب ........ ١٠٩

النشيد العظيم ........ ١٢٥

أوراق على رصيف الذاكرة ........ ١٣٩

حكاية عن البدء ........ ١٤١

شيء لم أفقده ........ ١٤٧
مصرع انسان ........ ١٤٩
فقر في نيسان ........ ١٥١
وتر وليد ........ ١٥٢
خطاب الى بيرمكرون ........ ١٥٤
حكاية عن البدء والمنتهى ........ ١٥٨
ما يحضر في الغياب ........ ١٦٢
الخوف والرجال ........ ١٦٥
الخدر ........ ١٧١
القمقم ........ ١٧٤
نداء في مقبرة ........ ١٧٦
اعتذار ........ ١٨٠
يا خال عوف ........ ١٨١
براءة ........ ١٩٣
وقتلت في اعماقي شيئاً ........ ١٩٥
الرئة الملتهبة ........ ١٩٧
رسالة الى صديق ........ ١٩٩
اعتداد ........ ٢٠١
بغداد ........ ٢٠٣
منابت الضوء ........ ٢٢٤
في اعقاب العاصفة ........ ٢٢٥
حين يأكل الملح كل شيء ........ ٢٢٧
لحظة انكسار ........ ٢٢٩

من ظلمة العراق ........................................ ٢٣٠
حنين الى الاحجار المنسية ........................................ ٢٤٢
النار والطيبة الصامدة ........................................ ٢٤٥
أمومة ........................................ ٢٤٧
موعد اللقاء ........................................ ٢٤٩
وقفة حب للجواهري ........................................ ٢٥١
باريس وجنين الثورة ........................................ ٢٦٤
ناعور الدم ........................................ ٢٦٩
ما يعقد اللسان ........................................ ٢٧٦
حلم طفل ........................................ ٢٧٩
مقدمة قصيدة ........................................ ٢٨٣
تطلع في المرآة ........................................ ٢٩٦
اغنية حزينة ........................................ ٢٩٨
النعاس الأبدي ........................................ ٣٠٠
بعد الصحو ........................................ ٣٠٢
الخطيئة الاولى ........................................ ٣٠٤
ولكن ........................................ ٣٠٥
النسغ ........................................ ٣٠٦
يوماً ما ........................................ ٣٠٧
على حافة الصحو ........................................ ٣٠٩
تأسية ........................................ ٣١١
لن ترجعي ما كان ........................................ ٣١٢
مراجعة لخطأ قديم ........................................ ٣١٤

رسالة حب من موسكو ........ ٣١٦
رسالة حب من تاجيكستان ........ ٣٢١
المغضبة ........ ٣٢٦
خيمة على مشارف الأربعين ........ ٣٣٧
قطرة حزن ........ ٣٣٩
غرق الطوفان ........ ٣٤١
المشاحيف ........ ٣٥٣
فروسية في عصرٌ صغير ........ ٣٥٥
لحاق ........ ٣٥٧
لعبة شطرنج مهداة الى شاعر ........ ٣٦٠
الورد القاتل ........ ٣٦٣
مسائل في الاعراب ........ ٣٦٦
مسامير الصمت ........ ٣٧٠
حفلة صيد ........ ٣٧٤
بيرق فوق هامة بيرهمكرون ........ ٣٧٧
محاولة لاختراق الموت ........ ٣٧٩
في مواسم التعب ........ ٣٨٣
هارب من متحف الآثار ........ ٣٨٥
الهبوط الأول ........ ٣٩٢
مجابهة ........ ٤٠٠
مزارع الخوف ........ ٤٠٢
نبع النار ........ ٤٠٥
استشهاد على عتبة الاربعين ........ ٤٠٨

الدوار ........................................................................................ ٤١٠
انكسار جرح ............................................................................... ٤١٤
الصور ........................................................................................ ٤١٨
عبور في نهر الموت ..................................................................... ٤٤٤
أصابع الخوف ............................................................................. ٤٥٤